الجامعـة الإسلاميـة – غـزة
عمـ ـادة الدراسـات العليـا
كليـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـة الآداب
قسـم اللغـ ـة العربيـ ـ ـة

اتجاهات الشعر الفلسطيني بعد أوسلو

دراسة نقدية

إعداد الطالب

محمد حسين محمود صالحة

إشراف

الأستاذ الدكتور / نبيل خالد أبو علي

أستاذ الأدب والنقد – الجامعة الإسلامية

نائب رئيس مجمع اللغة العربيةالفلسطيني

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

1430هـ - 2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

اتجاهات الشعر الفلسطيني بعد أوسلو

(دراسة نقدية)

إعداد الطالب / محمد حسين محمود صالحة

قسم اللغة العربية – كلية الآداب

الجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين

ملخص

يدور هذا البحث حول اتجاهات الشعر الفلسطيني الأدبية والفنية المختلفة بعد أوسلو ، حيث عالج الشعراء الفلسطينيون كثيراً من القضايا التي تتصل بالواقع الفلسطيني بعد خديعة أوسلو الكبرى ، وبعد توقع انفراج الكرب والهم وزوال الاحتلال . فما أثبته الشعراء الفلسطينيون أن المأساة ازدادت حدتها ، واستمرت المعاناة لتطال الشجر والحجر بالإضافة إلى الإنسان الفلسطيني.

بدأ البحث بعرض نبذة مختصرة عن البيئة العامة في حياة الشعب الفلسطيني (السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية) ، ثم عرضت مفهوماً للاتجاهات الأدبية والفنية .

تناول الباب الأول الاتجاهات الأدبية المختلفة التي عبر عنها الشعراء الفلسطينيون في دواوينهم مثل (النضال والمقاومة ، ورفض أوسلو وانتقاد أداء السلطة الوطنية ، والاتجاه الاجتماعي والإنساني) . ثم عرضت في الباب الثاني الاتجاهات الفنية (الواقعي ، والرمزي ، والرومانسي ، والكلاسيكي) . أما الباب الثالث فقد عرض بعض الظواهر اللغوية والفنية في الشعر الفلسطيني .

واستعنت في دراستي بكل ما تيسر لي من مصادر ومراجع قليلة ، وبعشرات الدواوين الشعرية التي تضم الشعر العمودي والشعر الجديد ، واخترت من الشعر ما يناسب دراستي .

وقد قمت بعرض أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات بعد هذا البحث .

ودائماً أسألُ العلي القدير أن أكون قد وفقت في بحثي هذا ، فما أصبت كان بتوفيق من الله تعالى ، وما قصرت وأخطأت فمن عند نفسي .

The trends of the Palestinian Poetry after Oslo Agreement

Critical study

Prepared by :
Mohammed Hussein Mahmoud Salha
Arabic Language Department
Facutly of Arts
Islamic University – Gaza - Palestine

ABSTRACT

This study deals with the different literary and artistic trends of the Palestinian Poetry after Oslo Agreement . Palestinian poets have treated a lot of issues that are related to the Palestinian situation after the great lie of Oslo . A lot of people were waiting for an end of sorrow and occupation but the Palestinian poets have proved that the tragedy have grown stronger . The suffering continues not only for the Palestinians , their trees and houses are still suffering as well .

.

My study starts with a brief historical background about the political , economic and social life of the Palestinian people . Then , it shows a concept for the artistic and literary trends.

The first chapter talks about the various literary trends which are shown by the Palestinian poets in their poems . These trends are struggle , resistance , refusal of Oslo Agreement , criticism of the Palestinian Authority and human and social trends . The second chapter shows the artistic trends , classical , romantic , realistic , and symbolic trends . The third chapter shows some artistic and linguistic features of the Palestinian Poetry .

In my study , I referred to few sources and references but a lot of different poems , old and new , that suit my study .

Finally , the study shows results and recommendations of the researchers .

إهـــــداء

إلى روح أبي الذي علمني الصبر والإخلاص

وإلى أمي الحنون ...

أطال الله عمرها

وإلى زوجتي التي حملت معي أعباء الحياة

وإلى أولادي وزوجاتهم وبناتي وأزواجهن

وإلى إخوتي وأخواتي وأسرهم

وإلى كل أحبتي من الأقارب والأصدقاء والجيران

وإلى كلِّ مَنْ قدّم وضحّى لتبقى فلسطين خالدة في القلب

شكر وامتنان

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي الكبير

الأستاذ الدكتور / نبيل خالد أبو علي

الذي فتح لي أبواب صدره ومكتبته ، وغمرني بكرمه وعلمه وعظيم توجيهاته ، وأنفق علي من وقته وجهده ، وتحمل الكثير من أخطائي وهفواتي .

جزاه الله عني ، وعن طلاب العلم ، خير الجزاء .

محمد حسين محمود صالحة

شكر وتقدير

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

أتوجه بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الكريمين : الدكتور / كمال غنيم ، والدكتور / محمد حسونة ، على ما بذلاه من جهود في قراءة هذا البحث ، وإبداء توجيهات وملاحظات قيمة .

والشكر موصول لعميد كلية الآداب الأستاذ الدكتور / محمود العامودي ، ولعميد الدراسات العليا الدكتور / زياد مقداد ، ولرئيس قسم اللغة العربية الدكتور / عبد الهادي برهوم ، وإلى كل أساتذتي في الجامعة الإسلامية بغزة الذين أفاضوا علي بعلمهم وتوجيهاتهم ، حفظهم الله تعالى ، وأبقاهم كنزاً لهذا الوطن العزيز .

وأشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث ، وأخص بالذكر زوجتي الفاضلة ، وأولادي الذين انشغلت عنهم حتى يخرج هذا البحث إلى النور .

كما وأشكر زملائي وأصدقائي في دفعة الماجستير على حسن صحبتهم واحترامهم وتقديرهم ، وعلى ما انتفعنا به من خلال مناقشاتنا العلمية .

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل أصدقائي الذين مدوا لي يد المساعدة في طباعة هذا البحث .

إليكم جميعاً جزاكم الله عظيم الجزاء ، وجعله في ميزان حسناتكم .

الفهرست

ملخص : ....ج
ABSTRACT .... د
إهـ ـ ـ ـ ـداء .... ه
شكر وامتنان .... و
شكر وتقدير... ز
الفهرست..ح
المقدمة... 1

التمهيد 5
أولاً: البيئة العامة 6
البيئة السياسية : 6
البيئة الاقتصادية : 12
البيئة الاجتماعية:... 14
ثانياً : مفهوم الاتجاهات الأدبية والفنية.. 16
الاتجاه في اللغة :... 18
الاتجاه في الاصطلاح : 18
أولاً : الاتجاه الأدبي 20
ثانياً : الاتجاه الفني... 22

الباب الأول.. 23
الاتجاهات الأدبية.. 23
الفصل الأول.. 24
النضال والمقاومة.. 24
أولاً : النضال والمقاومة 25
ثانياً : حلم العودة إلى الوطن... 50
ثالثاً : الحواجز العسكرية 59
رابعاً : القدس الجريحة 65
خامساً : الصمت العربي 80

الفصل الثاني 94
رفض أوسلو وانتقاد أداء السلطة الوطنية........................... 94
أولاً : موقف الشعراء من أوسلو.................................. 96
ثانياً : انتقاد أداء السلطة الوطنية.................................. 110
الفصل الثالث 113
أولاً : الاتجاه الاجتماعي 114
ظواهر سلبية في المجتمع الفلسطيني 135
ثانياً : الاتجاه الإنساني... 141

الباب الثاني 145
الاتجاهات الفنية 145
الفصل الأول... 146
الاتجاه الواقعي.. 146
الفصل الثاني 175
الاتجاه الرمزي.. 175
الفصل الثالث 187
الاتجاه الرومانسي 187
الفصل الرابع 211
الاتجاه الكلاسيكي 211

الباب الثالث... 234
الفصل الأول... 235
الظواهر اللغوية.. 235
الفصل الثاني 255
الظواهر الفنية 255
خاتمة 272
النتائج والتوصيات 272
المراجع 276
الدواوين الشعرية (المصادر).. 276

المقدمة

أولاً : أهمية الموضوع

ولما لم يحظ الأدب العربي في فلسطين منذ انتفاضة الشعب الفلسطيني على الاحتلال الصهيوني في التاسع من ديسمبر عام 1987م بما يستحق من دراسات منهجية متعمقة تنزله منزلته بين فنون الأدب العربي المعاصر ، كما لم تتمكن الدراسات الأدبية والنقدية من استكشاف كنه أدب انتفاضة الأقصى التي ما زالت جذوتها متوهجة ، وموازنة سمات أدب هذه الانتفاضة بسمات الانتفاضة السابقة خاصة أن منطلقات الانتفاضتين تنطوي على بعض سمات الاختلاف ، إضافة إلى العديد من سمات الاتفاق .

ولما كانت الحقبة موضوع الدراسة ما زالت مفتوحة الأبواب تستقبل الهزات الارتدادية لأوسلو ونتائجها ، قلت الدراسات التي تناولت هذه الحقبة بالدرس والتحليل ، اللهم إلا دراسة متخصصة أعدها الأستاذ الدكتور / نبيل خالد أبو علي وهي بعنوان (اتجاهات القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسلو) ، فأحصت شواردها ، وجمعت نوافرها ، واستبطنت مضامينها ، وبينت اتجاهات كتّابها . هذا على صعيد القصة القصيرة .

أما باقي الأجناس الأدبية فلم يتعرض لها بعد باحث بالدرس والتحليل ، وكل ما هناك مقالات صحفية مبثوثة على الصحف وبعض المواقع اللالإلكترونية ؛ لذلك نشأت أهمية هذه الدراسة .

ثانياً : أسباب اختيار الموضوع

إن محاولات الصهاينة الدائمة لطمس الهوية والوجود الفلسطيني على أرضه ووطنه لم تتوقف لحظة واحدة ، وما يحمله الفكر الصهيوني من مزاعم مشئومة عن شعب بلا أرض واختفاء ما يسمى بالعدالة الإنسانية من الكون ، كانت من الدوافع التي دفعت إلى كتابة هذا البحث . فلم يدخر الصهيوني جهداً في حصاره للثقافة الوطنية الفلسطينية ، ومحاولاته لاقتلاع هذا الإنسان من أرضه وتجريده من تاريخه وتراثه . واستغل هذا الحاقد مساندة الغرب المستعمر له ، فانقض على الأرض مسيطراً ، وعلى الإنسان مهجراً ؛ ليصبح هذا الدعي الوافد من وراء البحار صاحب حق في أرض بلا شعب ، فهو لم يطرح نفسه محتلاً للأرض ، بل طرح نفسه صاحبها حسب ادعاءاته التاريخية .

ومما دعاني كذلك إلى كتابة هذا البحث حبي وتعلقي بالشعر العربي الذي يعد الشعر الفلسطيني أحد روافده ، وبيان مدى رفض الشعب الفلسطيني لأوسلو ونتائجه ، هذا الرفض الذي عبر عنه الكثير من الشعراء في دواوينهم .

ثالثاً : أهداف الدراسة

1- المساهمة في إظهار الاتجاهات الأدبية والفنية في الشعر الفلسطيني بعد أوسلو .

2- إظهار ميول ومواقف الشعراء من أوسلو .

3- رصد حجم التغيرات التي دخلت على الشاعر الفلسطيني الذي عايش الأحـداث اليوميـة التي يمارسها الصهاينة ، وبيان أثرها على نفسه .

رابعاً : منهج الدراسة

لقد اقتضت طبيعة هذا البحث اعتماد المنهج التكاملي الذي يظنه الباحث أنـسب المنـاهج لتحقيق غايات هذا البحث الطموح .

خامساً : الصعوبات التي واجهت الباحث

يواجه كل باحث بصعوبات وعقبات تتفاوت فيما بينها ، لكن الإصرار على المضي سلاح جامد لا يعرف التراجع ، ولا تقاس الصعوبات ولا تذكر كثيراً بعدما ينجز الهدف ....

ومن هذه الصعوبات :

1- صعوبة الحصول على المصادر والمراجع اللازمة لإنجاز هذا البحث ؛ وذلك للأسـباب السياسية الصبعة التي يعيشها قطاع غزة .
2- قلة الدواوين الشعرية بسبب الحصار الصهيوني على قطاع غزة ، والمنع من السفر إلـى الضفة الغربية .
3- انقطاع التيار الكهربائي نتيجة الحصار الظالم المفروض على الشعب الفلسطيني ، وعـدم توفر البديل لسرعة إنجاز البحث .
4- التهديد المستمر للصهاينة باجتياح قطاع غزة ، وما صاحبه من قلق نفسي .

سادساً : خطة البحث

اتجاهات الشعر الفلسطيني بعد أوسلو (دراسة نقدية)

وقد استدعت غايات هذا البحث أن يتوزع على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما التمهيد فتحدثت فيه عن البيئة العامة لموضوع البحث ، فعرضت مشاهد الواقع السياسي ، واتبعتها بشواهد من الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وتحدثت أيضاً عن مفهوم الاتجاهات الأدبية والفنية في اللغة والاصطلاح ، ثم كان الباب الأول ، وكسرت الحديث فيه على ثلاثة فصول ، تناولت في الأول منها (النضال والمقاومة) . وتحدثت في الثاني عن (موقف الشعراء من أوسلو) . وكان الفصل الثالث لدراسة (الاتجاه الإنساني والاجتماعي) .

وتحدثت في الباب الثاني عن الاتجاهات الفنية التي انتمت إليها النصوص الشعرية لموضوع البحث ، فكانت أربعة اتجاهات (الواقعي ، والرمزي ، والرومانسي ، والكلاسيكي) .

وجاء الباب الثالث لينزل الشعر الفلسطيني بعد أوسلو منزلته الفنية التي يستحق ، وقد توزع الحديث فيه على فصلين ، اهتم الأول منهما بدراسة الظواهر اللغوية التي سادت هذا الشعر ، واهتم الفصل الثاني برصد الظواهر الفنية المتنوعة ، ثم جاءت الخاتمة لتتوج هذا البحث وتُجمل ما توزع في فصوله ومباحثه ، وتحصر النتائج والتوصيات .

واللهَ أسألُ أن يلهمني الصواب ، وأن يوفقني إلى سواء السبيل .

التمهيد

أولاً : البيئة العامة

1- البيئة السياسية .
2- البيئة الاقتصادية .
3- البيئة الاجتماعية .

ثانياً : مفهوم الاتجاهات الأدبية والفنية .

1- الاتجاه الأدبي .
2- الاتجاه الفني .

أولاً: البيئة العامة

تفاقمت مأساة الشعب الفلسطيني بعد هزيمة (الخامس من حزيران عام 1967م) ، حيث أقدم الكيان الصهيوني على التهام ما تبقى من فلسطين بعد النكبة ، ولم ييأس الفلسطينيون ولم يستسلموا لهذا العدو الغاصب ، وإنما خاضوا صراعاً مراً معه دام عدة عقود ، ثم بدأت مرحلة من التفاوض بعد ذلك الصراع ، كان من نتائجه إنشاء السلطة الفلسطينية وعودة القيادة الفلسطينية من الشتات إلى جزء بسيط من الوطن بدأ بغزة وأريحا ، ثم إلى بقية المدن الفلسطينية في الضفة الغربية باستثناء القدس وعدد كبير من القرى الفلسطينية .

البيئة السياسية

بعد نكبة فلسطين وصدور قرار التقسيم 181 من الأمم المتحدة عام 1947م ، واستمرار الصراع مع العرب والصهاينة ، وتهجير معظم الفلسطينيين إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والدول العربية المجاورة ، لم تتحسن البيئة السياسية بل ازدادت تعقيداً ، عندما استولى الكيان الغاصب على الضفة الغربية وقطاع غزة ، وعلى شبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان السورية إثر هزيمة (الخامس من حزيران عام 1967م) .

لم يتوان الكيان الصهيوني بعد هزيمة العرب عام 1967م عن فرض وقائع جديدة على الأرض ، وأخذ ينفذ سياسة التهويد ،فبدأها بضم مدينة القدس الشرقية وجوارها إليه ، وجعل القدس عاصمة موحدة أبدية له في السابع والعشرين من حزيران عام 1967م .

وقد مارس الكيان الصهيوني أبشع أنواع الوسائل للاستيلاء على الأراضي الفلسطينية وأهمها :

1- الاستيلاء على أراضي الدولة وممتلكاتها .
2- الاستيلاء على أراضي الغائبين وممتلكاتهم .
3- مصادرة الأراضي وإغلاقها تحت ستار "أغراض الأمن".
4- إجبار المزارعين على تبديل أراضيهم بأراضٍ في أمكنة أخرى [1] .

وفي هذه المرحلة مارس الصهاينة أبشع أنواع التعذيب والإرهاب بحق الشعب الفلسطيني الذي حمل السلاح في كل من الأراضي المحتلة والأردن ولبنان ليدافع عن نفسه أمام هذه الجرائم البشعة . وكانت هذه الجرائم اللاإنسانية تلقى دعماً غربياً لا تعرف له حدود في كل محفل دولي ، أو في تكوين جماعات وهيئات تخصصت في دعم الكيان الغاصب . واستطاع هذا الكيان الغاصب

(1) المكتبة الجامعية : فلسطين تاريخها وقضيتها ، نابلس ، ص 258 .

في غمرة هذا التأييد أن يسن قوانين في برلمانه (الكنيست) لتشديد إجراءاتها القمعية كعدم السماح بعودة اللاجئين إلى قراهم ومدنهم داخل ما يسمى بالخط الأخضر ، كما لم تسمح بعودة النازحين بعد هزيمة عام 1967م إلى الضفة الغربية وقطاع غزة .

وكان الاستيطان الصهيوني من أخطر الممارسات التي قامت بها إسرائيل ، فقد انتشر هذا الاستيطان في هضبة الجولان وعموم الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء . وعملت الحكومات الصهيونية المتعاقبة على تنفيذ مشروع ما يسمى "مشروع يغئال ألون" الذي ينص على إنكار وجود الشعب الفلسطيني ، الأمر الذي يقضي بعدم الإقرار بحقوقه المشروعة ، وأهمها حق تقرير المصير ، كما حرص الكيان الصهيوني على نقاء الطابع اليهودي للدولة العبرية ، وعدم تحويلها إلى دولة ثنائية القومية تضم أقلية كبيرة من السكان العرب [1] . وقد تحولت هذه المستعمرات إلى قرى زراعية ومواقع عسكرية ، حيث يقيم الكثير من أفراد المؤسسة العسكرية الصهيونية في هذه المستعمرات .

في غمرة هذه الممارسات القمعية بحق الأرض والإنسان الفلسطيني واصل الفلسطينيون مقاومتهم للمحتل الغاصب ، ولم يبق الشعب الفلسطيني وسيلة أو شكلاً من أشكال النضال والمقاومة إلا استخدمه ، وشملت مظاهر المقاومة حمل القضية الفلسطينية إلى محافل دولية مختلفة ، وإلى جمعيات إسلامية مسيحية . كما لجأ إلى الإضرابات وحركات الاعتصام ، والتظاهرات السلمية ، ومقاطعة الإدارة العسكرية ، وإرسال مذكرات الاحتجاج والاستنكار لمصادرة الأراضي وإقامة المستعمرات . وواجهت إسرائيل هذه المظاهر بعنف ووحشية ، ومارست أقسى أنواع القهر والتعذيب مع الفلسطينيين . ولم تستجب إسرائيل لتوصيات وقرارات المنظمات الدولية المختصة بحقوق الإنسان ، ولا بقرارات الأجهزة التابعة للأمم المتحدة ، وإنما استغرقت في ممارسة السياسة العنصرية النازية .

وبعد خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان وتفرقها في عدد من الدول العربية التي تبعد آلاف الأميال عن فلسطين ، ازدادت الأجواء السياسية قتامة ، فانفجرت الانتفاضة الأولى في التاسع من ديسمبر عام 1987م ، بشرارة صغيرة كنتيجة لتراكم الهزائم والويلات والفواجع التي لحقت بالأرض والإنسان ، وانطلق الشعب الفلسطيني في ثورة عارمة شارك فيها كل فئات المجتمع الفلسطيني ضد المحتل الغاشم ، ودخلت الانتفاضة القاموس العالمي بعدما أصبح الحجر معلماً بارزاً فيها ، وجابهت الجماهير الفلسطينية العدو الصهيوني بكل ما وقع تحت أيديها من حجارة وقضبان وأدوات نضال...

وكان من دوافع الانتفاضة الفلسطينية الأولى :

---

(1) السابق ، 259 .

1- تراكم الآثار السلبية وبشكل سيء لسياسة القمع الصهيوني والقبضة الحديدة في إدارة شئون الفلسطينيين في الأرض المحتلة عام 1967م من مصادرة الأراضي ، وفرض الضرائب الباهظة وهدم البيوت ، والاعتقال التعسفي ، والإبعاد والإذلال والقهر ، ومداهمة البيوت ليلاً ، وإخضاع الشباب لمراجعة الأجهزة الأمنية الصهيونية ، وفرض الإقامة الجبرية .

2- تراكم الآثار السلبية لسياسة التبعية الاقتصادية التي فرضها الاحتلال الصهيوني على الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967م ، وحرمانها من الخدمات الصحية والمستشفيات ومحاربة القائم منها . وتضييق فرص العمل سواء للعمال غير المهرة أو خريجي المعاهد والجامعات .

3- نمو القيم الإسلامية والشعور الديني لدى مختلف قطاعات الشعب بفعل تنامي الصحوة الإسلامية في جميع أنحاء فلسطين منذ منتصف السبعينيات ، وبروز دور المساجد والكتاب والأنشطة الإسلامية والمعاهد والجامعات الإسلامية .

4- تنامي التيار الصهيوني الأكثر تعصباً واستكباراً وعدواناً ، وبروز المنظمات اليهودية التي تقوم سياستها على استفزاز مشاعر المسلمين بالسباب والشتيمة أو المناداة بضم فلسطين المحتلة بعد عام 1967م لدولة العدو الصهيوني ، وطرد سكانها للخارج ، وكذلك تعدد حالات الاعتداء على المساجد والآثار والمقدسات الإسلامية ، والتركيز بشكل خاص على هدم المسجد الأقصى وتهويد القدس .

5- اليأس من وعود التسوية السياسية أو العون الخارجي ، وخاصة في ضوء انعقاد القمة العربية الطارئ في عمان في شهر نوفمبر عام 1987م ، وكذلك إخفاق منظمة التحرير في إنجاز أي من وعودها على الرغم من تأميل الناس كثيراً في أعقاب انعقاد المجلس الوطني الثامن عشر ، والعزف على نغمة الوحدة الوطنية الفلسطينية ودور السوفيات في انعقاد المؤتمر الدولي .

6- إذكاء روح الحماس للمواجهة بفعل بعض العمليات البطولة كعملية النسر- بغض النظر عن دوافعها – وعملية الشجاعية ، وكذلك بسبب زيادة حدة إجراءات سلطات الاحتلال وهجمات المستوطنين وسقوط قتلى من الأطفال والنساء [1].

وقد برز دور الحجر الفلسطيني في قذف قوى الشر والقمع والقتل ، وأصبح الحجر رمزاً للانتصار على الظلم وقهر المحتل الغاصب ، ويعبر عن كل القيم الإنسانية في تحقيق العدالة

(1) فتحي يكن : القضية الفلسطينية من منظور إسلامي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، (دون تاريخ) ص 175 ، 176 .

والحرية والاستقلال ، وصار الحجر وسيلة لتحقيق الحلم بالعودة إلى الوطن . وطفق الشعراء في تمجيد دور الحجر ، من ذلك مثلاً تمجيد الشاعر العربي السوري نزار قباني الحجر والطفل الذي يرفعه فيقول [1] :

بهروا الدنيا
وما في أيديهم إلا حجارة
وأضاءوا كالقنابل
وجاءوا بالبشارة
قاوموا وانفجروا واستشهدوا
وبقينا دبباً قطبية
صفحت أجسادنا ضد الحرارة
قاتلوا عنا إلى أن قتلوا
وبقينا في مقاهينا كبصاق المحارة

وفي أثناء الانتفاضة الأولى جرت مفاوضات بين الفلسطينيين والصهاينة في مدريد أولاً عام 1991م ، وكان الوفد الفلسطيني ضمن الوفد الأردني ، وليس بصورة مستقلة . وقد كان مؤتمر مدريد احتفالياً استغلته إسرائيل بشكل كبير في عرض رؤيتها للحل السياسي بطريقة أربكت الطرف الفلسطيني الذي لم يكن موفقاً في الإشارة إلى كثير من القضايا ، والتي منها الحق التاريخي والعقدي للشعب الفلسطيني في أرضه الذي لم يذكره على الإطلاق كما أبدى الوفد الفلسطيني استعداده للتعامل وفق قواعد اللعبة السياسية التي تصنفها الولايات المتحدة والكيان الصهيوني[2].

كما تفاوض الفلسطينيون مع الصهاينة في مناطق أخرى من العالم ، قدم الفلسطينيون التنازل تلو الآخر ، كالتي دارت بين الولايات المتحدة ومندوب منظمة التحرير في تونس السيد حكم بلعاوي ، وقد أدت هذه الاتصالات إلى ما يلي :

1- الاعتراف بقرارات الأمم المتحدة 242 – 338 ، التي كانت مرفوضة من قبل منظمة التحرير ، وكان القبول بها يعد خروجاً عن الصف الوطني وخيانة للقضية ؛ لأنها كانت تقضي بالاعتراف بإسرائيل ، الأمر الذي يشكك في مقاومة الشعب الفلسطيني وحقه الشرعي في أرضه .

---

(1) نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، منشورات نزار قباني ، بيروت – لبنان الجزء السادس ، الطبعة الأولى ، 1993 ، ص 203 .

(2) عاطف إبراهيم عدوان : دراسات في القضية الفلسطينية ، الطبعة الرابعة (دون تاريخ) ، ص 219 .

2- إخراج النظام العربي الرسمي من المعادلة بعد أن كان يشعر بواجبه ومسئولياته تجاه القضية الفلسطينية .

3- التنازل عن مطلب المؤتمر الدولي لحل القضية تنازلاً عادلاً .

4- أدت إلى إلغاء الميثاق واعتبار المقاومة إرهاباً .

5- أدت إلى تأجيل القضايا الرئيسية مثل القدس والحدود والمستوطنات وحق العودة إلى مفاوضات الحل النهائي .

6- الرضى بالتنازل عن الشخصية السياسية الفلسطينية والدخول في المفاوضات مباشرة عن طريق الوفد الأردنى [1] .

وقد أدت هذه المفاوضات السرية والعلنية إلى ميلاد اتفاق أوسلو الذي أدى إلى انقسام الشعب الفلسطيني بين مؤيد ومعارض لهذا الاتفاق ، وكان الانقسام في الشارع الفلسطيني حول الاتفاق عميقاً ، فمؤيدو الاتفاق رأوا أن هذا الاتفاق هو إنجاز كبير في ظل المعادلات الدولية الجديدة ، التي تؤكد الهيمنة الأمريكية ، وفي ظل العجز العربي المتفاقم ، وبالتالي شكل الاتفاق من وجهة نظرهم اعترافاً بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وبوجود الشعب الفلسطيني وسيؤدي إلى إقامة الدولة الفلسطينية ، واستنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل أن تذوب القضية ويتبعثر الوجود السياسي للشعب الفلسطيني [2] .

كما وقع الفلسطينيون مع الصهاينة اتفاقيات أخرى ، كاتفاقية القاهرة 1994م واتفاقية طابا 1995م ، واتفاقية واي ريفر 1998 م ، واتفاق شرم الشيخ 1999م . ولم تلتزم إسرائيل بأي اتفاق ووقعته مع السلطة الفلسطينية ، وماطلت في كل شيء ، وهذا ما أحرج السلطة التي كانت في أمس الحاجة إلى تحقيق إنجاز على أرض الواقع ، خصوصاً أنها تعرضت لنقد كبير في أدائها ، وكذلك في تنازلاتها المستمرة ، واستعدادها لقبول كل ما يعرض عليها أو يفرض عليها من إسرائيل والولايات المتحدة [3] .

كل هذا التراكم الهائل من الاتفاقيات والمماطلة في تنفيذها أدى إلى حالة كبيرة من الاحتقان والغليان في صفوف الشعب الفلسطيني . وكان دخول شارون إلى باحة الحرم القدسي الشريف عام 2000م القشة التي قصمت ظهر البعير . فاندلعت الانتفاضة الثانية – انتفاضة الأقصى – وقد تميزت انتفاضة الأقصى عن انتفاضة الحجر باستخدام الأسلحة النارية والمتفجرات بمختلف أنواعها وأشكالها بصورة ملحوظة . وكان من نتائج وآثار انتفاضة الأقصى سقوط آلاف الشهداء ، وهدم آلاف البيوت ، وسجن عشرات الآلاف من الرجال

(1) السابق ، 219 .

(2) السابق ، 224 .

(3) السابق ، 228 .

والأطفال والنساء ، وتجريف مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية ، وهدم وقصف مئات المنشآت الصناعية ، كما حوصرت القيادة الفلسطينية نفسها في مدينة رام الله .

وفي أثناء الانتفاضة الثانية لجأ الكيان الصهيوني مدعوماً من الغرب إلى مضاعفة الاستيطان في الضفة الغربية ، وقام بمصادرة مئات آلاف الدونمات من الأراضي الزراعية ، واحتلال قمم الجبال والتلال ، ولم يكتفِ الاحتلال الصهيوني بذلك بل لجأ إلى تقطيع أوصال الضفة الغربية ببناء جدار إسمنتي يفصل بين القرى والمدن الفلسطينية وأحياناً يفصل بين بيوت القرية الواحدة نفسها .

وأمام كل هذا القمع والتنكيل ظل الشعب الفلسطيني صامداً يسير حياته بما استطاع أن يوفره من إمكانات تساعده على مواصلة عيشه ونظام حياته . ولم تنحن له هامة أمام كل هذه الضغوط التي تمارس عليه ، أجرى الشعب الفلسطيني انتخابات تشريعية ورئاسية مرتين الأولى عام 1996م ، والثانية عام 2006م ، واعترف الكيان الصهيوني ومعه الغرب بنتائج الانتخابات الأولى ، ولم يعترف بنتائج الانتخابات التشريعية الثانية التي فاز بها الاتجاه الإسلامي عام 2006م . وأخذت الأحوال في كافة ميادين الحياة تسير من سيء إلى أسوأ ، بعد حصار شامل شل معظم قطاعات الحياة في قطاع غزة . ويقل واقع الضفة الغربية والقدس سوء عن قطاع غزة ، فقد شهدت تمزقاً رهيباً بين مدنها وقراها أشبه ما تكون بكنتونات ، وجعل المحتل الصهيوني التنقل فيهما شبه مستحيل .

وكانت الظروف السياسية الصعبة التي مر بها الشعب الفلسطيني قد انعكست بصورة مباشرة على حياته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ففي هذه العقود الطويلة ظل الإنسان الفلسطيني يعاني من الفقر والاضطهاد الاستعماري ، وعانى من الضياع والتشتت والبعد عن الأهل والوطن ، كما فقد حريته الفكرية والثقافية ، ولكنه استطاع أن يواجه كل هذه التحديات ليدافع عن كيانه واستقلاله .

وبالرغم من كل ما حل بالشعب الفلسطيني من ويلات ومآسٍ وفواجع ، لم ينقطع حلمه بالعودة إلى وطنه . ذلك ما نراه في قول أبي سلمى في قصيدته "المشرد" التي يقول فيها (1) :

يا فلسطين وكيف الملتقى	هل أرى بعد النوى أقدس ترب
وأرى قلبي على شاطئها	ناشراً أحلامه العذراء قربي
وأرى السمراء تلهو بالهوى	تهب النور لعيني كل صب

(1) عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) : ديوان أبي سلمى ، دار العودة ، الاتحاد العام للكتّاب الفلسطينيين ، بيروت 1989 ، ص 157 .

البيئة الاقتصادية

كان لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام 1947م ، وللمجازر والجرائم الصهيونية أسوأ الأثر على حياة الشعب الفلسطيني بشكل مباشر ، حيث تم اقتلاعه من أرضه وبيئته وتهجيره إلى المنافي والشتات ، وحاصره في مناطق ضيقة كقطاع غزة ومخيمات اللاجئين في الضفة الغربية وبعض الدول العربية ، وقد تحول مئات الآلاف من الفلسطينيين إلى مشردين بلا مأوى أو مصدر رزق ، ولم يسعف الفلسطيني إلا وكالة الغوث الدولية التي أمدته ببعض المواد الغذائية الأولية ، وساعدته في إنشاء المخيمات في بعض أجزاء فلسطين والدول العربية المجاورة .

أحس الإنسان الفلسطيني أن معاناته سيطول أمدها ، فعمل على تحسين حياته الاقتصادية وظروف حياته اليومية ، فأخذ يمارس بعض الأعمال الزراعية والصناعية ، بينما توجهت أنظار فريق آخر إلى العمل في الدول العربية الخليجية وليبيا .

أقامت أعداد كبيرة من الفلسطينيين في الوطن حياة اقتصادية شبه مستقرة تعتمد على الزراعة وقليل من الحرف الصناعية البدائية ، بينما لم يستطع الفلسطينيون الذين هجروا إلى الشتات أن يقيموا نظاماً اقتصادياً يضمن لهم العيش الكريم ، فقد حظرت هذه الدول النشاط الاقتصادي على الفلسطينيين إلا بعضاً منه ، وفرضت قيوداً وقوانين صارمة . وعمل كثيرون منهم في الوظائف الحكومية وبعض الأعمال التي سمحت بها الدول التي لجأوا إليها.

أما في الضفة الغربية وقطاع غزة فأخذت الأراضي الزراعية تتناقص مساحتها ، إما بسبب سياسة مصادرة الأراضي الزراعية التي نهجتها الحكومات الصهيونية المتعاقبة لإنشاء المستوطنات الصهيونية والمواقع العسكرية ، وإما لتحويل هذه الأراضي إلى مساكن لمواجهة الزيادة الطبيعية في النسل – كما يلاحظ في قطاع غزة – وعند الحديث عن الصناعة ، فيمكن القول إنها تحسنت بصورة ملحوظة ، لكن تحسنها ظل مرهوناً بالضغوط الصهيونية التي لا تسمح بحرية التسويق لخطوط الإنتاج الفلسطينية ، وإنما كانت تفرض قيوداً لا حصر لها على الاقتصاد الفلسطيني خوفاً من المنافسة أحياناً ، وأخرى لكي لا يشعر الإنسان الفلسطيني بنوع من الحرية الاقتصادية .

كما قام الكيان الصهيوني بربط الاقتصاد الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة بالاقتصاد الصهيوني ساعياً إلى تحجيمه وعدم نموه . وعملت إسرائيل على خنق هذا الاقتصاد الضعيف ، واتخذت إجراءات كثيرة كإغلاق المصارف العربية التي كانت تعمل قبل الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة . وفرضت ضرائب باهظة على المنتجات والحرف والورش الصناعية

والزراعية ، ولكنها في المقابل قدمت تسهيلات للمشاريع المرتبطة بالاقتصاد الـصهيوني لكـي تصبح هذه المناطق سوقاً استهلاكية للمنتجات الصهيونية [1] .

ولعل أخطر ما قامت به إسرائيل هو جذب الأيدي العاملة العربية إلى العمل في المشاريع الزراعية والصناعية الصهيونية نظراً لارتفاع أجور هذه الأعمـال . واندفع آلاف الفلـسطينيين للعمل في الأعمال اليدوية الشاقة رغبة في الحصول على هذه الأجور المرتفعة وقد اضطر الكثير من الشباب إلى ترك دراستـهم والتفرغ للعمل لمواجهة ظروف الحياة القاسـية التـي فرضـها الاحتلال .

كما اتبعت إسرائيل في الضفة الغربية سياسة "الجسور المفتوحة" مع الأردن ، وسـمحت هذه السياسة بتسويق المنتوجات الزراعية والصناعية في الدول العربية ، ولجأ الكيان إلى مثل هذه الخطوات الاقتصادية ليحافظ على أسعار منتجاته المشابهة لهذه المنتوجات داخل إسـرائيل وفـي الأسواق العالمية [2] . ولتظل خطوط التجارة بقبضة المحتل وتحت إدارته ، يسمح بها ويخـضعها لقوانين وأنظمة صارمة ، وليبقى متحكماً بتصديرها أو منعها من التصدير ، وظل الحـال بهـذه الصورة حتى أنشأت السلطة الفلسطينية ، إلا أن الوضع الاقتصادي ازداد سوءاً بعد توقيع اتفاقيـة باريس التجارية . واستطاعت إسرائيل أن تفرض ما تريد من إجراءات ضد التصدير والاستيراد ، ولم تسمح بدخول الكثير من المواد الأساسية للزراعة والصناعة إلى قطاع غزة والضفة الغربية .

وعندما اشتعلت انتفاضة الأقصى صبت إسرائيل جام غضبها على الأراضـي الزراعيـة وآبار المياه والمنشآت الصناعية ، فقامت بتجريف آلاف الدونمات من الأراضي الزراعية ، كمـا قصفت وهدمت مئات المنشآت الصناعية ، وفرضت قيوداً صارمة على التجارة مع الدول العربية والأجنبية . وتحول عشرات الآلاف من العمال الفلسطينيين إلى جيش من العاطلين عن العمـل ، وهؤلاء انضموا إلى آلاف أخرى منعتهم إسرائيل من دخولها وممارسة أي عمل بها .

وبعد فوز الاتجاه الإسلامي بانتخابات المجلس التشريعي عام 2006م ، أوقف الكيان عمل جميع العمال الفلسطينيين داخل الخط الأخضر ، كما عطل تصدير الكثير من المـواد الأساسـية اللازمة للزراعة والصناعة ، وكان نتيجة لذلك وجود أعداد ضخمة من العاطلين عـن العمـل ، فازدادت الحياة قسوة ومرارة ، وأصبحت ظروف الحياة لا تطاق .

إلا أن هذا الضغط والحصار الاقتصادي لم يضعف الإنـسان الفلـسطيني ، وإنمـا زاده إصراراً على التمسك بأرضه وحقه في الحياة ، وأخذ يرفع شعاراً يهتف به بصوت عالٍ "الجوع لا الركوع" ، واستطاع أن يصمد ويقاوم ، ولم تنل هذه الإجراءات وهذا التعسف من عزيمته شيئاً .

---

(1) المكتبة الجامعية : فلسطين تاريخها وقضيتها ، 261 .

(2) السابق ، 261 ، 262 .

البيئة الاجتماعية

عاش الشعب الفلسطيني بعد تهجيره من أرضه ووطنه ظروفاً اجتماعية يعجز البشر عـن تحملها ، فبعد النكبة عام 1948م تحولت البيوت والقرى التي بناها الإنسان الفلسطيني بيـده إلـى خراب ودمار ، فقد قام الكيان الغاصب بهدم معظم القرى الفلسطينية ومحو آثارها حتـى يقـضي على حلم الإنسان الفلسطيني بالعودة إليها . ولجأ الفلسطينيون إلى خيام في الشتات والمنافي ، ولم تستطع هذه الخيام أن تحميه من برد الشتاء ولا حر الصيف ، كما نال الفقر نصيبه منه بعد أن فقد الفلسطيني أرضه ومصدر رزقه ، وصار لاجئاً يعيش على فتات تقدمه بعض الهيئات والمؤسسات الدولية .

وقد رفض الشعب الفلسطيني كل محاولات التوطين في الـدول العربيـة ، وقـاوم هـذه المحاولات مقاومة عنيدة . وظل يعيش في مخيمات يغلب عليها طابع البؤس والشقاء . لقـد ظـل مطلوباً أن يظل الشعب الفلسطيني محجوزاً في المخيمات ، حتى يتم ترويضه والإعـداد لتـصفية قضيته ، وقد اتخذت محاولات التصفية شكلين أساسين :

الشكل الأول : مشروعات التوطين التي كانت تهدف إلى قيام الشعب الفلسطيني بتعميـر بـضعة مناطق قاحلة مجدبة ، مثل صحراء سيناء ، ووادي الأردن ، حتى يتم قتل الكفـاءات والخبـرات التي اكتسبها ، وعزله عن مشاركة القوى الفاعلة في المجتمع العربي في النضال من أجل التحرر والتقدم .

الشكل الثاني : هو تطوير جهاز تعليم وتدريب الأجيال الجديدة من الشعب الفلـسطيني ، بحيـث يؤدي هذا التعليم إلى تخريج كوادر لا يجدون مجالاً للعمل في منطقة تجمع شعبهم ، ويـضطرون بالتالي للهجرة إلى المناطق النائية (1) .

وقد استقبلت الدول العربية وفود المهاجرين الفلسطينيين ، وفرضت عليهم قيـوداً شـديدة لمنعهم من ممارسة العمل لتوفير فرص العمل لمواطنيها ؛ وهذا أدى إلى وجود أعداد ضخمة من العاطلين عن العمل في تلك الدول . وواجه الفلسطينيون تعقيدات أخرى كثيرة ، فقد منعـوا مـن التوسع في مخيماتهم وبناء المساكن لمواجهة الزيادة الطبيعية ، وأدى ذلك إلى وجـود الاكتظـاظ والازدحام داخل هذه المخيمات ، وقد شجع هذا الواقع المزري بعض الأسر على الهجرة إلى دول أخرى دول عربية وأجنبية .

ولم تكن الحياة الاجتماعية في قطاع غزة والضفة الغربية أفضل حالاً من الحياة في الدول المجاورة . فبعد أن عاش الفلسطينيون في خيام عدة أعوام ، بدأت وكالة الغوث وعدد من الهيئات الدولية الأخرى بتحويل هذه الخيام إلى مساكن حجرية ثابتة ، كما وفرت وظائف لكثيـرين فـي

---

(1) زياد الصغير : تطور القضية الفلسطينية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، (دون تاريخ) ، ص 55 .

مجالات كالصحة والتعليم . وما زالت المعاناة قائمة ويمكن القول إنها تتفاقمـت ؛ لأن الأرض لا تزيد مساحتها ، وأما الأنفس البشرية فإن أعدادها تزداد بصورة مهولة .

فبعد عام 1967 م لجأت إسرائيل إلى هدم آلاف المنازل التي بنتها وكالة الغوث الدوليـة في المخيمات الفلسطينية بحجة مقاومة الفدائيين الفلسطينيين ، وقامت بترحيل أعداد كبيـرة إلـى العريش وأماكن أخرى . وقد وافقت إسرائيل فيما بعد على إقامة مساكن على الأراضي الزراعية المثمرة كمحاولة لزيادة اعتماد الفلسطينيين على الحكم العسكري ، وشهدت الأراضـي الزراعيـة تراجعاً مخيفاً في مساحتها ؛ لأن الاستيطان قد التهم أراضي كبيـرة ، وكـان لإقامـة المـساكن والمصانع والورش الصناعية نصيب آخر . ولم يخفِ المحتل نواياه السيئة نحو الشعب الفلسطيني لكي لا يشعر الفلسطينيون بأي نوع من الحرية الاقتصادية .

وليبقى الكيان الغاصب محتفظاً بسيطرته على كافة ميادين الحياة المختلفة ، فـتح أبـواب العمل لعشرات الآلاف من الفلسطينيين للعمل في داخل ما يسمى الخط الأخضر ، وكـان العمـال الفلسطينيون يعملون في مجالات كالزراعة والبناء وبعض الصناعات ، ولا ينكر أحد أن ظـروف هذه الطبقة من العمال قد تحسنت كثيراً ، وأدى تحسنها إلى انتعاش طبقات أخـرى فـي الـضفة الغربية وقطاع غزة . واستطاع الفلسطينيون أن ينهضوا بتعليم أبنائهم وبناتهم تعليماً جيداً ، بعد أن كان محصوراً في المراحل التعليمية الأولى . كما تمكن كثيرون من تحـسين ظـروف حيـاتهم المعيشية ، فقلت نسبة البطالة ، كما ازداد دخول المرأة إلى ميادين العمل كالتعليم والصحة وبعض الوظائف وبعض المهن الخاصة .

لكن الأوضاع الاجتماعية بدأت تسوء مع اندلاع الانتفاضة الأولى ؛ لأن الجيش الصهيوني كان يفرض منع التجوال ، ويمنع العمال من ممارسة أعمالهم ، فارتفعت نسـبة العـاطلين عـن العمل . وازداد الأمر سوءاً مع قدوم السلطة الفلسطينية ، حيث ضيق الاحتلال على الشعب ، فقيد قوانين العمل وحرية الحركة والسفر إلى الخارج ، رغبة منه في فرض مشاريع التـسوية علـى الفلسطينيين ، وبعد الانتخابات التشريعية الثانية التي فاز بها الاتجاه الإسلامي ، منعـت سـلطات الاحتلال جميع العمال في قطاع غزة والضفة الغربية من ممارسة أعمالهم داخل الخط الأخضر .

أمام كل هذه الظروف المتردية التي مر بها الشعب الفلسطيني ، والزيادة المطردة في عدد السكان ، وكثرة الأحداث الدامية والمآسي والفواجع التي عمقـت المأسـاة الفلـسطينية ، انطلـق الشعراء والكتّاب الفلسطينيون يعبرون عن التمزق والضياع والمقاومة ، فبكوا وطـنهم الـسليب وأرضه المقدسة ومدنه وقراه وجباله ووديانه وسهوله . كما جاءت قصائدهم صادقة معبرة عـن عواطفهم وأحاسيسهم نحو وطنهم وشعبهم ، واتخذوا اتجاهات أدبية وفنية مختلفة ، دون أن يشـهد الشعر الفلسطيني تراجعاً في مستواه الفني والأدبي عن مستويات الشعر العربي .

إن الشعب الفلسطيني شعب التضحيات التي لا تعرف الحدود ، وعلى مدى عقود طويلة لم يهن ولم يركع ، بل زادت تضحياته ولم يتوقف شلال دمه بالرغم من السلام المشئوم والتنـازلات والقبول بأي حل يفرض عليه . بل أصبح كأسطورة طائر الفينيق الذي يحضر محرقتـه عنـدماً يشعر باقتراب موته ، فيقوم بحرق نفسه ليولد من رماده مرة ثانية . وكان حال الشعب الفلسطيني – وما زال – كما قال راشد حسين [1] :

سنفهم الصخر إن لم يفهم البشر ... أن الشـعوب إذا هبت ستنتصـر

فالثائرون على جـلادهم دمهـم ... بحر... وأشلاؤهم في وسطه جزر

شـعب تمطى فلا قيـد يكبـله ... ولا تغيبـه في صـدرها الحفـر

وجمـدتْ في فم الثوار أغنيـةٌ ... فالبندقيـة عـود واليـد الوتر

ما كان حبـهم للقتـل رائدهـم ... بل حبهـم لضـياء الشمس يستعر

ثانياً : مفهوم الاتجاهات الأدبية والفنية

لم تكن الاتجاهات الأدبية والفنية معروفة في الشعر العربي قبل القرن العـشرين ، ولـم يعرف الشعراء العرب المذاهب أو المدارس الأدبية التي نشأت في الغرب ، وإنما عرفـت بعـد الاتصال الكبير بالحضارة والثقافة الغربية ، ومع سيطرة الاستعمار الأوروبي على العالم العربي .

يقول كامل السوافيري [2] : "وإذا كان للمذاهب الأدبية في الغرب أصـول ومناهج تتقيـد بها ، وأزمنة محددة ظهرت فيها ثم أخذت تتصارع وتتخاصم على مر الزمن ، فإن الأدب العربي لم تقم فيه هذه المذاهب ، وليس معنى ذلك خلو أدبنا العربي من اتجاهات فنية ربما التقت – فـي بعض الخصائص والسمات – مع المذاهب الأدبية التي ظهرت في الأدب الغربي ، ولكن معناه أنه ليس في أدبنا العربي مدرسة اتباعية أو كلاسيكية" وأخرى إبداعية أو "رومانتيكية" "بالمعنى الفنـي الدقيق" .

لكن أدبنا العربي عرف منذ أقدم العصور ظاهرة القدامى والمحدثين ، وظاهرة تـصنيف الشعراء . وهذا واضح فيما قاله كامل السوافيري [3] : "في أدبنا العربـي قـدامى ومحـدثون ،

---

(1) راشد حسين : الأعمال الشعرية : مركز إحياء التراث العربي ، الطيبة ، الطبعة الأولى ، 1990 ، ص 226 . 227 .

(2) كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مكتبة الأنجلـو المـصرية ، القـاهرة ، 1973 ، ص 148 - 149 .

(3) السابق ، 149 .

وشعراء الطبع وشعراء الصنعة ، وهناك من [1] يقرر أن في الشعر العربي ثلاثة مذاهب مذهب الصنعة ، ومذهب التصنيع ، ومذهب التصنع ، يقرر أيضاً أن التكلف كان مذهباً عاماً بين الشعراء ، وخير مثال يمثل هذا المذهب ويفسره في العصر الجاهلي هو زهير صاحب الحوليات الذي كان ينقح شعره ويصقله ، وكان يفحص ويجرب كل قطعة من نماذجه" .

تأثر الشعراء الفلسطينيين كإخوانهم الشعراء العرب بالاتجاهات الأدبية والفنية التي كانت منتشرة في الغرب ، فلم يسيروا في اتجاه واحد ، وإنما تعددت هذه الاتجاهات بحسب قوة تأثرهم وتفاعلهم مع الحدث والفكرة ، ومنهم من تأثر بالثقافة العربية الأصيلة ، وظل شعره يسير في ركب القديم .

وقد استخدمت المصطلحات الأدبية والفنية (اتجاه ، مذهب ، نزعة) بمعنى واحد متقارب إلى حد كبير . لكن إحسان عباس يرفض أن يسمي دراسته بعض جوانب الشعر العربي ضمن فترة معينة اتجاهاً أو مذهباً ، وإنما سماه "المنفذ الداخلي" .

يقول إحسان عباس [2] : "واخترت مدخلاً لدراسة ذلك الشعر [3] أستطيع أن أسميه "المنفذ الداخلي" مبتعداً بذلك عما نهج الدارسون برؤيته من الخارج ؛ لأنها رؤية سهلة ، إذ يقفون عند مثل الاتجاه السياسي أو القومي أو الوطني ... علماً بأنني – وهذا رأي أعتنقه – أرى هذه مؤثرات خارجية – لا اتجاهات – قد تفعل في الشعر ولكنها تظل تمثل مواقف "خطابية" أو في أحسن حالاتها "عقائدية" أو "أيدلوجية" ، وأن الشعر بمعناه الأسمى – إذا ركِبها لم يعد ثمة فرق بين نماذجه الدنيا ونماذجه العليا ، فالنوعان من هذه النماذج قد يدرسان معاً ؛ لأن فيهما شواهد على هذا المؤثر أو ذاك ، ولا يدرسان لقيمتهما الفنية . وحصيلة أكثر الدراسات للشعر في عالمنا العربي ، تنحو هذا المنحى فلا تكون أكثر تلك الدراسات إلا تمثيلاً على ظاهرة ما عند عدد قليل أو غفير من الشعراء" .

لقد حكم إحسان عباس على رأيه بنفسه ، وبين أن هناك فرقاً بين الاتجاه وبين المؤثر في دراسة الشعر العربي ، واعتبر أن دراسة الاتجاه السياسي أو القومي من خلال الشعر يحوله إلى وثيقة ، وهو أقل الوثائق في هذا المجال أهمية ، وذلك شيء يلحقه بالتاريخ ويفقده وظيفته الفنية [4]. ويبين إحسان عباس تعرضه لنقد لاذع من عدد لا يستهان به من الدراسين حول نظرته

---

(1) المقصود : النقاد .

(2) إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، دار الشروق للنشر والطبع ، الطبعة الثالثة ، (2001) ص 5 .

(3) المقصود : الشعر العربي .

(4) إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر 6 .

في الاتجاهات أو المؤثرات ، وينقل رأياً لناقد لم يصرح باسمه . فيقـول [1] : "ويقـول الـدكتور إحسان في تبريره لمجافاة دراسة الشعر المعاصر باعتباره اتجاهاته السياسية إن ذلك يحيل الشعر إلى وثائق ، دون أن يركز حول فكرة أو أفكار معينة ، وكأن معالجة الاتجاهات الـسياسية فـي الشعر ستجرده من الفكرة ، أو أن اختيار الدكتور للعمق النفسي والفكري – كما يسميه – يمكـن معالجته بمنأى عن الاتجاهات السياسية أو الوطنية أو القومية... وهذا الخطأ المنهجي – الذي هو للأسف سمة أغلب الدراسات الأكاديمية – سينسحب كما سنرى – على أغلب معالجات فصول هذا الكتاب... "

ومهما يكن من أمر الاختلاف أو الاتفاق على تحديد مفهوم الاتجاه أو المؤثر ، فقـد درج معظم الدراسين لاتجاهات الشعر العربي في مختلف عصوره على تسميته دراساتهم بالاتجاهات.

وقبل الدخول في دراسة الاتجاهات الأدبية والفنية للشعراء ، لا بد من تعريف الاتجاه في اللغة وفي الاصطلاح .

الاتجاه في اللغة :

جاء في لسان العرب [2] " يقال: هذا وجه الرأي أي هو الرأي نفـسه. والوجـه والجِهـة بمعنى ، والهاء عوض عن الواو ، والاسم الوجهة والوجهة ، بكسر الواو وضمها ، والواو تثبـت في الأسماء كما قالوا وِلْدة ، وإنما لا تجتمع في الهاء مع المصادر . واتجه لـه رأي أي سـنَح ، وهو افتعل ، صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، وأبدلت منها التاء ، وأدغمت ثم بني عليه قولـك قعدت تُجاهك وتِجاهك أي تِلقَاءك " .

الاتجاه في الاصطلاح :

لعل تسمية الاتجاه أو المذهب أو النزعة تختلف باختلاف وجهات النظر بين الأدباء والنقاد وقد رأينا إحسان عباس يطلق على الاتجاهات السياسية والقومية والوطنية اسم "المنفـذ الـداخلي" ويعرف صاحب معجم مصطلحات الأدب النزعة الإقليمية فيقول [3] : " هي نزعة تظهر من وقت لآخر في الأدب عامة وفي الرواية أو الشعر خاصة لتصوير الحياة في منطقة معينة يتـأثر فيهـا الناس بالبيئة الجغرافية التي تحيط بهم . وتتميز هذه النزعة بالتزامهـا الواقعيـة فـي الوصـف

---

(1) السابق 6 .

(2) ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الثالث عشر ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الثالثة ، 1994 ، ص 556.

(3) مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1994 ، ص 470 .

والحوار ، وبأهميتها بحياة القرى والمدن الصغيرة بدلاً مـن اهتمامهـا بالحيـاة فـي العواصـم والأمصار . ويمكن اعتبار "نائب في الأرياف" (1937) لتوفيق الحكـيم ، و "دعـاء الكـروان ، (1941) للدكتور طه حسين مثالاً لهذه النزعة" .

ويضيف صاحب معجم مصطلحات الأدب قائلاً (1) : " نزعة ظهرت بألمانيا في الـسنين الخمس الأولى من هذا القرن لجعل الأدب يصور حياة الريف بوصفه خيراً من المدن الـصناعية التي يزدحم فيها السكان ويحجب سماءها دخان المصانع . ثم امتلأت هذه النزعة بـروح تمجيـد الريف بصورة مغالية في العنصرية والقومية المتطرفة حتى اعتبرت أحد الروافد التي أمدت روح التعصب العنصرية في الحركة النازية بألمانيا " .

وفي موضع آخر من معجم مصطلحات الأدب يعرف صاحب المعجم قائلاً (2) : استعمل هذا الاصطلاح في معان ثلاثة :

أولاً – الحركة الفكرية التي قام بها بعـض الكتـاب والمفكـرين الأوروبيـين أمثـال بتراركـا Petrarcha وايرازموس Erasmus وجيوم بوديه Guillaume Bude واولرخ فـون هـوتن Ulrich von Hutten في القرنيين الخامس عشر والسادس عـشر ، أي فـي عـصر النهـضة الأوروبية. وقد تميزت هذه الحركة بمحاولة الرفع من مستوى العقل الإنساني وذلك بخلـق ثقافـة جديدة تمتد جذورها إلى الحضارة اليونانية والرومانية القديمة ، وتتخطى التراث الديني المدرسـي الجامد في القرون الوسطى . فأصبح المذهب الإنساني بهذا المعنى تقديساً للماضي الكلاسيكي أدى إلى محاولة بعثه من جديد لا مجرد تقليده والاقتباس منه . ومن الواضح أن هذا المذهب بالتزامـه أساليب القدامى من الإغريق والرومان ينطوي على نزعة مستترة تدعو إلـى إنكـار الحـضارة المسيحية .

ثانياً – المعنى الذي قصده الفيلسوف الألماني فريديك شلير Friedrich suhiller في نظريتـه الفلسفية القائلة بأن المشكلة الفلسفية القائلة بأن المشكلة الفلسفية الكبرى تتعلق بالكائنات البشرية في محاولاتها فهم عالم التجارب الإنسانية بوساطة قوى العقل الإنساني وحده . ومما لا شك فيـه أن هذه النظرية تستند إلى حكمة بروتا جوراس Protagoras ، وهي أن الإنسان مقياس كل شيء . ومن أهم مبادئ نظرية شلير أن كل قضية تكون باطلة أو صحيحة حسب فائدتها للإنسان .

ثالثاً – وهذا المعنى هو عبارة عن إدراك عام للحياة السياسية والاقتصادية والأخلاقية ، قائم على الإيمان بأن خلاص الإنسان لا يتأتى إلا بجهود الإنسان نفسه . وهذا الإيمان بمعناه الديني الـذي يرتكز دائماً على الاعتقاد في إله خالق يتوقف الخلاص على مشيئه " .

---

(1) السابق ، 470 ، 471 .

(2) السابق ، 224 ، 225 .

أما صاحب كتاب المصطلحات الأدبية الحديثة فيعرف المذهب الإنساني بقوله [1] : لم "يعد مصطلح الهومانيزم [2] أو مذهب حرية الإنسان يحظى باحترام كبير في نظرية النقـد الأدبـي . بسبب ما قاله ألتوسير من أن كتابات ماركس الأولى كانت مثالية تدعو لاحترام جـوهر إنـسانية الإنسان ، خارج إطار الثقافة والمجتمع والتاريخ ، ومن أنه يعارض ذلك المذهب ، ومن ثم كانت دعوته إلى لفظ المصطلح ، وقد اتبعه في ذلك عدد من النقاد ، ولكن نقاداً آخرين لم يوافقوه علـى تفسيره لكتابات ماركس المبكرة ، وأوضحت بـولين جونـسون Paaline Jahnson (1984) أن إشارة ماركس إلى "الجوهر الإنساني" لا تعني تجاهل العوامل الخارجية ، محتجة بأن تفسيرها هو ما ذهب إليه لوكاتس وأدورنو" .

ويعرف كامل السوافيري المذهب الأدبي بقول [3] : "المذهب الأدبـي مجموعـة مبـادئ وأسس فنية يدعو إليها النقاد ويلتزم بها الكتّاب والشعراء في إنتـاجهم تـربط الأدب فـي شـكله ومضمونه بمطالب العصر وتياراته الفكرية . وهي لدى الداعين لها ، والمنتجين على مقتـضاها بمثابة القصيدة الممثلة لروح العصر ، وهي لذلك ليست مفروضة الكتاب والنقاد من خارج نطـاق العمل" .

وبعد التعريفات السابقة لمفهوم الاتجاه أو المذهب أو النزعة يمكن القول : إن الاتجاه هـو اتباع منهج أدبي أو فني يتصوره الأديب في نفسه وعقله ، عندما يتأثر بحدث مـا فـي مجـالات الحياة التي تعج بهذه الأحداث والأفكار ، ويكون اختياره لهذا المنهج قد تبلور بعد رؤية شاعرية اختمرت في وجدانه ، ووجدت هذه الرؤية طريقها إلى التعبير باستخدام الأدوات المناسبة لإخراج هذا الفن إلى الوجود .

أولاً : الاتجاه الأدبي

استجاب الأديب الفلسطيني لهموم وآلام شعبه قبل النكبة وبعدها ، وإلـى هـذه اللحظـات حيث عرف أن الأدب الفلسطيني مرتبط بالقضية الفلسطينية وبالأحداث المتصلة بها . إذا لم يرحم المحتل الغاصب هذا الشعب أينما وجد ، فلاحقه في داخل فلسطين وفي خارجها ، محاولاً بمعونة الغرب القضاء على آماله وتطلعاته في العيش الكريم وبناء وطنـه ونيل حريته .

---

(1) محمد عناني : المصطلحات الأدبية الحديثة ، الطبعة الثانية ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمـان ، الجيزة – مصر ، 1997 ، ص 41 .

(2) المذهب الإنساني ، الهومانيزم humanism .

(3) كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، 210 .

وأمام هذه الكوارث والفواجع التي ألمت بالشعب الفلسطيني ، برز دور الشعراء الفلسطينيين في تصوير ووصف المعاناة والألم ، ووصف التمزق والضياع والتشتت في الوطن وخارجه ، كما وصفوا صموده ومقاومته وتضحياته . وقد شمل هذا التصوير والوصف للعذاب والجراح كل المراحل التي مر بها الشعب الفلسطيني ، وانبرى الشعراء الفلسطينيون يصفون الأرض السليبة والإنسان المكلوم اللذين كانا مصدر إلهام وإبداع لهم .

وبعد الصراع الطويل والمرير في الوطن والشتات ، جاءت اتفاقيات أوسلو التي ظن كثير من أبناء الشعب الفلسطيني أنها سوف تؤدي إلى إرجاع جزء من الوطن المغتصب ، وتحسين ظروف الحياة . لكن الآمال خابت عندما اشتدت القسوة وزاد الظلم ، وبدأ الناس يعانون مرة ثانية . أما الشعراء والأدباء عامة ، فإن كثيرين وقفوا موقف المتحفظ على هذه الاتفاقيات وطالبوا بمواصلة النضال ، وعبروا عن رأيهم في عدم جدوى السلام مع الصهاينة ، بل وجدناهم يترجمون هذه المواقف من خلال تجاهل اتفاق أوسلو ، والاستمرار في اتجاه التنوير والتثوير ، وذلك من خلال بعث مشاهد النكبة ، أو النكسة ، أو رصد الأعمال الفدائية وبطولات وتضحيات الشعب الفلسطيني في انتفاضته الأولى ، وعندما تعثرت المفاوضات مع المحتل الصهيوني انضم كثير من الأدباء إلى قافلة أصحاب الاتجاه النضالي المقاوم ، ليعلنوا من خلال هذا الاتجاه عن تيقنهم بعد التجربة أن أوسلو لن تؤدي إلى السلام والحرية [1] .

ومع اندلاع الانتفاضة الثانية وما واكبها من بطش شديد بالبلاد والإنسان ، وسقوط آلاف الضحايا ، وآلاف أخرى من الجرحى ، وعشرات الآلاف من الأسرى ، لم يقف الشاعر الفلسطيني مكتوف الأيدي ، وإنما عبر عما تأثر به وهز أعماقه . فصور الأحداث والشهداء وما لحق بالأرض والشجر والحجر ، ورأى استهداف العدو المباشر للحياة الإنسانية في الضفة الغربية وقطاع غزة . كما رأى الاستيطان وجدار الفصل العنصري يتوغل في أرضه ويلتهمها ، ووقوف الناس أمام الحواجز العسكرية . حيث كان لهذه الممارسات الصهيونية القمعية أكبر الأثر على مشاعره وأحاسيسه .

إن الشعراء استجابوا لما يدور في وطنهم من أحداث ، والتصقوا بهذه الأحداث التصاقاً شديداً ، فهم جزء لا يتجزأ من شعبهم ، ولكن طرق التعبير لديهم اختلفت باختلاف تميزهم ومكانتهم الفنية .

---

(1) نبيل أبو علي : اتجاهات القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسلو ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة الفلسطينية ، 2005 ، ص 69 .

ثانياً : الاتجاه الفني

اختلفت الاتجاهات الفنية عند الشعراء الفلسطينيين في تعبيرهم عن بيئاتهم المختلفة . وكما تأثر الأدب العربي الحديث بالمذاهب الأوروبية التي ظهرت في الغرب منذ القرن السابع عشر كالكلاسيكية والرومانسية والرمزية والواقعية . فقد تأثر الشعراء الفلسطينيون بتلك المذاهب وبالشعراء العرب المعاصرين ، واتبعوا مذاهب مختلفة تعبر عن قضيتهم وعن الأحداث المتصلة بها .

وقد خلقت القضية مواقف وأساليب شعرية نبعت من وعي شعوري ، وبلورت مفاهيم ومنطلقات شعرية ، وهناك عوامل أخرى ساهمت في تحديد اتجاهات الشعر ، مثل دور المجلة والصحيفة والجامعة ومؤسسات الإعلام ووسائله ، ومدى الاطلاع على النظريات النقدية الحديثة ، ومدى صلة الشاعر بألوان التطور في الإخراج المسرحي ، والمنتمى جملة دون تفصيل ، ونمو المدن وتضاؤل شأن الحياة الريفية والاتجاه نحو التصنيع ، وغير ذلك من العوامل التي تقوم بدور كبير في حياة المجتمع الحديث . بل لعلنا أغفلنا أهم عامل بين تلك كل العوامل جميعاً وهو "شخصية الشاعر" نفسه . ومدى استقلالها ومدى قدرتها على صهر بعض هذه العوامل المقابلة للصهر ، أو نبذ ما لا يتفق وطبيعتها ، ومدى صلابتها وقدرتها على خوض التجارب ، أو مدى قابليتها للانهيار والضعف والتخاذل (1) .

إن الشعراء الفلسطينيين قد صاغوا تجاربهم الشعرية من واقع قضايا وهموم شعبهم ، فعبروا عن أحلامه وتطلعاته في كل مرحلة ، وأخذوا يسعون إلى تحقيق انسجام بين دور الكلمة ودور البندقية . ومالوا بشعرهم إلى المباشرة والخطابية مما قد يفقده شيئاً من رونقه وجماله الفني ، لكنهم بالرغم من ذلك واكبوا التطور الفني في القصيدة الشعرية الحديثة وساهموا في بناء تطورها اللغوي والموسيقي ، واختاروا ألفاظهم وصورهم وأساليبهم من معجم مأساوي .

---

(1) إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، 51 .

الباب الأول

الاتجاهات الأدبية

الفصل الأول

النضال والمقاومة

- حلم العودة إلى الوطن
- الحواجز العسكرية
- القدس الجريحة
- الصمت العربي

لم يتوقف نضال الشعب الفلسطيني ومقاومته يوماً ، وإنما ازداد حدة وشراسة ومارس نضالاً بصموده في أرضه ، كما رفض ممارسات الاحتلال اليومية ، وعبر عن هذا الرفض بالحجر والإضراب وكتابة الشعارات الداعية إلى المقاومة ، واستخدم الفلسطيني سلاحاً جديداً في مقاومته للمحتل الغاصـب ، إنه زرع الخوف والرعب في نفوس الإسرائيليين ، حيث كان هذا السلاح ينتقل بينهم ، ويوقع فيهم خسائر جسيمة .

ولما وقع الفلسطينيون مع المحتل اتفاق أوسلو ، وسمح الاتفاق بعودة الآلاف من الشتات وعلى رأسهم القيادة الفلسطينية ، أَمِلَ كثيرون أن تتحسن الأحوالُ وتشملَ مختلف قطاعات الحياة ، إلا أن الاتفاق جاء في مصلحة الكيان الغاصب .

إن هذا الكيان قد استغل اتفاق أوسلو أحسن استغلال ، فقام بمضاعفة الاستيطان والتهام ما يمكنه من الأرض الفلسطينية ، وتحكم في معابر السفر ونقل البضائع ، وأخذ يضع عراقيل أمام السلطة الجديدة لا حدود لها ، واستخراج فكرة محاربة الإرهاب محاولاً إيجاد حرب أهلية فلسطينية ، عجز عن خلقها أثناء احتلاله المباشر للضفة الغربية وقطاع غزة ، كما ضيق الخناق على الشعب الفلسطيني في تنقله بين قراه ومدنه وبين الضفة الغربية وقطاع غزة .

وأمام كل هذه الممارسات اليومية ، انتفض الفلسطينيون مرة ثانية ، واستخدموا السلاح الناري بصورة ملحوظة ، كما تضاعفت العمليات الاستشهادية في وسط مدنه الكبرى وازداد لهيب الانتفاضة ضد المستوطنين وجنود الاحتلال إلى أن تم انسحاب الجيش الإسرائيلي وهدم كل مستوطنات قطاع غزة ، لكن الاحتلال لم يفارق القطـاع ، بل يسيطر على السماء والأرض والبحر .

أولاً : النضال والمقاومة

برز دور الحجر في مقارعة الاحتلال ، وهو بالرغم من بساطة وسهولة استعماله ، فقـد كان سلاحاً مميزاً في الانتفاضة الأولى والثانية ، ولا يزال الحجر خالداً في نفوس الفلـسطينيين ؛ لأنه رمز للخلاص من الصهاينة ، وقد مجده الشعراء ورآه بعضهم أداة العبور للمستقبل ، من ذلك قول مروان برزق [1] :

المجد للحجر
للصخرة القدر
فهو لنا تأشيرة الدخول

---

(1) مروان برزق : ديوان رحيل مفاجئ ، الطبعة الأولى ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، 2003 ، ص 5 .

وهو لنا وثيقة السفر
من وهجه الربيع
في دربنا انتشر
وشمسنا تظل للضحى
وللخطوب راية الظفر
بل أنه قيامة
في الكهف والسفوح والوعر
والمد والإصرار للوغى
لو غاصب ومارق عبر
المجد للحجر

أشكال النضال والمقاومة

اتخذ النضال والمقاومة في فلسطين أشكالاً كثيرة ، ولم يقتصر على جانب واحد ، فكما قاوم الفلسطيني بسلاحه قاوم وناضل بصبره على الظلم العالمي ، وبثباته في أرضه وصموده عليها ، وقدم تضحيات جمة قبل أوسلو وبعدها. ومن هذه الأشكال :

1- الصمود في الأرض

أحب الإنسان الفلسطيني وطنه وتعلق به ، وارتبطت حياته به ، هذا الوطن يمنحه شخصيته وهويته ويكسبه صورته الحضارية ، ولا حياة كريمة بدونه ، فلا يمكن أن يرحل عنه أو يقبله مجزئاً ، وقد عبر صالح فروانة أجمل تعبير فيقول [1] :

سأل فتى
لِم يأسرنا حب الوطن ؟
أليست كل الأرض سواء ؟
أجاب معلم :
لو كانت كل الأرض سواء
فلماذا كل الغرباء

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية (انتفاضة الأقصى) ، (الجزء الأول) ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى ، 2004 ، ص 56 .

ويعاند الإنسان الفلسطيني ويتمسك بأرضه ، ويقاوم الإغراءات بالهجرة إلى الجنة الموعودة ، فهذه الجنة ليست له ، ويظهر إصراره على صموده وثباته في أرضه [1] :

أنسيتم قول العصفورة للصياد
يسألها أن تذهب لليمن
حيث رخاء العيش
وطيب السكن
تقول :
ليست كل الأرض سواء
حتى لو كانت دون ثَمَن

أما الشاعر مصطفى عثمان الآغا ، فإنه يظهر صموداً منقطع النظير ، ويتحدى المجرمين القتلة ، ويبين أن الصخرة الفلسطينية عجزت الأسلحة عن تحطيمها أو النيل منها ، بل إنها لحـم مر لا يستطيع أحـد أن يتذوقه ، وأن هذا اللحم ملأ كل الطرق والدروب ، فيقول [2] :

بيني وبين الشمس قافلة
من الشهداء
بيني وبين المجد شلال
من الحناء
دمنا على الأسفلت يشهد
أننا قلنا لهم
لا
لن تمروا
ومنا على الأسوار يشهد
أن لحم القدس مر
دمنا على شوك السياج قصيدة
لحن يجدد في دروب الشوكِ
أمجاد العرب

---

(1) السابق ، 56 .

(2) مصطفى عثمان الآغا : ديوان النورس ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، رام الله ، الطبعـة الأولـى ، ص23 .

ويبين الشاعر أن التحدي طريق الأمل ، وأن الأحـلام لا تكون سعيدة إلا بالتـضحيات ، وأن جرائم المحتل الغاصب لن تزيده إلا إصراراً على المقاومة ، وكل محاولات المحتل للقـضاء على الضحية ستبوء بالفشل والخيبة (1) .

سدد جحيمك للحقول
سدد جحيمك للنخيل
لن ينحنى .. لا
لن يميل
إنا هنا ..
أشعارنا ولدت هنا
أشواقنا ، أحلامنا بدأت هنا
ولنا هنا
كل العصافير الجميلة والغناء
ولنا هنا
كل البنفسج
والصنوبر
والفراشات الشقيه
ولنا هنا... زيتونة
شهدت تواريخ الجرائم
لكنها ظلت تقاوم

ويصر الشاعر مصطفى عثمان الآغا على الصمود في الوطن ، بل نـراه يكـسر رهـن المتراهنين على الرحيل ، فلا يقبل بديلاً للوطن ، ويبقى الوطن حلـواً بـالرغم مـن الـسجون والأسوار (2) .

يا أيها الوطن الجميل
ما عاد لي غصن لأشدو فوقه
ما عدت أحترف الهديلْ
كل الحمائم سافرتْ...
وبقيت وحدي بين أنياب الرحيلْ

---

(1) السابق ، 24 .
(2) السابق ، 33 .

يا أيها الوطن الجميلْ
كل الأحبة راهنوا..
أنني سأرحل عن ربوعك
نحو منتجع بديل
لكنني
رغم التمزق في انتظار المستحيلْ
وبرغم أسوار المنافي والسجون
سأظل أُبحر في عيونك جمرةً
سأظل أحترف الجنون
وأظل أحترف الجنون

وبالرغم من القتل وهدم البيوت ، ومحاولات اقتلاع الإنسان مـن أرضـه ومحاصـرته وتضييق الخناق عليه ، إلا أنه ظل صامداً في وجه هذا المحتل الصهيوني ، واستطاع أن يغـرس الأمل في النفوس بعد أن هزم اليأس ، فهو لم يخلق ليترك أرضه لهذا الدخيل . وقد عبر الـشاعر صالح فروانة عن صموده فوق أرضه بعد أن هدمت قوات الاحتـلال بيته فيقول [1] :

ابني العزيز حيثما تكون
أكتب إليك من هنا
من (خانيونس)
من فوق كُومة من التراب
كانت تسمى بيتنا
وبدلته هيئة الأمم
بخيمة صغيرة
مزروعة على الطريقْ
وخيمة أخرى لأختك الكبيرة
وزوجها حسن
أما حسن
فقد أقيم عرسه الأخير
في زفةٍ إلى الحياة الآخرة

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 70 .

ونشهد هذه الروح الصامدة والمقاومة عند كثير من الشعراء الفلسطينيين ، وهذا الإنـسان الفلسطيني لم يحسب حساباً لتضحياته ، وإنما تنحصر حساباته في صموده وثباته وتعلقه بأرضه ، ويستمد الإنسان الفلسطيني ثباته وتشبثه بأرضه من تراثه الذي يحاول الغاصب طمسه وإخفـاءه ، ليثبت ملكيته الزائفة الباطلة لهذا الوطن . ويعبر الشاعر إبراهيم قراعين بوضوح عن ذلـك فـي قوله (1) :

بـأرض القـدس نبقـى صـامدينا	وشـوكاً فـي حلـوق الغاصـبينا
وبـالأرواح والأجـساد كنـا	ومـا زلنـا.. لهـا حـصناً حـصيناً
وإن قيـل الـصمود لـه حـضور	فـإن حـضوره ... منـا وفينـا
وفـي الأوطـان إن لنـا بقـاء	وتاريخـاً مجيـداً مـا حيينـا
ومهمـا زور المحتـل يبقـى	لـسان القـدس قرآنـاً مبينـاً

ومهما كان حجم التضحيات ، ومهما كانت النتائج قاسية ، فلا طريق غير طريق الصلابة والثبات ، وهذا الشعار رفعه الإنسان الفلسطيني وما يزال يرفعه ، وإن لحقـت بالأمـة العربيـة نكسات جسام ، وأسقط بعض العرب راية النضال والمقاومة ، لكن الشعب الفلسطيني لم يخـضع ولم يركع ولم تلن عزيمته . وفي ذلك يقول الشاعر جمال قعوار (2) :

يا أمة النكسات
ضاعت مهجتي بين الضلوع !
ومرارتي انطفأت
وقد غرقت ببحر الشوق أحلامي
ممزقة القلوع
أترى أضيع
لأنني شعب أبي النفس
لا يرضى الخضوع ؟ !

وفي الصمود بوجه العدو والتمسك بالأرض كرامة لا تعد لها كرامة (3) :

يا بهجة ترنو لأسباب السماء
شأن الخراف إذا سعت

---

(1) إبراهيم قراعين : ديوان وتعود أمواج البحار إلى البحار ، مطبوعات دار العودة المقدسية ، الطبعة الأولـى ، 1998 ، ص 22 .

(2) جمال قعوار : ديوان مواسم الذكرى ، مركز الجليل التجاري ، الناصرة ، 1996 ، ص 11 .

(3) السابق ، 14 .

عشب وماء

وأنا وأهلي شأننا

قمم الكرامة والإباء

إن الأرض ليست واحدة عند الإنسان الفلسطيني ، إن أرضه تطيعه وتعـشقه ، وتـرفض محراثه أي أرض ليست أرضه ، وهذا يمثل شدة ارتباطه بأرضه وانتمائه إليها . وذلك ما عبرت عنه الشاعرة روز مصلح شوملي (1) :

هوس البدايات يلازمني

فأترك أرضي الطيعة الملامح

إلى أرض لم تروضها

أذرعة المحاريث

لماذا نخشى حلماً كان لنا ؟

هل نفقد مبرر مبررنا

إذا ما رسونا بشط الأمان

وقطفنا الحلم ثمرة ؟!

ولم يشهد التاريخ كله مذابح كالتي قام بها الكيان الغاصب ضد أبناء الشعب الفلـسطيني ، وما إن تنتهي مذبحة حتى يقوم المحتل الحاقد بمذبحة أخرى ، ولا تكاد قرية أو مدينة من مذبحـة يرتبط اسمها بتلك المذبحة . لكن هذه المذابح لم تثن الشعب الفلسطيني عن كفاحه ونضاله ضد هذا المحتل الغاصب مهما كانت مذابحه ، فهو شعب يؤمن بأن ما أخذه بالقوة لا ترده إلا القـوة ، ولا يخفي الشاعر هذا الإحساس ، ويقول جمال قعوار (2) :

هل الذهول لهول تكرار المذابح

من جديد

والعذر أقبح

ليست يرضى الحاصرين

سوى المزيد

يا أيها الماضي على درب الكرامة

لا يفل قوى الحديد

سوى الحديد

---

(1) روز مصلح شوملي : ديوان للنهر مجرى غير ذاته ، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية ، رام الله ، 1998 الطبعة الأولى ، ص 27 .

(2) جمال قعوار : ديوان مواسم الذكرى ، 37 .

وبالرغم من السلام الهش – إن جاز تسميته سلاماً – والمفاوضات العقيمة فـإن الـشاعر يمجد السيف ويعلي شأنه ، ويبين أن إغفاله ذل وهوان ، ولابد منه لرد الكيد والعدوان .وعن ذلك يعبر الشاعر رفيق أحمد علي (1) :

أهملـــوه فـــصار نـــضو يمـــاني ... بعـــدما كـــان غيـــر عقـــل المكـــان
ورجـــاء كيـــوم مؤتـــة فيـــه ... مثلمـــا خالـــدٍ قـــوي الجنـــان
لـــم يزالـــوا بـــه هوانـــاً إلـــى أن ... أودعـــوه متـــاحف النـــسيان
أقفلـــوا دونـــه ســـبيل المنايـــا ... ولـــه فيـــه كـــان أي ضمـــان
قيـــدوه رمـــوا بـــه الـــسجن دارا ... أحكمـــوا فيـــه قبـــضة الـــسجان
هـــان فـــيهم شـــأناً ولـــو قـــدروه ... كـــان مـــنهم لهـــم وفـــاء الزمـــان
واســـتهانوا بـــه فـــذلوا وهـــانوا ... وكـــذا كـــل مـــن أهـــان اليمـــان

ولا سبيل للخلاص من هذا الغاصب الدخيل إلا السيف ، فهـو الطريـق الوحيـد ، وإن المفاوضات عقيمة وإن طال أمدها ، ويعبر الشاعر جمال قعوار عن رفضه لهذه المفاوضات التي هي مضيعة للوقت ، فالوقت للسيف ويهاجم الشاعر الذين مالوا إلى المفاوضات ، وآمنوا بالكلمـة واللافتة كوسيلة لمواجهة العدو (2) :

إن خان أصحابي بريق النصر
في حد السيوف
وتجاهلوا رص الصفوف
ورأوا سبيل نجاتهم
في صقل أوردة الحروف
فالسيف أصدق من فنون القول
من كل الحروف

لقد صدق الشاعر الكبير على محمود طه عندما قال (3) :

وليـــسوا بغيـــر صـــليل الـــسيوف ... يجيبـــون صـــوتاً لنـــا أو صـــدى
فجـــرد حـــسامك مـــن غمـــده ... فلـــيس لـــه بعـــد أن يغمـــدا

إن الأصوات التي ارتفعت عالياً منادية بأن السيف هو عنوان الـصمود والثبـات ، وإن العدو لا يستطيع أن يثبت له قدماً في أرض يقاوم أهلها . لقد انتهى عهد اللافتة المناديـة بنهايـة

(1) رفيق أحمد علي : ديوان خيوط الفجر ، الطبعة الأولى ، (2005) ، ص 22 ، 23 .
(2) جمال قعوار : مواسم الذكرى ، 17 .
(3) نبيل خالد أبو علي : نزار قباني شاعر المرأة والسياسة ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى ، 1999، ص 113.

الاحتلال ، فلا صوت يعلو صوت البندقية التي يجب أن تبقى مشرعة في وجه هـذا الغاصـب ، وفي وجه من يسانده من قوى الظلم والاستعمار . فالبندقية عنوان التمسك بالأرض والحفاظ عليها ورد الكيد والغارة عنها. ومن رفعها جنى الشرف والكرامة ، ومن أغفلها جنى المذلة والهوان .

قد يأخذ المناضل والمقاوم فرصة لالتقاط أنفاسه استعداداً لساعة القرع ، لكن البندقية يجب أن تبقى يقظة ، وإن سكتت قليلاً فليس سكوتها قبولاً بالسلام المشئوم ، ويعبر الـشاعر سـليمان دغش عن ذلك بقوله (1) :

قصفة الزيتون لم تسقطْ
ولا الرشاش نام
وعلى الرشاش
أن يسكت أحياناً
لكي نكتشف الأفق الذي
يمطر
موتاً وزؤام

وإذا سكت الرشاش فليس دليلاً على الهزيمة والاستسلام ، وإنما نهوض واستعداد كما يقول سليمان دغش (2) :

وعلى الرشاش
إن يسكت أحياناً
لكي نكتشف الأرض التي
تسقط من بين أيدينا
ياسميناً
أو غمام

وأما الشاعر شهاب محمد ، فإنه يكشف عناد الشعب وإصراره على المقاومة ، فهو شعب لا يساوم على حقه ، ولا يلتفت إلى حجم التضحيات التي قدمها في سبيل الـوطن ، وإنمـا يقـيم عرساً لكل شهيد يسقط وهو يرفع لواء العزة والكرامة (3) :

إن عرس الشهيد عرس بلادي

---

(1) سليمان دغش : ديوان عاصفة على رماد الذاكرة ، منشورات دار القسطل ، القدس ، الطبعة الأولى ، 1995 ص 7 ، 8 .

(2) السابق ، 8 .

(3) شهاب محمد : ديوان رجع الجوى ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القـدس – رام الله ، 2005 ، ص 24 25 .

فاحملوه دماً ، زكياً وطاهر
عاد "شارون" خائباً يتهاوى
ثم باراك والعدو يناور
إنهم خاسئون مهما تمادوا
عاهر ، غاصب ، يودع عاهر

ويدعو الشاعر إخوته وأبناء شعبه ليقاوموا عدوهم ، ورميه عن قوس واحدة ؛ فالأوطـان لا تحرر إلا بسواعد أبنائها ، كما نرى إصراره واضحاً في دعوته ، فالـشاعر يعتمـد علـى الله لينصره متحملاً الجراح والعذاب ، يقول [1] :

يا أخي ، يا رفيق كفاحي
قاوم الظلم ، والعدو المباشر
يا أخي ، يا رفيق كفاحي
عانق الجرح واحذر الغدر ... حاذر
إن أصاب البلاد وهن وضعف
طارئٌ ، فوحده الله ناصر

2- الطفل مقاوم

شاركت كل فئات الشعب الفلسطيني في الثورة على المحتل الغاصب ، ولـم يقبـل هـذا الشعب أن تداس كرامته وتتدنس مقدساته ، فهب هبة واحدة يرفع شعاراً إما النصر وإما الشهادة. ونرى الشعراء يثورون مع أبناء شعبهم ، والشاعر شهاب محمد واحد من الذين ثاروا في اعتـداء شارون على المسجد الأقصى فيعبر قائلاً [2] :

ثورة القدس ، همة ، وبلوغ
وسمو به السماء تفاخر
ثورة القدس فرحة ونداء
وعلى وجهها ، تلوح البشائر
هب شعب فيها أبي وأهل
ورجال ، وفتية ، وحرائر
يركبون الأخطار ، في كل هول

---

(1) السابق ، 28 ، 29 .
(2) السابق ، 24 ، 25 .

يرتدون الأكفان عند المعابر
زاحف شعبنا صدور وأيد
تتحدى الرصاص غدراً وغادر
وعلى دربها تئن جراح
وعلى نزفها تنوء المقابر
يا فلسطين والجهاد وأرض
ترفض الذل والخنوع المقامر
جاء "شارون" متخماً يتحدى
موقفاً ثائراً ، فبئس المغامر
إن في القدس فتية ورجالاً
لا تهاب الردى وحجم الخسائر

وجدير بالذكر أن النضال والمقاومة لم يقتصرا على الرجل ، فكما لاحظنا في النموذج السابق ، اشتركت كل فئات الشعب الفلسطيني في مقارعة المحتل حتى استحق عن جدارة اسم الشعب المقاوم ، واستحق أدب فلسطين في مراحل عدة صفة أدب المقاومة . فمن فئات المجتمع نتوقف عند نضال الطفل الذي نراه مرفهاً منعماً يلهو في كل المجتمعات الحرة . أما الطفل الفلسطيني فقد حرمه الاحتلال من كل أحلامه وسلط عليه الرصاص أحياناً ، أو الغاز المسيل للدموع ، وكان يستيقظ ليلاً وطائرات المحتل تغير على منشآته وبيوت أهله ، ويرى الجرافات وقد أطلقت أنيابها ترعى في حقوله وكرومه . هذا ما أعده الكيان الغاصب لأطفال فلسطين .

لقد أصبح الكثير من أطفال فلسطين أسطورة في مقاومتهم للمحتل الغاصب ، فلم يرحم المحتل طفولتهم وبراءتهم ، بل صب جام نيرانه الحاقدة تحرق لحمه وعظمه ، لكن هذا الحقد لم يزده إلا إصراراً على المقاومة ، ولم ينل من عزيمته . ورسم الشاعر صالح فروانة أسطورة الطفل فارس عودة لتعبر عن نضال أطفال فلسطين في قوله [1] :

في كل شارع
مواكب تجمعت
وكل موكب يقوده فتى
رفيقه المقلاع والحجر
فتى
يحاور الدبابةْ

---

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 66 .

فقائد لقائد

وفارس لفارس

قد مات فيه الخوفُ والحذر

عصفورة تدور حول فيلْ

تخيلوا

عصفورةٌ تُذل فيلاً

حقاً إن الطفل الفلسطيني صار معلماً لأطفال العالم ، يتعلمون منه فنون المقاومـة وقـذف الحجر ، ويعلمهم كيف يرفضون الذل والخضوع ، إن نفسه الأبية لا تقبل إلا العيش الكريم (1) :

يا أطفال القدس وغزة

لقنوا قادة عسكرهم درس الرجولة في البطولة

فجروا حديدهم بألوان لم يروها

دوسوا على عراهم

أخرسوا "لحن مدفعهم" .. يخشى صرختكم

يا عشاق الأقصى .. يا زلزال الأرض

أيها الصامدون الصاعدون على سلم الأنبياء

لمجدكم حتماً يركع الكون كله ....

ويصور الشاعر عبد الكريم العسولي الطفل الفلسطيني فارس عودة ، وهو يصر على التحدي ومنع المحتل من المرور متخذاً حجره سلاحاً للمقاومة فيقول (2) :

لن تمروا

قالها طفل ونفذها حجر

أيها الأوغاد أبداً لن تمروا

أيها الآتون في مطر القنابل

لن تمروا

أيها الآتون في حمم المشاعل

لن تمروا

أيها الآتون في هول الزلازل

لن تمروا

---

(1) عبد الله حسين كراز : ديوان البحر ... حوار امرأة ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولـى ، 2005 ، ص 67 .

(2) عبد الكريم العسولي : ديوان شقائق النعمان ، 2004 ، ص 104 .

فاسحقوا لحمي إذا شئتم

ولكن لن تمروا

واطحنوا عظمي إذا شئتم

ولكن لن تمروا

ويظل الطفل الفلسطيني الذي حرم من أحلام طفولته السعيدة صخرة تتحطم عليها كل نوايا الغدر والقتل ، ويرفض مرور العدو إلا على جسده وبيته وحقله . ويصور الشاعر عبـد الكـريم العسولي هذا المشهد بقوله (1) :

هذه أرضي أنا

خدها فرشي وتختي

نهدها مائي وزيتي

حضنها عيشي وموتي

أيها الأوغاد

أبداً لن تمروا

لن تقتلوا حلمي ونور بصيرتي

أو تسكتوا نبض النضال بمهجتي

لن تكسروا عزمي وسيف إرادتي

لن تحرموني من بلابل روحتي

أيها الأوغاد أبداً

لن تمروا

لكن الطفل يصر على المقاومة ، وهو يتحدى ويقبل أن يسبح ضد تيار الخضوع والهوان ، ويتصدى بالحجر المقدس ويقاوم دبابة (2) :

وإذا بفتى من جيل واعد

- كل فتى من جيل النكبة جيل واعد-

شوك مغروس في حلق الحاقد

يسبح ضد التيار

يفتح نافذة من نار

يثْبتُ في وجه الإعصار

---

(1) السابق ، 106 ، 107 .

(2) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 45 ، 46 .

يتلقى بالصدر العار وبالحجر الأقداس
دبابة
يشطب من ذاكرة المضطهدين
الخوف
فالعودة للأرض إرادة
ومقارعة المحتل عبادة
والموت فداء للأقصى
أقصى درجات شهادة

وقد أبدى كثير من الشعراء رفضهم لاستبدال النضـال والمقاومة بالـسلام المزعـوم ، وطالبوا بحمل السلاح وإشهار السيف ، ولا سبيل إلى استرداد الحقوق واسترجاع الأرض إلا به ، فالطفل يبني مجد أمته بالحجر ، هذا الحجر الذي سيورق الحقول ويسقط المطر . ومن ذلـك مـا يقوله الشاعر مروان برزق [1] :

وحين يهرع الرفاق
للردى ولحظة الخطر
لقد فقأوا العيون باللظى
فالنصر فوق ساعد أغر
فصوت أم يسمع الدنا
على الملا حرية البشر
وطفلة تنتحب في الثرى
شتى صنوف القهر والكدر
المجد للأطفال والحجر
فهو الذي سيورق الحقول
وهو الذي سيسقط المطر
والشعب سوف ينجز المنى
بالفتح والكفاح والحذر
بدول شامخة الذرى
على شطوط البحر والنهر

(1) مروان برزق : ديوان رحيل مفاجئ ، 6 .

إن الحجر المقدس له دور بارز في المقاومة والنضال منذ فجر التاريخ فـي فلـسطين ، وسوف يظل رمزاً لانتصار الحق على الباطل ، والعدل على الظلم ، وعندما يحمله الطفل ويقذف به عدوه ، فإنه يهيئه لمرحلة أخرى من النضال تكون أحد وأمضى ؛ لأن الحق لا يعود بالـسلاح لا بالمفاوضات . ومن ذلك قول الشاعر سلمان دغش (1) :

صمتٌ يمزقه المطر

ودم يئن على وتر

ليلٌ تجمد في الفسق

قَدم تحط على الطريق

وتنطلق

ويد يعانقها حجر

حذر

حذر

وللطفل نوع آخر من المقاومة والنضال ، فالشاعر صالح فروانة يطلب مـن حفيدتـه أن تقص بطولة أطفال الحجارة الذين يسعون إلى العزة والكرامة ، وبطولات هؤلاء الأطفـال تبقـى خالدة يقصونها على رفاقهم ، بل وتسيطر على أحاديثهم ، وصـار الكبـار يتغنـون بأطفـال الحجـارة (2) :

قصي ولا تخشى ملامة

عن فتية لا يكذبون

رفعوا بأيدهم حجر

بلغوا به حد الوسامةْ

قولي : سينتقم الحجر

قولي ولا تترددي

فلعل أبطال العروبة

يخجلون

ملأت نباح كلابهم

شبابة الراعي

وكهفاً في تِهامة

---

(1) سليمان دغش : ديوان عاصفة على رماد الذاكرة ، 24 .

(2) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 38 ، 39 .

إن العقيدة اليهودية عقيدة دموية حاقدة ، جعلت الحياة حكراً لها ، وليس لغيرها إلا الموت والفناء ، وقد التقت هذه العقيدة مع الفكر الغربي الاستعماري القـائم علـى امتـصاص خيـرات الشعوب ، هذا العالم الغربي الذي يفرق بين دماء الأطفال ، فإذا قتل طفل أو رجل يهـودي فـإن الدنيا تقوم ولا تقعد ، ولا تكف وسائل الإعلام عن تكرار الخبر ، أما إذا قتل أطفال فلسطينيون لا تكاد وسائل الإعلام التي تدعي النزاهة تذكرهم .

ويشعر الجندي الصهيوني بسعادة غامرة عندما يقتل طفلاً فلسطينياً صغيراً أو طفلة صغيرة ، ويمتلأ قلبه فرحاً وسعادة ؛ لأنه حقق وعد التوراة بقتل الآخرين ، يصور الشاعر مروان برزق هذه البشاعة بقوله [1] :

يلعب الأطفال بالدمى كعادتهم
يتنشقون الهواء الطلق
بين الحقول الواسعة
ولا صباح عندهم
إلا صباح هذا الوطن المجنزر
وإذا بها
تنطلق صوبها رصاصة من جندي قاتل
لتسقط شهيدة مضرجة
ويسارع حفنة من الجند
لتمزيق ثوبها المدرسي
ويهلل قائد سريتهم
بأنهم قد جسدوا انتصاراً ساحقاً
جسدوا انتصارهم
لصرع طفلة كانت تعبر صوب مستوطنة
فمن وصاياهم العشر
سحق تلك البراعم
واقتلاعهم من ديار كنعان
كما تأمر وتنهى
مزاميرهم وأساطيرهم

---

(1) مروان برزق : ديوان رحيل مفاجئ ، 73 ، 74 .

وسوف يظل الطفل الفلسطيني مقاوماً عنيفاً ، لا يرضى لحقه أن يكون منقوصاً ، وسوف يظل مفتخراً بجنسيته وقوميته ، ولن يحسب حساباً لقمع وقهر المحتل الغاصب لـه ، وإن طالـت مقاومته فلن ينسى أرضه ووطنه ، ويردد دائماً انتماءه إلى الوطن العزيز[1] .

أنا الطفل الفلسطيني
فلسطيني فلسطيني
وهذي الأرض عنواني
ولن أهوى سوى لقبي
فلسطيني
ولن أرضى سوى أصلي
فلسطيني
ولن أحيا سوى عربي
فلسطيني
ولو سلبوا بساتيني
ولو مصوا شراييني
سأبقى دائماً أبداً
فلسطيني

ومهما بالغ الشعراء في الثناء على مقاومة الأطفال ، فلن يعطوهم حقهم ، فهم أبطال لـم تنحن هاماتهم ولن تنكس راياتهم ، إنهم حملوا المقاومة وتوارثوها عن آبائهم وأجـدادهم ، وبقـوا مصرين على مواجهة الطغيان وقهر الظلم ، وعن ذلك يعبر الشاعر فخري صرداوي قائلاً [2]:

أقصر فلن يسعفك حبر
أقصر فلن يوفيهم مليون سطر...
هم فتية لم ينحنوا ،
ولم ينثنوا رغم الجراح...
قهروا الظلام ونازلوا...
بغي الطغاة وما ونوا
زرعوا النهار بأرضنا
حملوا الصباح

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر ، مكتبة النور ، خانيونس ، 2001 ، ص 107 .
(2) فخري صرداوي : ديوان عيبال والطوفان ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، الطبعة الأولـى ، 1997 ، ص 27 .

ودونوا سفر التوهج والسنا

وهؤلاء الأطفال أقسموا على مواصلة الكفاح ، وجعلوا من دمائهم مشاعل لـشعبهم نحـو الحرية والاستقلال [1] :

بذلوا الدما وتقدموا

من يوفيهم حقهم... إلا الكفاح

إلا المسير على خطاهم للصباح

قسماً بهم لن ننحني بمسارنا عن دربهم

فدماهم مشاعلنا فوق المراح

أقصر فلن يسعفك حبر

أقصر فلن يوفيهم مليون سطر

إن الطفل الفلسطيني لا يختلف عن أطفال العالم ، فهو يحب الحياة والعيش الكريم ، ويحب أن يذهب إلى مدرسته ، لكن هذا العالم الظالم القاسي حرمه من حقه في الحيـاة ونـصيبه مـن التعليـم ، واضطره أن يقاوم بالحجر ، لقد أصبح رمزاً لمقاومة الظلم والعدوان الذي لحق بالوطن والأهل ، إنه قد رضع حب الوطن من ثدي أمه كما رضع لبنها ، وتمسك بمبادئه التي لن يتنـازل عنها ، والتي سيبذل في سبيل تحقيقها كل غالٍ ونفيس .

3- المرأة مقاومة

شاركت المرأة الفلسطينية الرجل في مقارعة الاحتلال ، فكانـت تقـذف العـدو الغاشـم بالحجارة ، أو تفجر نفسها في صفوفه ، ونراها تدفع أبناءها إلى ساحات المقاومة والـشرف ، لا يمنعها خوف ، ولا يعيقها إغراء الدنيا .

إن كثيراً من الشعراء قد أطلقوا على المرأة الفلسطينية المقاومة لقب خنسـاء فلـسطين ، وكما أضحت الخنساء أسطورة في التاريخ ، كذلك أضحت خنساء فلـسطين أسـطورة التـاريخ الحديث في المقاومة والنضال ضد المحتلين الغاصبين ، فهي تدك الحصـون ، وتبث الرعب في قلوب الأعداء بجسدها المتفجر ، وتظهر عزمها على الخلاص من ثعابين هذا الكـون . ويعبـر الشاعر عبد الله حسين كراز عن خنساء فلسطين فيقول [2] :

يا خنساء القرن الحادي والعشرين

الجنة تحت قدميك ساعة الموت والانتصار

---

(1) السابق ، 29 .

(2) عبد الله حسين كراز : ديوان البحر ... حوار امرأة ، 66 ، 67 .

قلعتهم ركعت لمجد سواعدك الأبية
طاردتهم الحجارة التي طهرت حقل الانفجار...
يا خنساء حداثتنا قري عيناً ونحن الشواهد
أم الكتائب ... يا سيدة النساء
يقيناً سيصلبون أفعاهم المتخم منا
ذمك " للثور الهائج " أقوى من ملحمة الشعراء ....
يقيناً ستعرى أسطورة الآخرين الغرباء
تصبح ألوانهم سراباً يلف جفون بنادقهم ....

ولم يتراجع دور المرأة الفلسطينية عن دور الرجل في مقاومة الاحتلال ، بل أخذت تقـدم نفسها كما يفعل الرجل ، فليس النضال حكراً على الرجال ، وإنما التضحية في سبيل الوطن كانت أسمى معانيها ، فهي تنطلق حيثما وجدوا ، وتسطر في التاريخ صـفحات ناصـعة بيـضاء مـن التضحية والفداء . نرى ذلك بوضوح عند الشاعر عبد الكريم العسولي وهو يتحدث عن الـشهيدة آيات الأخرس قائلاً (1) :

سـ ـ ـقطت آيـ ـ ـاتُ مـ ـ ـضرجةً … تتنـ ـ ـاثر مثـ ـ ـل الـ ـ ـورداتِ
بالمـ ـ ـسك تفـ ـ ـوح مباسـ ـ ـمها … أذكـ ـى مـ ـن عطـ ـر الروضـ ـاتِ
جـ ـ ـادتْ بـ ـ ـالخير كـ ـ ـساقيةٍ … وامتلكـ ـ ـتْ قـ ـ ـدر الـ ـ ـساداتِ
آهٍ يـ ـا حلـ ـوةُ مـ ـن زمـ ـنٍ … يـ ـستنهض عـ ـزم الطفـ ـلاتِ
قـ ـد صـ ـدأ الـ ـسيفُ وحاملُـ ـه … يلهـ ـ ـو بخمـ ـ ـور الكاسـ ـ ـاتِ
والخيـ ـ ـلُ تجـ ـ ـابن سـ ـ ـيدها … والليـ ـ ـثُ تَـ ـ ـصفد بـ ـ ـسكاتِ
قالتْهـ ـ ـا آيـ ـ ـات عـ ـ ـشقاً … فانطلقَـ ـ ـتْ أبلـ ـ ـغُ الكلمـ ـ ـاتِ
يـ ـا وطنـ ـي يـ ـا مهجـ ـةَ قلبـ ـي … يـ ـا أغلـ ـى مـ ـن كـ ـل حيـ ـاتي

لقد شاركت نساء كثيرات آيات الأخرس استشهادها ، وسرن على خطاها ، ويرسم الشاعر عبد الكريم العسولي مشهداً آخر لشهيدة قاومت المحتل الغاصب وقدمت نفسها في سبيل وطنهـا ، وهي الشهيدة وفاء إدريس (2) :

خرجتْ وفاء مع السحر
ما ودعتْ أهلاً
وما أبقتْ خبر

---

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان شقائق النعمان ، 92 ، 93 .
(2) السابق ، 99 .

قرأتْ تبارك
والمعارج والزمر
ورنَتْ لطفلٍ
نحوها ألقى النظر
ضمتْه إلى أحضانها
وبكت طويلاً
واستعدتْ للسفر
وتلفتت نحو الديار بلهفةٍ
مسحت دموعاً
ثم تابعتِ السفر

وكذلك عبر الشاعر عبد الهادي القادود عن الاستشهادية هنادي التـي ضـحت بروحهـا وفجرت نفسها في حشود الغاصبين ، فهي لا تعرف اليأس أو الحزن ، وإنما عرفـت أن تحريـر الوطن لا يمر إلا عبر الأجساد ، فهي وردة من بين عشرات الورود اللواتي سقطن مدافعات عـن ثرى هذا الوطن العزيز [1] :

هنادي تدمر عمق اليهود
بخصر نحيل وقلب ودود
تضيء الشهادةُ في وجنتيها
طريقاً من الحب نحو الخلود
وصارت لديها الحياة سراباً
فعبد يقاد وعبد يقود
تنامت لديها الأحاسيس حتى
تَقَطر منها تراثُ الجدود
وحرض فيها حنين الأحبة
عشقاً تدللَ بين الورود
فباتَتْ دموع الأنوثةِ بحراً
تودع روحاً إليها تعود

(4) عبد الهادي القادود : ديوان وطن ينزف ، مركز الرحمن الثقافي ، مكتبة بلدية النصيرات ، الطبعة الأولـى ، 2004 ، ص 43 ، 44 .

ولم تستشهد المرأة الفلسطينية ليأس أصابها ، أو لفقر ألم بها - كما يدعي الصهاينة - وإنما حب في التضحية والفداء ، فهي لا تريد أن يكون دورها متأخراً عن دور الرجل ، وهي لا تقل عنه إصراراً وعناداً على استرداد الوطن السليب من أيدي الصهاينة الغاصبين . من ذلك ما نراه عند الشاعر عبد الكريم العسولي فيقول [1] :

قالوا الفدائي امرأة
يا هول تلك الامرأة
ما اسمها ؟ قالوا : وفاء
كم عمرها ؟
عز الشباب
ما بالها ذهبت سدى ؟
هل عقلها فيه خبل ؟
تحتاج مالاً أو عمل ؟
كلا
أمر غريب
وجمالها ؟
قالوا : رهيب
هي كالقمر
شيء عجيب
حال تلك السيدة

والأم الفلسطينية عامة - إن لم تشارك بجسدها - ليس لها أم تساويها ، فهي تشارك بروحها وقلبها ، وتدفع فلذات أكبادها إلى ساحات الشرف والبطولة ، فهي لا تريده إلا شهيداً ، وتطلب منه أن يشارك في صنع المجد ، وهو الذي يستطيع أن يكسر شوكة العدو . يعبر الشاعر عبد الكريم العسولي عن هذا المعنى متخذاً أم نضال فرحات أنموذجاً ، فيقول [2] :

فرحات صلى ركعتين
ودعا طويلاً
ثم ودع أمه
قالت له

---

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان شقائق النعمان ، 100 .
(2) السابق ، 94 .

مرحى بني
مسحت على خدٍ له
وتبسمت
نظرت إليه
وقبلَتْ فوق الجبين
وما بكت
أوصته في فرح
وقالت في فخار :
كن باشقاً
واصنع لنا
مجداً جليلاً مزهراً

ويرسم الشاعر رزق البياري لوحة جميلة لتقدم النساء الصفوف وحمل اللواء فـي زمـن التراجع العربي ، حيث تراجع الرجال في زمن أحبوا فيه الحياة فهانوا وخضعت هاماتهم . وفـي هذه اللوحة الفنية يقول الشاعر [1] :

تختارين حياة الموت..
على موت الحياة ..
تترجلين في كبرياءٍ
فوق الرقاب ..
آهٍ .. يا زهرة الصبايا ..
يا شهداً يطفئ لظى العشاق
تفيضين بأقحوان الذكورة
في زمن الخصيان ..
آهٍ .. يا امتحان الأنوثة ..
حين يعز الرجال ..
تتشظّين في الموعد المقدر ..
في وجه الغرباء ..
تعفرين رؤوس الخانعين ..

(1) رزق البياري : ديوان وجهان ، بالتعاون مع اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص 66 ، 67 .

في فراش الشذوذ

آهٍ ..

يا ربيعاً للخريف الجاثم

فوق كل العواصم ..

لا دمع نذرفه

لحظة الوداع المقدس ..

لا وقت نسرقه للنحيب ..

على الراحلين ..

ويرسل الشاعر صالح فروانة هدية للاستشهادية "آيات الأخرس" التـي أضـحت رمـزاً للصمود والفداء والثبات لنيل الحق ، فيقول [1] :

يا أيها البرابرة

عزائم الرجال لا تحاصر

إصرار شعبنا على البقاء

لا يقاوم

فلتقتلوا من غيظكم من تقتلون

ولتذبحوا من خوفكم من تذبحون

لكننا لن نلبس الحداد

ويبين الشاعر أن الفلسطينيين صخرة صلبة لا تلين ، وأن الصهاينة لا يـستطيعون قتـل الأمل في قلوبهم ، ولن يستطيعوا القضاء على المقاومة [2] :

لن تكسروا صمودنا

أو تمنعوا صبية لم تبلغ الحلم

يقل عمرها

عن عمر (آيات) البطولة

أن تحثو التراب في وجوهكم

أن تقتل الحياء في عيونكم

أن تحشر النعال في عقولكم

فقد أظلها الصدأ

---

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 86 .

(2) السابق ، 86 ، 87 .

فصعدوا جنونكم
وصدقوا افتراءكم وعسفكم
لكنكم
لن تقدروا أن تقبروا الحقيقة

كما يبين الشاعر أن تضحيات آيات الأخرس والاستشهاديات الأخريات ستخرج جموع الغاصبين من الأرض كلها ، ويمجد الشاعر الاستشهادية آيات الأخرس فيقول [1] :

ستخرجون من بلادنا
من الجليل للنقب
يا أيها العصابة
فإن لحم طفلة صغيرة من شعبنا
أقوى من الدبابة
أمضى من الشهب
وإننا سننتصر
بضعفنا وجبنكم
سننتصر
لا تقلقوا يا سادة العرب
فإننا بدونكم سننتصر

ووجد الشعب الفلسطيني مساندة إنسانية من بعض الشعوب الغربية من أصحاب الضمائر الحية ، من الذين لا يصبرون على رؤية الفواجع والمآسي ، وكان حضورهم بالجسم والروح معاً ، ومنهم من دفع حياته أو سجن أو أبعد ثمناً لهذه المساندة . وقد برزت النشطة في حقوق الإنسان ، راشيل كوري التي كانت إحدى ضحايا هذه المأساة الإنسانية . وقد تناول العسولي مأساة راشيل في قوله [2] :

تلك الحمامة للشروق حنينها ... وهديلها نبع وعشق حياة
حامت على أطلالنا وتأملت ... وتكللت بالدمع والآهات
في قلبها سكن الأسى لوليدة ... أضحت مبعثرة على الطرقات
وتقطعت ألماً لعشة أسرة ... أمست هشيماً دامي الحصوات
وتنقلت تسعى تكفكف دمعة ... وتلوك مر القهر والحسرات

(1) السابق ، 87 .
(2) عبد الكريم العسولي : ديوان شقائق النعمان ، 39 ، 40 .

وقفـت تـصد جريمـة بجـسيمها وتـذود عـن بـؤس وعـش قطـاة
فـإذا بـوحش الأرض يهـدر بـالردى ويـدقها تحـت الثـرى دقـات
ويميلهـا تـابوت يرحـل داميـاً يبكيـه شـعب متعـب النظـرات
آه علـى تلـك الحمامـة أشـعلت نـار العـذاب وفجـرت طاقـات
أمـست ذبيحـة مهجـة خفاقـة وغـدت غـديراً يـافع الهمـات

ليست المقاومة بالحجر والسلاح فقط ، ولكن الإصرار والثبات على الموقف والمبدأ سلاح أقوى من السنان . يروي الشاعر قصة فتاة اسمها "شفاء" التي فقدت نور عينيها بعدما فشل الجنود الصهاينة في اقتلاع حجابها ، وبقيت مصرة على التمسك به . يقول صالح فروانة [1] :

كانت شفاء
صبية فتية ترفل بالحياء
ترفع كفيها إلى السماء
باحثة في هيكل خرب
عن بذرة لمعتصم
يستنهض العرب
وبعدما تفجرت عيونها
تفجر البركان بالغضب
ورددت حناجر الأطفال والرجال
لبيك يا شفاء
فكل مقلاع وكل بندقية
وكل جثة تطايرت إلى السماء
هدية رخيصة إليك يا شفاء

لقد كانت المرأة الفلسطينية أسطورة في نضالها ومقاومتها للمحتلين الصهاينة ، بـل إنهـا كانت رمزاً بارزاً في الانتفاضتين ، فلم تحصر دورها في العناية بأسرتها فقط ؛ وإنما كانت مربية فاضلة في بيتها وبيئتها ، وأعدت رجالاً سطر التاريخ أسماءهم بحـروف من نور ، كمـا يقـال "وراء كل رجل عظيم امرأة" . وكانت مشاركتها في النضال والمقاومة تفوق أحياناً مقاومة الرجال أدت بأمانة وإخلاص ما يمليه عليها حسها الوطني والديني ، وأثبتت أنها أخت وزوج وأم ، وأنها بطل لا يقبل الذل والعار ، وأن الأوطان لا تحرر إلا بسواعد وأجساد أبنائها .

---

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 29 ، 30 .

ثانياً : حلم العودة إلى الوطن

لعل شعراء المهجرين الشمالي والجنوبي فتحوا أبواب الحنين إلى الوطن ، والحلم في العودة إليه أمام الشعراء العرب عامة والشعراء الفلسطينيين خاصة . لكن الشعراء المهجريين هاجر معظمهم إلى الأوطان الجديدة بإرادتهم واختيارهم . وهكذا حال معظم الشعراء الآخرين ، إلا أن الفلسطينيين قد أُبعِدوا عن وطنهم وأجبروا على ترك قراهم ومدنهم وكرومهم وحقولهم ، ولم يسمح لهم بالعودة مطلقاً إليها ، بينما نرى قسماً كبيراً من الشعراء المهجريين وغيرهم عادوا إلى وطنهم الأم ، أو تمكنوا من زيارتها والإقامة فيها .

أما الشعراء الفلسطينيون فقد عاشوا وهم يحلمون بأوطانهم ، وبأمل الرجوع إليها ، ولم تستطع مغريات الحياة في بعض الأوطان البديلة أن تثنيهم عن حب أوطانهم الأم والتعلق بها ، فلا يزالون يذكرونها ، ويعبرون عن حنينهم وشوقهم إليها .

لقد أكثر الشعراء ذكر الوطن وقطعوا الوعود بالعودة إليه ، ونلمس ذاك في دواوينهم . فالشاعر عبد الكريم العسولي لا يزال يحن إلى زيتون وزعتر فلسطين وإلى قمرها فيقول [1] :

سنعود يا قدس إليكِ
كما القمر
سنعود يوماً
لن تبعثرنا الرياح
ولن يمزقنا المطر
سنعود للزيتون والليمون
سنعود للمرمية العطشاءِ
فوق التل ما زالت
تحن وتنتظر
سنعود مثل الطير
يزجره حنين للبيادر والثمر
سنعود مثل شقائق النعمان تزهو
فوق أكتاف الروابي تزدهر

أما الشاعر رفيق أحمد علي ، فإنه لا يستطيع نسيان صورة الوطن ، ولا يقبله وطناً مفتتاً ، ونراه يحن إلى بيته القديم في الساحل أو الجليل . إن الآباء قد اختلطت دماؤهم وعظامهم

---

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر ، 11 .

بتراب الوطن ، وهؤلاء الآباء والأجداد قد غرسوا حب الوطن في نفوس أبنائهم الـذين تفتحـت الدنيا أمامهم ، ولكنهم مازالوا يحنون إلى البيت القديم . يقول الشاعر [1] :

أقسمت بالخالق يا دوري ، يا حسون !
أقسم بالرحمن يا زيتون
ولو ملئت حينا الجديد
بالورق الأخضر والغصون
وأنت يا حبال مهما طلت أو
أثقلت بالغسيل والصابون
وأنت يا نخيل ..
بالتمر مهما جئتنا والسعف الظليل
والليف والعرجون
والله لن تكون ..
عن بيتنا القديم في الساحل والجليل
أنت البديل

وتظل فلسطين أغلى من كل شيء مهما كانت البلاد الأخرى جميلة ، لكن جمال فلـسطين لا يدانيه جمال ، وترابها المقدس تبر مختلط بدماء أبنائها المضحين ، ليبقى اسمها عالياً ، ويظـل الشاعر صلاح الدين الريماوي معبراً عن الكرامة التي لا تكون إلا في الوطن [2] :

يا مسقط الرأس العزيز
أنت الذي أبداً تصون
كرامة الشخص الأبي
فهل يعود الغائبون
إلى فلسطين التي
من أجلها ضحى البنون
يا شهر تشرين الذي
تقرحت فيه الجفون
يا حبذا لو جئتنا

---

(1) رفيق أحمد علي : ديوان النقش على الهواء ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس – غزة ، الطبعـة الأولـى ، 1999 ، ص 141 .

(2) صلاح الدين الريماوي : من محاسن الطبيعة ، المركز الفلسطيني الثقافي اليوناني ، رام الله ، الطبعة الرابعـة 2001 ، ص 68 ، 69 .

كما عرفناك ودون

أن تستثير مشاعراً

تستذرف الدمع الحرون

لم تغب صورة الأرض والوطن عن قلب الإنسان الفلسطيني ، ولا يزال حبل الحنين قوياً ويزداد صلابة مع الأيام ، ولا يزال حب الوطن يجري في العروق ، كما لم تستطع المنافي أن تضعف هذا الحلم بالعودة إلى الوطن ، وعجزت مغريات الحياة في الأوطان الجديدة أن تغطي هذا الحلم . ومن الفلسطينيين من لا يزال يحتفظ بمفاتيح البيت والكرم . ولم ينقطع الفلسطيني عن حديثه إلى أبنائه عن جمال الوطن بسهوله وهضابه بزيتونه وزعتره ، بل نراه يحاول جاهداً أن يغرس حب الوطن في قلوب الأبناء ، وأن الوطن أغلى من كل شيء في الحياة ، وأن الأوطان الجديدة أوطان مؤقتة ، ولا بد من الرحيل عنها يوماً إلى وطن الآباء والأجداد . ويعبر الشاعر عثمان أبو غريبة أجمل تعبير فيقول [1] :

الأرض تنهض من ضلوعي ، من وعاء الروح

والسفر البعيد

الأرض تنهض من سكون الماء

والفقراء والهدف العنيد

الأرض تكتب في سطوري نهضة الإعصار والزمن

الوليد

الأرض تختصر الذهاب لصمتنا

الأرض منبت روحنا

الأرض مشهد صوتنا الآتي ومشهد وقتنا

إن لحيفا ويافا وصفد خلوداً في القلب ، ولم ينقطع الحلم بالعودة إليها يوماً ، فما زالت صورتها مطبوعة في الذاكرة ، ولا يمكن لها أن تفارقها ما بقيت أنفاسه . وفي ذلك يقول الشاعر عثمان أبو غريبة [2] :

لا شيء غير الأرض كي يقف الغريب على الجهات

لا شيء غير الأرض إن تعبت جراح العمر وانتشر

الزبد

هل غادرت يافا الجسد

---

(1) عثمان أبو غريبة : ديوان عدنا ، منشورات دائر الإعلام في هيئة التوجه السياسي ، رام الله ، (بدون تاريخ) ، ص 10 ، 11 .

(2) السابق ، 9 ، 10 .

هل غادرت حيفا الأبد

هل غادرت قلبي صفد

وإن تساءل الشاعر عن حبه لوطنه هل ما زال في قلبه أم زال ، فإنه يسأل ويجيب في الوقت نفسه ، بأنه وطن خالد ، ولا بد من العودة إليه ، ليفرح بوطنه ، ويفرح الوطن به .

وتبقى الأوطان البديلة لأهلها ، ولكل إنسان وطنه ، لم يأتِ الإنسان الفلسطيني إلى أحد ليغصبه وطنه ، كما غصبت فلسطين وأعطيت لمن لا يستحق ، ويرفض الشاعر فكرة الوطن البديل جملة وتفصيلاً ، ففلسطين ليست في أي بلاد ، وإنما فلسطين في مكانها [1] :

لم ندع حيفا

على شاطئ بيروت

ولم نعثر عليها

في الشآم

واستعرنا ثوبها الممتد

من شاطئها البحري

حتى قمة تلهو بمشط

من غمام

وتبقى حيفا ويبقى الوطن نوراً لا يأفل وأملاً لا ينقطع [2] :

لم نفارقها

وكانت في سمانا

نجم الصبح

وقنديل الظلام

ويزداد الحنين والشوق إلى الوطن يوماً بعد يوم ، ومهما طال الغياب فصورته محفورة في النفس والخاطر بالرغم من الجراح والعذاب ، ويعبر الشاعر سليمان دغش عن حبه الخالد للوطن فيقول [3] :

لم نفارقها

وكانت في دمانا

حقل نعناع

---

(1) سليمان دغش : ديوان عاصفة على رماد الذاكرة ، 10 .

(2) السابق ، 9 ، 10 .

(3) السابق ، 10 ، 11 .

وبركان اقتحام

لم تفارقنا

ومن خمسين عام

جرحنا كالشارع المكتظ

يزداد اغتراباً وازدحام

وقد ربط بعض الشعراء بين الوطن الأم والوطن الثاني ، ليؤكدوا مدى حبهم وارتبـاطهم بأوطانهم الأصيلة ، ومن ذلك ربط الشاعر عثمان أبو غريبة بين حيفا وتونس في قوله [1] :

وبعد غياب طويل

وبعد عناء مرير

وعصف الرياح وقسوة ملح البحار

وقسوة لفح الهجير

وبعد دماءٍ

وبعد حروب

وقبل حروب

تلوح حيفا بباقاتها

لتونس حيفا تلوح بالياسمين

ولا يكتفي الشاعر بخلود الوطن في نفسه وغرس حبه في قلوب أبنائه ، بل يبين افتخـار الشوارع بأسماء الشهداء الذين ارتوت بدمائهم ، فكم من شارع يحمل اسم الشهيد [2] :

هيا ارسمي الوطن الجميل

هيا ارسمي القدس الحزين

ولترسميه سنابلاً

ولترسميه بلابلاً

ولتزرعي اسم الشهيد

علماً على صدر الشوارع

- آه لن تكفي الشوارع

- فلتكتبيه على السنابل

ولتعلمي يا طفلتي ..

---

(1) عثمان أبو غريبة : ديوان عدنا ، 28 ، 29 .

(2) مصطفى عثمان الآغا : ديوان النورس ، 37 ، 38 .

لن يهنأ الأوغاد فوق ترابه
ولتكتبي فوق الخريطة ما يلي : -
سنعود يا وطني قريباً
والحصى بدأت تقاتل

ولا يقل دور الشاعرات عن دور الشعراء ، فربما نجد حنيناً أكبر وشوقاً أعظم إلى الوطن ، والتعلق به . إن الوطن حياة كاملة لا ينقصها شيء فلا حرية ولا جمال إلا فيه ، وهذا الوطن – وإن طال الغياب عنه - فهو في القلب ، والعودة إليه بالروح والجسد . وتعبر الشاعرة فيحاء قاسم عبد الهادي عن حنينها وأملها في العودة إليه . فتقول [1] :

من يعرفُ جذْرا
من يعرف حلوة عكّا
أهاتِ البلاد وغنوتها
مزمار الطرقات وزينتها !
صحجات صبايا الحي ورايتها !
تغط في الوعور
تُعبئُ السلال بالغلال
تُخَبِّئُ الكنوز
تدخل عمقاً
تلتحف الصبار والزيتون

إن المخلوقات جميعها تملك وقتها بالحرية في تنقلها من مكان على آخر ، فالكون خالق لحريتها ، لا يتحكم مخلوق بآخر ، ومنذ متى أصبح القوي مسئولاً عن الضعيف يوجه سيره ويحدد طريقة عيشه . إن الطيور وهي المخلوق الضعيف تملك قرارها بالهجرة والعودة متى شاءت . لكن هذا الحق سلبه المحتل الغاصب من الشعب الفلسطيني ، وصار الشعب الفلسطيني صاحب الأرض لا يدخلها إلا بإذن ، ولا يشرب من مائه إلا بموافقته ، وصدق القائل : "كيف تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" . تقول روز شوملي مصلح [2] :

نحن الطيور المهاجرة
لا نملك وقت رحيلنا
ولا شرط الإياب

---

(1) فيحاء قاسم عبد الهادي : ديوان وردة الروح ، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة ، رام الله – فلسطين ، الطبعة الأولى 2005 ، ص 68 ، 69 .

(2) روز شوملي مصلح : ديوان للنهر مجرى غير ذاته ، 33 ، 34 .

نترك حقائبنا
قبل الرحيل
على غصن سحاب
وفي قطار المغيب
ندرك أننا
ما ملكنا
من متاع الحياة
سوى عذاب الذاكرة
وذكريات العذاب

إنها ما زالت تحلم بالعـودة إلى الوطن ، وتحتفظ بمفتاح باب المنزل الذي أضحى مهجـوراً ؛ لأنها لا تفكر إلا في الوطن وفي العودة إليه [1] :

أحلم كل ليلة
بأنني في طريق البيت
أخرج المفتاح من خانة القلب
ألمس به ثقب الباب
يدور المفتاح
أدلف
فإذا بي أستفيق

ويجرى حب الوطن في الخاطر جريان الدم في العروق ، فالقدس وحيفا ويافا وعكا تنتظر عودة أهلها السجناء ، هؤلاء السجناء يتطلعون إليها من داخل الأقفاص كالطيور التي تنتظـر الحريـة والعودة إلى أحضان الطبيعة [2] :

أسأبقى دوماً يا وطني خلف القضبان
خلف الأسلاك الشائكة العربية
خلف الأحزان ؟
من يمسح حزني يا عرباً
من ينقذ يافا أو حيفا
من ينقذ قدسي الثكلى

---

(1) السابق ، 19 .
(2) عبد الهادي القادود : ديوان وطن ينزف ، 130 .

من ينقذ عكا تستنجد ، هل فيكم أحمد ؟
صوب البيوت الخاويات
ونحو مفتاحي الذي نفض الصدأ
وحدائق الليمون تدعوني لأفرغ
عشقي المجنون تحت ظلالها
وأعيد للماضي المهشم نفحة
من روحي الظمأى لتطفئ ما توقد
في فراش الشوق من عشق عليل

فإذا كان الإنسان الفلسطيني في يقظته ونومه ، لا تغادره صورة الوطن ، فكيف ينساه أو يرضى بديلاً عنه ، إنه لاجئ مؤقت وعودته إليه مؤكدة ، وكلما طال الزمن ازداد الشوق والحنين إليه .

وكيف تنسى الأوطان ، والشعب يحتفظ بالمفتاح معلقاً في صدره أو صدر بيته ، إنه ينتظر العودة حتى يدور المفتاح في ثقبه ، ليعود إلى كرمه الذي يشتاق إليه ، وإلى بيته الذي هجر عنه ، ويعبر الشاعر عبد الهادي القادود عن شوقه إلى يافا الليمون . فيقول [1] :

مع صبح يافا قد صحوت ولم يزل
وجع الفراق يعيدني
صوب البيوت الخاوية
ونحو مفتاحي الذي نفض الصدأ
وحدائق الليمون تدعوني لأفرغَ
عشقي المجنون تحت ظلالها
وأعيد للماضي لتطفئ ما توقد
في فراش الشوق من عشق عليل

ونرى الشاعر عبد الكريم السبعاوي يجري مجرى أحمد شوقي عندما كان منفياً في الأندلس ، كان يرسل شوقه وحنينه إلى مصر ، وأما الشاعر فقد بين أن هوى الأوطان ونسيمها مازالا يجريان في أنفاسه ، وأن الوطن عروس غادرت يوم عرسها [2] :

اختلاف النهار والليل ينسي
غير أني بذلت في الحب نفسي

---

(1) السابق ، 114 .

(2) عبد الكريم السبعاوي : ديوان متي ترك القطا ، دار النورس للنشر – غزة – فلسطين ، الطبعة الثانية ، 1997 ، ص 62 .

كيف أنسى وجه التي منذ غادرتْ

لم يغادر نحيبها قرار حسي

أهي أمي التي بكت ..

أم لداتي

أم عروس ودعتني صبيح عرسي

أم بلادي قد أجهشتْ وهي سبي

لغاصبيها .. من كل لون وجنس

ويرى الشاعر جهاد إبراهيم درويش أن المخيمات في الوطن وفي الشتات أمل وحلم بالعودة إلى الأرض والديار ، وأن الخيام رمز للإبعاد عن الوطن ، وهي التي ستظل بصيص النور في أمل العودة . ويعبر الشاعر عن ذلك بقوله (1) :

لنـــا فـــي العـــود أحـــلام نواعـــدها	ومفتـــاح بـــه الـــذكرى تحيينـــي
تثيـــر الـــشعر تهـــديني جـــواهره	أغـــوص البحـــر فـــي شـــتى الميـــادين
فكـــان الـــشعر لـــي نـــوراً ونبراســـاً	علـــى الجنبـــين يـــصرعني ويرمينـــي
فرهن القيـــد بـــي عـــوق كمـــا زعمـــوا	حـــرام العـــيش فـــي وطـــن يكـــافيني
أيـــا ابـــن الـــشعب عـــز الحـــر تنـــشده	فلـــذ بالخيمـــة العـــصماء وأتينـــي

ويبين الشاعر أنه أودع في المخيم كل أحلامه عن الوطن السليب ، وهذا يدل على شدة ارتباط الشاعر بأرضه ووطنه ، وأن الحلم ما يزال يملأ القلب . فيقول (2) :

ها هنا ،، أودعت كنزاً غالياً ،،

سور عكا والروابي حوله ،،

سهل حيفا ،، مرج يافا

يا عروس الشط ماذا أوحش الأنس بنا ؟

أين حل الركب خيم ؟؟

رفرف العشق علينا ثم خيم

قم نحيي ،، قم نحييه المخيم

ننشد العود نذكي نارها ما بين أضلاع المخيم

---

(1) جهاد إبراهيم درويش : ديوان أقمار الخيمة ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة ، الطبعـة الأولـى ، 2004 ، ص 4 .

(2) السابق ، 7 .

وأخيراً يمكن القول : إن الإنسان الفلسطيني تطلع إلى زوال الاحتلال الغاشم عن أرضه حتى يعود إليها ؛ لذلك نرى أن حلمه لم ينقطع ، وقد حافظ على تواصله مع أهله في الأرض المحتلة ، فلم يتوقف عن زيارتها كما أمكنه ذلك ، وكان يحرص على امتداده في وطنه فيتـزوج ويـزوج أبنائه من نسائها ، أو يبني بيتاً على ترابها ، ولا تستطيع قوة في هذا الكون أن تقضي على حلمه بالعودة إلى هذا الوطن العزيز الذي امتزج جسده بترابه ، وعشق هواءه ونسيمه .

ثالثاً : الحواجز العسكرية

استطاع المحتل الغاصب أن يقطع أوصال الضفة الغربية وقطاع غزة بـالحواجز العـسكرية ساعياً إلى الفصل بين القرى والمدن أو بين المدن نفسها ، وقد خلق هذا الوضع اللاإنساني ظروفاً صعبة جداً أمام الشعب الفلسطيني . كما فصلت هذه الحواجز الحاقـدة الفـلاح عـن أرضـه ، والطالب عن مدرسته وجامعته ، والطبيب عن عيادته .

وقبل أوسلو وبعدها كانت الحواجز تقام في وجه العمال الباحثين عن قوتهم وقوت أطفـالهم ، وبالكاد يستطيعون الدخول إلى مناطق داخل فلسطين المحتلة ، وقد سقط الكثير من العمـال بـين شهيد وجريح على هذه الحواجز ، إما نتيجة لإطلاق النار أحياناً ، وأخرى للتدافع والاختناق بسبب شدة الإجراءات القمعية التي يمارسها جنود الاحتلال الغاصب .

وقد أكثر الشعراء من وصف هذه الحواجز العسكرية ، ووصف معاناة الشعب وهم يصطفون ينتظرون مزاج الجنود حين السماح وحين المنع . ولم يراع الجنود الحالات الإنسانية كـالولادة أو حالات المرض ، ولم ينج كبار السن من هذه الممارسات القمعية . ويصور الشاعر عبد الحكيم أبو جاموس ولادة طفل صغير بعد ما منعت سلطات الاحتلال الغاشم أمه من مواصلة رحلتهـا إلـى المستشفى ، وقامت الأم بوضعه على الحاجز (1) :

يا طفلَ الحاجز
يا بشرى كسر الطّوق وخرق الأجواء
أطلق صرخَتَكَ الأولى في وجه بشاعتهم
لستَ بعاجز
هذا السيلُ المتدفقُ من ماء الرأس
ينذر بالأنواء
فادفع قوتَكَ المشبعةَ بشبقِ الحريةْ

(1) عبد الحكيم أبو جاموس : ديوان فراشة في سماء راعفة ، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة رام الله – فلسطين ، الطبعة الأولى ، 2001 ، ص 47 .

وتَشّبثْ بالأثداء
وارضع من ثدي الأرض حليباً
واجعل أفئدةً تهوي والطير
نحو تراب أرخي جبهتَه فاستقبلْ ميلادك
أطلقْ صرخة عِزٍ تتقاطر فَرحاً وسروراً ، أملاً وهناء

ويدعو الشاعر هذا الوليد إلى النهوض والتمرد على كل القيود ، فقد خلق حراً ؛ لأنه خـرج من الظلام إلى النور ، يقول [1] :

يا عِطر الورد
اقطع حبلَ السرة واربطه
لا تَقمطْ نفسك باللفةِ
وانهض كالطودِ من اللهفةِ
يا شاهد عصرٍ ، ملكياً ، اخرج عن هذا النص
واعزفّ لحن المجد الخالد
"يا ثورتنا المد المد"

أما الشاعر ماجد أبو غوش فيرسم صورة حقيقية لحياة الفلسطينيين على الحواجز ، وما هـي إلا أقفاص سجنت بها طيور طليقة ، تشرب وتروى لكنها تشرب المر . ويوضح ذلك قائلاً [2] :

دعه يعمل
دعه يمر
دعه يشرب
- حتى الثمالة -
كأس المر !
افتح له باب القفص
الأول
أغلق خلفه باب القفص
الثاني
ودعه يحلم
إنه حر !

---

(1) السابق ، 48 .

(2) ماجد أبو غوش : ديوان بانتظار المطر ، دار أزمنة للنشر والتوزيع ، رام الله ، الطبعة الثانية ، 2004 ، ص 18 ، 19 .

ثم يصور الشاعر الحاجز وقد تحول إلى جحيم لا يطاق ، حيث يصلّب الناس وكأنهم يسيرون على رؤوسهم في هذا الزمان المقلوب (1) :

خذه إلى السجن

خذه إلى القبر

اصلبه على الحاجز

ودعه يسير على رأسه

من هول الذل !

زمن مقلوب

هذا رجل يلبس في قدميه

قبعة

وتلك امرأة – بدل الهودج –

تمر عن الحاجز زحفاً

حتى القمر نراه

في عز الظهر !

ويأخذ الشاعر عبد الكريم العسولي في وصف حاجز التفاح الذي يفصل وسط قطـاع غـزة وشماله عن جنوبه ، فيصوره بأنه جراح يعقبها موت ، ولا يفرق الجندي الصهيوني بـين رجـل وامرأة وطفل ، فكلهـم في نظره سواء ، وهذه الحواجز ثمرة من ثمـار أوسلو . فيقول (2) :

في حاجز التفاح

مخيم يذوب

وشعب يستباح

وأيام تَموج

بأوجاع الجراح

فيكبر الأسى

وترحلُ الأفراح

كما أن هذه الحواجز مصيدة للأبرياء ، يرقد الجندي الـصهيوني كـذئب ينتهـز الفرصـة للانقضاض على فريسته ، بينما الناس يرقبون إذناً بالعودة إلى منازلهم . يـصور الـشاعر عبـد الكريم العسولي هذا المشهد قائلاً (3) :

---

(1) السابق ، 19 ، 20 .

(2) عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر ، 41 .

(3) السابق ، 43 .

في حاجز التفاح
ذِئب وبندقيةْ
والأهل يصلبون
في حاجز العذاب
هناك كالأغراب
ناس بلا هوية
عيونهم جمراتْ
قلوبهم حسراتْ
يرنون للديار
بنظرة شَجِيةْ

ويستمر الشاعر في تصوير معاناة الإنسان الفلسطيني عند الحواجز العسكرية التـي تقطـع أوصال الوطن ، ولا ينسى أن يتحدث عن فجر الحرية والخلاص من المعاناة ، وإن كـان هـذا الفجر تائهاً مكلوماً كما يقول [1] :

في حاجز التفاح
أرنو إلى السماء
نجومها عمياء
وبدرها سقيم
يصارع الغيوم
والظلمة السوداء
والفجر لم يزلْ
كمولودٍ رقيقْ
مسافراً نحيلْ
لا يعرف الطريق
وماله دليلْ
في دربه الأسلاك
والنار والشقاء
يحبو على الأشواك
وينزف الدماء

---

(1) السابق ، 46 .

لقد حالت الحواجز العسكرية بين الإنسان الفلسطيني ونثريات الطبيعة الجميلة ، ومع ذلك فإن عيونه تخترق الحواجز لتتأمل بهاء الوطن وجماله [1] :

في حاجز التفاح
تسافر العيون
للشاطئ الجميلْ
ترنو إلى الرمال
ورقصات النخيلْ
والموجةِ الميساءِ
وشمسةِ الأصيلْ

وعند الحاجز سقـط كثيرون شهداء أمام هذا العالم الأعمى الذي لم يعد له ضمير يتحـرك . فقد شهد العالم كله استشهاد الطفل محمد الدرة ، ولم يتفوه أحد بكلمة تشجب أو تستنكر ، فلو كان محمد الدرة يهودياً ما توقف الإعلام عن ذكر الحدث لحظة ، لكن محمداً قد ذهب وبقيت الحسرات والجراح عميقة في النفس [2] :

وهناك عند الحاجز المجنون
خلف متراسٍ
يودون انتظار
وإلى الأبد
عند الجدار
خلفَ الحجر
مات الولد
في حضن والدهِ
تَلَملَم واستند
في حضن والِدِهِ
تكفن والتحد
مات الولد
لم يبقَ إلا حسرةً
وبزوغ فجرٍ

(1) السابق ، 52 .
(2) السابق ، 58 ، 59 .

وانتصار

أما الشاعر المتوكل طه ، فإنه يبين أن الحواجز العسكرية موت وذل ، لا يقل عن الموت في ساحة المعركة الحقيقية ، فالعمال يدفعون حياتهم بعد طول انتظارهم وتعبهم في عملهم ، ويصور الشاعر لنا مشهداً رهيباً لعمال سقطوا شهداء بعد عودتهم من العمل وانتظارهم . فيقول [1] :

يقوم الجنود على حاجز
من دماء
ودوراً تدور على جمرةٍ
في العراء
هنا يبدأ الديك صيحته في الهزيع
وتمشي الأيادي ..
إلى لقمة في العناء
.. تعود ، وقد هدها الصخر والحفر

وعند الانتظار على الحاجز يفتح الجندي الصهيوني نار بندقيته نحو هؤلاء المنهكين المتعبين ، ثم يفترق الناس إلى شهداء وأيتام بعدهم . يقول الشاعر [2] :

.. تعود إلى حاجز ،
يفرغ الباغة – الآن –
في الرأس
.. تمضي الجنازات خلف الجنازات ..
ويمضي الصغار إلى يتمهم
في المساء

استطاع العدو الصهيوني بفضل أوسلو أن يتحكم في كل طريق وشارع ، في داخل المدن أو بينها وبين القرى ، فقد جلبت هذه الحواجز الحاقدة الموت والفقر والمرض إلى الإنسان الفلسطيني ، وحولت حياته إلى جحيم لا يطاق ، كما دفعت بعض النسوة ثمناً باهظاً على هذه الحواجز ، فمنهن من فقدت حياتها إما لإطلاق النار عليها ، أو لمنعها من مواصلة السير لتلقي العلاج في المستشفيات ، وأحياناً أخرى لحالات الاختناق من الغاز الذي يطلقه الجنود الصهاينة ، ومن هؤلاء النسوة من فقدت جنينها أو رضيعها لطول الانتظار في برد الشتاء أو حر الصيف . أما الرجال والطلاب فكانت هذه الحواجز سبباً في قطع الأرزاق ، أو عدم تلقي العلم ، فكم من

---

(1) المتوكل طه : ديوان أو كما قال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1999 ، ص 28 .

(2) السابق ، 29 .

طالب لم يستطع أن يذهب إلى مدرسته أو جامعته أو مؤسسته العلمية . لقد أراد هذا المحتل الغاشم أن ينشر فقراً وجهلاً في أوساط الشعب الفلسطيني ، لكن صمود هذا الشعب كان أقوى من طموح هذا العدو الحاقد .

وهكذا فقد رأينا تبرير الشعراء الانصراف عن تمجيد أوسلو وسلامها المزعوم والانخراط في تعديد المصائب التي جلبتها على الشعب الفلسطيني ، والتي منها حواجز الذل والموت هذه .

رابعاً : القدس الجريحة

لا يكاد يخلو ديوان شاعر فلسطيني من ذكر القدس وأقصاها الأسيرين ، فقد شهدت القـدس على مدى التاريخ حروباً صعبة ، لكن أبناءهـا اسـتطاعوا أن يخلـصوها مـن دنـس الغـزاة والطـامعين ، ومازالت القدس تتعرض منذ احتلالها في الخامس من يونيو 1967م إلـى أبـشع الجرائم التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ، حيث يحاصر أهلها وتُصادر منـازلهم وأراضـيهم ، ولا يسمح لهم بالبناء حتى يتكيفوا مع ظروف الحياة ، ويبذل المحتل كل ما يستطيع من محاولات لمنع تمدد السكان العرب في المدينة المقدسة ، فلا يصدر لهم رخص البناء اللازمة كما لا يسمح بجمع شمل العائلات الفلسطينية ، والممارسات والأعمال التي يقوم بها المحتل الغاصب أكثـر مـن أن تحصى .

إلا أن أكثر الممارسات اللاإنسانية تقع بحق المسجد الأقصى ، إذ لم يتوقف المحتل الصهيوني يوماً عن الحفر تحته وحول جدرانه وساحاته ، فإنه يتمنى أن ينهار ثم لا يسمح بإعادة بنائه ، كما يسعى المحتل الغاصب جاهداً إثبات الهيكل المزعوم بالبحث عنه تحت المسجد الأقصى .

وإذا أردت الحديث عن مشاعر العرب والمسلمين نحو القدس والمسجد الأقـصى ، فتـراهم استطابوا النوم وأطالوه ، ولم يعودوا يشعرون بأسره وما يتعرض له من مخاطر تلحق بـه يومـاً بعد يوم .

أما الفلسطينيون فقد هبوا مراراً للدفاع عنه أمام هجوم الصهاينة عليه ، ولم يدخروا جهداً في ذلك ، فقد سقط الكثيرون شهداء على ترابه الطاهر . ولم يزالوا إلى وقتنا هذا يكشفون مخططـات العدو وممارساته اليومية ، وأنشأوا لذلك جمعيات ومؤسسات ترعى القدس وأقصاها ، ويحـاولون الاتصال بمنظمات إنسانية لعلهم يجدون يد العون والمساعدة .

والشعراء الفلسطينيون لم يجدوا إلا أقلامهم للدفاع عن التراب المقدس ، ونـراهم يكثـرون الحديث عنه ، إنهم يسعون بكل ما أوتوا من قوة أن يغرسوا حب الوطن بأسـره فـي قلـوبهم ، ويحاولوا إيقاظ العرب والمسلمين من سباتهم العميق .

فإذا توقفنا عند الشاعر جهاد إبراهيم درويش نراه يعبر عن عاطفة جياشـة نحـو القـدس ، ويتمنى عودة إليها وتحريراً من الأسر ، وأن يعود النور إليها بعدما سيطر عليها ظـلام المحتـل الغاصب . يقول [1] :

أيـا قـدس إليـك الحـب أغنيتـي — تبـث الـشجو ألحانـاً تبكينـا
أبعـد النـأي هـل نلقـاكِ ثانيـةً — حـديث الأنـس كالـشريان يحيينـا
دعونـاك بقلـب أنـت مهجتـه — بلحـن الـشدو والتغريـد تهـدينا
لدرب النـور عـز النـور فـي وطنـي — وحـل القهـر بـالأرزاء يكوينـا
ومـا جـرم سـوى عجـز يكبلنـا — كأنـا مـن حـشاش الأرض والطينـا
لكـم صـم ... وكـم مـشلول يردفـه — فمن لكفيف .. كـم فـي القلـب سـكينا

ويبين الشاعر جهاد إبراهيم درويش ضياع القدس والأقـصى ، كمـا يبـين أن الجـزارين الصهاينة يذبحون أهلها [2] :

حبيـب القـدس والأقـداس ضـائعة — لكـم فـي القـدس جـزاراً وصـهيونا
حبيـب القـدس والأقـصى وقبلتـه — لكـم ثـارت بكـف الغـدر سـكينا
حبيب القدس هـل تـأتي علـى عجـل — بـوحي القـدس بالآيـات تبيينـا

ويدعو الشاعر أمته العربية والإسلامية إلى الاستيقاظ لإدراك القدس قبل ضياعها [3] :

عساها هاشـم مـن غيهـا تـصحو — فكـم زرعـت بهـا الأهـواء أفيونـا
كفانـا فرقـة فـي قومنـا رتعـت — إلـى "الـضفة" أخـا حمـقٍ أيـدعونا
أصرنا فـي جمـوع النـاس أشـذاذاً — هوانـا فـي جبـال النـار مأفونـا

وفي موقف آخر يستنكر الشاعر مواقف العرب في صمتهم أمام المجازر الـصهيونية بحـق الشعب الفلسطيني ومقدساتهم ، ويحاول استنهاض العزائم فيقول [4] :

بالله يـا وطـن العروبـة هـل تعـي — أسوى المجـازر فـي جبينـك سـائما
هانـت عروبـة وانجلـت سـوآتها — ذل الرجـالُ فلـيس فـيهم رائمـا
بتنـا كمـا الرعديـد يخـشى ظلـه — ويروع مـن صـوت الـشظايا هائمـا
بالله يـا وطـن العروبـة هـل تعـي — أتهـان أقـداس وعرضـك سـاحما

---

(1) جهاد إبراهيم درويش : ديوان وجه آخر للفرح ، دار المقداد للطباعة ، غزة - معسكر الـشاطئ - (بـدون تاريخ) ، ص 13 .

(2) السابق ، 13 .

(3) السابق ، 13 .

(4) جهاد إبراهيم درويش : ديوان أقمار الخيمة ، 68 ، 69 .

أيباح قتل النـاس فـي وهـج الـضحى ويـراع أهـل فـي عرينـك راغمـا

أيقـــال ذل العـــرب رغـــم أنـــوفهم ويـروح ذئـب الغـدر فينـا لاحمـا

ويربط الشاعر بين حبه وأحلامه للقدس ، ويعبر عن اختلاط آلامه بجراحه ، ونراه يجسد ذلك الحب والحلم بقوله (1) :

لأنك ... أجمل ....

ما خلق الله من البلاد ...

ولأن ... في عينيك انغرست

كل أحلامي الوردية ...

ولأن ثراك المفدى ...

جبلناه بالأكباد ...

ستبقين برغم المنافي والاغتراب ...

قبلة كل أماني الأبدية ...

ولأنك تعشعشين بين الجوارح

وفي آلامي وأنات الجراح ...

ثم يعبر الشاعر رزق البياري عن قداسة القدس ومكانتها الدينية التي دفعته إلى عشقها ، حيث لا توجد أرض بها حرية كحريتها (2) :

ولأنك أنت القبلة الأولى ...

وأرض الأنبياء

ولأجلك ...

يتفجر عشق الفداء

ولأني أنا نسر ...

يبحث عن سماء ..

ويبين الشاعر عبد الله حسين كراز أن القدس تشكو ساكنيها الغرباء ، وتنتظر أن تتطهر بدم أبنائها الشرفاء . يقول (3) :

تئن تحت رحمة الغرباء !!

مثل مليون طفل وشهيد

---

(1) رزق البياري : ديوان مساءات ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس – غـزة ، الطبعـة الأولـى ، (1999) ، ص 36 .

(2) السابق ، 37 .

(3) عبد الله حسين كراز : ديوان البحر .... حوار امرأة ، 23 .

هديراً يضج سكون الآخرين
يا قدس .. يا قبلة الأنبياء
مدي للشهداء يديك
واغتسلي في دمهم
في ريحهم
في مسكهم
واسكني زوايا أعين النساء
وافترشي عظامي
لكي تبقي خالدة
في بحرنا الكنعاني

ولعل وقفة مع الشاعر رفيق أحمد علي الذي يبين أن القدس قد قدمت شهداء لا حصر لهم ، وأنها أطلقت ندائها مستغيثة ترجو الخلاص من دنس الصهاينة ، إلا أن دعوتها كانت صرخة في واد [1] :

ألا يـا قـدس والقتلى تباع	وأرخص من دمانا لا يباع !
ويا أقصى وقد ناديت جأراً	وليس لما جأرت به سماع

أما اليهود وزعماؤهم المتعاقبين فنراهم قد اتفقوا على إنكار حق العرب والمسلمين في القدس ، وسعوا جاهدين إلى تشويه معالمها حتى وجدناهم يسمون من قام بإحراق المسجد الأقصى بالمجنون لكي يخلوا ساحته . يقول الشاعر [2] :

لأول محرق "روهان" من ذا	جنون قد ألم به أشاعوا
وقبل "زئيف" "كاهانا" ينادي	لعرب ليس في قدس رتاع
"وشارون" يكّشر عن نيوبٍ	بها فينا لتمزيق زماع[3]
وشامير وعصبته بصبرا	وشاتيلاء كم قتلوا وراعوا !
وناتنياهو قبل براك أبلى	بلاءات شكا منها الصداع
وقال القدس أورشليم منا	وما للمسلمين بها ذراع !

---

(1) رفيق أحمد علي : ديوان خيوط الفجر ، 44 .
(2) السابق ، 44 .
(3) زماع : عزم .

وينكر الشاعر ما يدعيه هؤلاء المحتلون الحاقدون أن القدس صافية لهم ، ويبين أن القـدس ستعود لأهلها بالماء والتضحيات ، وسوف تظل خالدة في قلوب محبيها من العرب والمـسلمين . يقول الشاعر رفيق أحمد علي (1) :

نقـول لهـؤلاء مقـال صـدق ... ألا فليـسمعوه وإن يراعـوا

سـتبقى القـدس شـامخة لأهـلٍ ... بنوهـا بالـدماء ومـا أضـاعوا

وتبقـى القـدس عاصـمة لـشعب ... وإن قتلـوا وإن ظمئـوا وجـاعوا

وتبقـى القـدس للإسـلام فلكـاً ... ومعـراج النبـي بهـا شـراع !

وتبقـى صـخرة الأقـصى لـواء ... يـصيح تـراب أرضـي لا يبـاع !

والقدس لا تقبل أن يمر عليها العدى ، فهي تنتفض وتثور ، فعندما زارها شـارون ثـارت وهبت ، وكانت هبتها جحيماً على الصهاينة ، وأثبت أبناء القدس في كل مكان أنهـم لا يـسكتون على تدنيسها . أما الزعامات فإن الجبين يندى لها ، هذا ما كان ينطوي عليه قول الشاعر شـهاب محمد (2) :

هبتِ القدس والبلاد وشعب
عربي من (الصفا) للجزائر
والحكومات تكتب الشعر سراً
ثم تتلو البيان ، والليل ساتر
سقط الضيعون في ظلام ويأس
ثم لاذوا ، مكابراً ومتاجر
أيها الخائبون ، في سدة الحكم
كفاكم تنافخاً ، وتفاخر
أيها الزائفون أدركنا الذبح
وناحت على البكاء المنابر

أما الشاعر محمد محمود عبد الرحيم مهدي ، فيبين أن القدس تنام وهي جريحة ، وأنه يتمنى لقاء في أقصاها الأسير ، ويتمنى خلاصـه من الأسر ، والشـوق في شرايينه نار تكاد تتفجـر . يقول (3) :

---

(1) رفيق أحمد على : ديوان خيوط الفجر ، 45 .
(2) شهاب محمد : ديوان رجع الجوى ، 27 ، 28 .
(3) محمد محمود عبد الرحيم مهدي : ديوان طرقات على جدار الصمت ، بالتعاون مع اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، غزة ، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص 59 ، 60 .

تأن القدس في أذني
وتزحف في خلايا الجسم مذعورة
وتصحو في ثياب القهر تدعوني
فينمو الجرح في عيني
لهيباً دامياً يعمي
وأقصانا ببيت الغدر مأسور
متى اللقيا وكسر سلاسل الذل
متى الآذان بالتكبير نرفعه ؟
فناري في شراييني
كجمر الشوق لا تخبو
وشط الحزن ممتد على رملي ، على صخري
فيبكي الرمل أطيافاً وأشجاناً
وصخر القدس تحت الأفق حيران
فموج الشوق هلْ يسلو طيور الدار عنوانا ؟

وستظل القدس في القلب ، ولن يخبو ضياؤها ، وستظل قبلة أهلها ، وأما المستوطن الغاصب الذي يسلب الأرض وينهب المقدسات فلن تطول إقامته ؛ لأن القدس ترفضه ، وترفض أن تكـون لغير أهلها ، يصور الشاعر إبراهيم قراعين صمود القدس في وجه الاحتلال . فيقول [1] :

لنـا القـدس تبقـى لـن تكـون لغيرنـا	على الـرغم أن الحـال فـي القـدس مائـلُ
فمـستوطن فيهـا علـى الأرض يعتـدي	ومـا شـاء مـن سـلب ونهـب فاعـلُ
ويطـرد أهـل القـدس منهـا ويـدعي	لـه الحـق .. أمـا مـا عـداه فباطـلُ
لنا القـدس تبقـى .. لـن تبـدل جلـدها	بجلـد احـتلال دون جـدوى يحـاولُ
لنا القـدس .. إنـي فـي العروبـة آمـل	إلـى القـدس فـي يـوم تُـشَد الرحائـلُ
لنـا القـدس تبقـى .. يـا عروبـة إننـا	إذا مـا قـصدنا لـن تعـز الوسـائل

وإلى الذين صموا آذانهم عن صخرة القدس ، ينادي الشاعر عبد الكـريم العـسولي بـأعلى صوته لإنقاذ القدس ، ويبين أن الشعوب قد نامت عن القدس ، وغرقت فـي الحـب والخمـر ، وتركت اليهود يدنسون المقدسات وينتهكون الحرمات ، فيقول [2] :

يا قدس

---

(1) إبراهيم قراعين : ديوان وتعود أمواج البحار إلى البحار ، 27 .
(2) عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر ، 14 ، 15 .

كم نادى المنادي في العواصم
صخرتي في النار تهوي
والمآذن تحتضر
لم يسمعوا
كانوا على أشلاء راقصةٍ
يصبون المدامة والدرر

أما القدس فهي تغرق في الحزن والأسى ، وتشكو وتنظر من يخلصها مـن دنـس وأسـر الصهاينة [1] :

يا قدس لا تشكو إلي مرارةً
فالحر تكفيه الإشارة والنظر
يا مقدسي
هذا زمان الحب والكاسات
واللحم النسائي العطر
هذا زمان الساقطين
بحضن ساسات الصليب
وحضن (باراك) القذر
هذا زمان العار والموت البطئْ
وزمان طأطأة الرؤوس
وزمان تجار الغجر

أما الشاعرة رحاب كنعان فتبين أن القدس ستبقى في سماء الدنيا عزيزة مقدسـة ، تـصونها وتدافع عنها دماء طاهرة زكية ، فهي عبر التاريخ كانت الدماء والتضحيات تعيدها إلـى أهلهـا ، والشهادة على ترتبها من أجمل الشهادات [2] :

ستبقين لؤلؤة في عيون اليمامات
ودم البراءة
امتداد لشعلة الانتصارات ....
ستبقين كما خلقك رب السماوات
...

---

(1) السابق ، 15.

(2) رحاب كنعان : ديوان شلالات الفصول الثمانية ، مطبعة الرسالة ، غزة – فلسطين ، الطبعة الأولى ، 2007 ، 18 ، 19 .

يا مصلى محمد .. يا مهد عيسى
يا أرض المعجزات
سنابلك على العهد لا زالت
سراجها الأمل .. وليلها القرآن
تحول قصورها إلى رحم الأرض
وخلف القضبان
وحنظل الموت من أجلكِ هان

ثم تبين الشاعرة رحاب كنعان أن آمال المحتلين والمستعمرين الغاصبين كانت تتحطم أمام صخرتها التي روتها الدماء ، وظل التاريخ يشهد ببطولة صلاح الدين التي طهرت القدس من الطغيان . فتقول الشاعرة (1) :

أيها التاريخ حدث
كم طافت بنا الأعاصير
وامتلأت الشواطئ أصدافاً ومرجان
ببسالة صلاح ....
أذابت الصخر والصوان
من اجل أن تبقى قدسنا
مطهرة من الطغيان

وتوجه الشاعرة نداء إلى كل المسلمين ، وإلى كل أصحاب الأديان الأخرى بأن يهبوا لنجدة القدس وتخليصها من التزوير ومحو الهوية . فتقول (2) :

فيا آل محمد .. يا كل الأديان
أيحق أن تداس قدسنا أو تهان ؟
لن ندعك بين جمر الكانون والكانون
وبين تزوير الحقوق والقانون
ستنهض من بين الطلل
من قسوة ..
الخيام ..
والتشرد ..

(1) السابق ، 19 .
(2) السابق ، 19 ، 20 .

ويرى الشاعر أحمد دحبور أن زيتون القدس كزيتون غيرها ، وترابها تراب ، لكنها أسطورة خالدة ، وإن كانت كغيرها لكنها في القلوب مغروس حبها . يقول [1] :

ما الذي يجعل منكِ القدس ؟
لا أسألُ ،
بل أدخلُ في سحر الجواب
ما الذي يجعل منكِ القدس ؟
أسبوعك أيام ،
وزيتونكِ زيتون ،
وفي أرضِكِ ، مما يطأ الناس ، تراب كالتراب .
فلماذا وحدكِ القدس ،
وما دونُكِ أسماء .. قرى ، أو مدن ؟
ولماذا طارت الصخرةُ ،
وانكب عليكِ الدهر ؟
فيكِ السطر يجري نحو أسطورته ،

وستظل القدس عروس المدن ومفتاح الأرض إلى السماء ، ولابد للصبح أن يقهر الظـلام . يقول الشاعر أحمد دحبور [2] :

وما زلْتِ العروس
هكذا الدنيا ،
هي الدنيا وأنتِ اللحظة العليا ،
وأنت الوطن
ولهذا وحدك القدس ،
وما دونكِ أسماء .. قرى أو مدن
ولهذا سبح العيد فكنتِ اللهجةَ الأم لأبناء الدعاء
غير أن الصبح طفلٌ يسألُ
والهواء المتمادي يسألُ
وانحناء الظهر عمر يسألُ :
إن تكوني لشعوب الأرض مفتاح السماء

---

(1) أحمد دحبور : ديوان هنا هناك ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، الطبعة الأولى ، 1997 ، ص .14 ، 141 .
(2) السابق ، 142 ، 143 .

فلماذا لستِ لي أرضاً وأرضي أنتِ ،
واسمي كان منقوشاً على حزنكِ ،
منذ الدمعة الأولى على السيفِ ،
إلى أبعد برقٍ في الفضاء ؟

كما يبين الشاعر أن القدس حياته ومماته وبعثه ، وأن العودة إليها حلم حياته ، فهي مشاعره وأفكاره [1] :

والوعد أن ينقله الرعد ويرعاه السحاب
هو لا يسأل بل يدخل في سحر الجواب :
ما الذي يجعل منكِ القدس غيري ؟
أنتِ مهدي ، صخرتي ،
ميلاد إسرائي ،
وإسفلتٌ سماوي لطيري
ولهذا أنت حكم بالعذاب
وأنا المحكوم بالعودةِ ..

إن القدس صارت وحيدة ، لم يعد زعيم ينظر إليها ، فقد أخافهم سيف الصهاينة وأقعدهم الجبن عن ذكرها ، بينما يدوس الصهاينة ويدنسون ترابها المقدس . يقول الشاعر الشهيد رامي سعد [2] :

بل عاد رجال (الكفيار) (3)
والقدس حزينةُ
ما عادت
يرفعها زعيم شعار
فالكل يحاور
ويغازل
طمعاً في عفو الجبار
والأرض تحطمها حرب
والأمر بأيديهم صار

---

(1) السابق ، 145 .

(2) رامي خضر سعد : ديوان تراتيل ، الرابطة الأدبية ، مركز العلم والثقافة ، غزة ، الطبعة الأولى ، ص ، 54 . 55

(3) الكفيار : بيض نوع من السمك يعد أحد الأطعمة الفاخرة .

وشعب الله " المختار "
يداس بلا إحساس
ولا تعويض عن الأضرار
من شعب الله المختار
مع شعب الله الجبار

لا تطيب الحياة ، ولا يطيب الحديث والقدس تشكو أسرها ، لكنها بعد شمس الحرية ستصبح وردة وأغنية لكل حر شريف . ويبين الشاعر سليم النفار أن أهل القدس صامدون بـالرغم مـن حرقهم وملاحقتهم . ويقول في هذا المشهد (1) :

أي الكلامِ يليقُ ...
والقدس في ريحٍ تئن ...
يا وردةَ الفجرِ الذي ،
يحبو ... على وجعٍ يفيقُ
كل الصباحاتِ التي ،
في عتمنا حبلى ،
براياتٍ ، وميعادٍ عتيقُ
هذي حرائقهم ... تطاردنا ،
ونسكنها ...
ففيها روحنا وهجٌ عقيقُ

كما يبين الشاعر أن القدس لن تهدأ ومسرى رسول الله – صلى الله عليـه وسـلم – يفرقـه الصهاينـة في الأسر ، وسيظل هذا المسرى نوراً للبشرية ، ويبشر الشـاعر أن النصر قريب (2) :

يا وردةَ الألم المبرزخ في الهديلْ ...
طوبى ... ،
لمسراك الذي ألقى على الدنيا الصهيلْ
ما نفع نجوانا هنا ...
والليل خلفَ الليل ،
والآتي قتيلْ ؟!

---

(1) سليم النفار : ديوان بياض الأسئلة . منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة ، رام الله – فلـسطين 2001 ، ص 61 ، 62 .
(2) السابق ، 63 ، 64 .

أبشِر محمدنا ... ،

ودربك يستنير

لن تهدأ الأرض التي ...

فاحملْ ورودك صاعداً ...

وافرشْ ندى

طوبى ... لورودك يا فتى

أينعت أزها الحنين

إن الإنسان الفلسطيني قد نذر روحه لأجل قدسه ، لا يتوانى عن حمايتهـا يحرسـها بقلبـه ووجدانه . وهذا الاندماج مع القدس عبر عنه الشاعر عبد الحكيم أبو جاموس قائلاً (1) :

هي قدسنا نفدي بهاء أريجِها

ونظل حراساً لمسجدها

ولأجل عينيها نسير

إلى المصير

ونعتلي

في لجة التحرير

ريح العاصفةْ

وفي موضع آخر يتحدث الشاعر عبد الحكيم أبو جاموس عن ثبات الشعب الفلسطيني وهـو يدافع عن مقدساته ويتحدى المعتدي الغاصب الذي يوشك على الاندحار والهزيمة (2) :

لحظـــــةُ الحـــــزن تبـــــدتْ	فـــــي انهمـــــار الأدمـــــع
و الجمـــــــاهير تحـــــــدتْ	حقـــــد نـــــار المـــــدفع
فاصـــــبري يـــــا اُمنَـــــا	واســـــلمي يـــــا قدســـــنا
نحـــــن أشـــــبالُ التحـــــدي	نحـــــن جيـــــل لا يلـــــين
يـــــا فلـــــسطين اســـــتعدي	لانـــــدحار الغاصـــــبين
فاصـــــبري يـــــا أمنَـــــا	واســـــلمي يـــــا قدســـــنا

أما القدس فستبقى عاصمة الدين ، وسيبقى الأقصى رمزها الشاهد على إسلاميتها كما كانـت عبر التاريخ كله . ويعبر الشاعر عبد الحكيم أبو جاموس قائلاً (3) :

---

(1) عبد الحكيم أبو جاموس : ديوان فراشة في سماء راعفة ، 24 .

(2) السابق ، 25 ، 26 .

(3) السابق ، 67 .

القـدس عاصـمةٌ ومجـد حـضارة | والعهـــد صـــادق ويوثـــقُ
تزهـو بمـسجدها وقُبـة صـخرها | إنــا بحــب رحابهـا نتعلـقُ
يـا مـسجداً أرسـى دعـائم هديـه | ديـن علـى مـر العـصور يـصدقُ
يـا حبـذا درس بظــل رواقــه | أو حبـذا لهـو بـرئٌ شـيقُ

ويتمنى لها الشاعر ضحى بعد ظلام ، لتعود لها مكانتها ويذهب العار عنها (1) :

يا أطهـر الأرجـاء يـا مـن هـدها | ثِقـلُ القيـودِ ونفـسها تتحـرق
يستـصرخُ التـاريخُ عنـد قبابهـا | عهـداً لـه مـاء المنايـا تُهـرقُ
ليعيـد سـيرتَه وسـيرةَ صـحبِهِ | ويعـود منبرهـا الـشريف المعـرقُ
ليـلٌ علـى ليـلٍ يلـف قبابهـا | والظـلام سـاد هـل النهـار يـشرقُ

ولا يملك الشعب الفلسطيني إلا إيمانه وأمله ليقاوم مؤامرات اليهود في هدم مقدساته . ومهما بالغوا في هدمها وسعوا إلى إقامة هيكلهم المزعوم ، ستظل الحجارة المقدسـة رافـضة أعمـالهم الخبيثة (2) :

لم يبق عندي
غير خارطتي
وللتوراةِ أن تمحو
كما شاء الإله
فوق مئذنة الرسول
وتقيم هيكلها القديم
على رفاةِ عنادلي
وعلى
حجارة
مستحيلي

ويبشر الشاعر صلاح الدين الريماوي بعودة القدس وحرمها إلـى أهلهـا ، وعـودة البهـاء والأمجاد كما كانت (3) :

ستعود للحرم الشريف
أمجاده المتسامية

---

(1) السابق ، 67 .
(2) سليمان دغش : ديوان عاصفة على رماد الذاكرة ، 41 .
(3) صلاح الدين الريماوي : ديوان من محاسن الطبيعة ، 30 .

وتزدهي أعلاميه

فوق منائر قدسنا

فينتشي أبنائيه

لها يعود بهاؤها

وبها تطيب حياتيه

كما يبين الشاعر امتزاج جسمه وقلبه بترابها ، وأنه يتنفس بأنفاس القدس التـي لـم تفـارق روحه لحظة [1] :

فإنها مطبوعة

في خاطري وعيونيه

تلك التي نعشقها

منذ السنين الخالية

مازال في أنفي شذى

من عطرها وجبينيه

تسرح في أنحائها

عواطفي وشجونيه

أما الأقصى الأسير فله مكانة لا تساويها مكانة ، فيزداد الشوق والحنين إليه ، وتخـتلط فيـه الأشواق بالأحزان التي لا تزول إلا بالصلاة فيه . يقول الشاعر صلاح الدين الريماوي [2] :

تحن للأقصى الأسير

تشتاقه صلاتيه !

وللكنائس حرمةٌ

أبدي لها أشواقيه

فإن من يرتادها

هم إخوتي في داريه

أهدي لكل منهم

أزهار وردٍ ناديه

كان الله تعالى يقيض للقدس قائداً ربانياً يخلصها من دنس الغاصبين ، أما اليـوم فأصـبحت محاطة بالأسوار والأسلاك الشائكة ، وبالرغم من حصارها وجراحها إلا أنها ما زالت تنتظر أُسد

---

(1) السابق 30 ، 31 .

(2) السابق ، 31 .

العرب ، فلا طعم للقدس بلا أقصاها وصخرتها ، ويرسم الشاعر صلاح الـدين الريمـاوي هـذا المشهد بقوله [1] :

حبيبتي المسورة
مدينة من دونها
الدين يفقد جوهره
وترى العروبة أنها
من دونها مستنفرة
حشودها ترنو لها
والفرد منهم قسورة
وكلما حلت بها
جماعة مستعمرة
يقيض الباري لها
من يرتئيه لينصره
فالقدس والأقصى بها
ضميرنا والمقدرة

أما الشاعر جمال سلسع فيبين أن الشوق إلى القدس وأقصاها قد اتخذ ينابيع لها مجـار ، وأن هذه الينابيع ومجاريها نقشت وصبت في قلب القدس [2] :

واليقظة في الروح بحار
تتخطى خدعة ليل
وتصب حنين الشوق ،
بقلب القدس .!!
ولماذا تبحث والمجرى منقوش
في محراب الأقصى .؟؟!
مر عليه ملاك الرب،
وطهره من وحل الرجس
هلْ تسألُ عن حب .. ؟؟

(1) السابق ، 66 .
(2) جمال سلسع : ديوان عش الروح ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، الطبعة الأولـى ، 1998 ، ص 7 ، 8 .

وإذا تنازعت الأماكن باحثة عن مكان في القلب ، فإن القدس جبل شامخ احتل القلب كلـه ، ولا متسع في القلب لغيرها ، ويعبر الشاعر جمال سلسع عن ذلك . فيقول [1] :

حبك باقٍ كجبالك ،
فوق ضفاف القلب ،
فأنت التاريخ وأنت الميراث ،
وغيرك ما حط بهذا القلب .....
مقامه ..

ثم يواصل الشاعر جمال سلسع حبه للقدس ، وتعلق قلبه بها ، وإن أسوارها نقش عليها سلام الله [2] :

والقدس بقلبي .....
صوت الله ، ....
يؤجج في التقوى
ويحرضني كي أنقشَ فوق الأسوار ،
سلامه
وسلام الله ، سلام القدس ،
صهيل مازال يهز نخيل الشمس ،
على أقصى وقيامه

إن القدس قلب فلسطين ، وقد رأينا كثيراً من الشعراء يبكونها ، ويصورون تخلـي العـرب والمسلمين عنها ، ولم يزل هؤلاء الشعراء يعبرون عن أملهم في تحريرها وتخليصها مـن دنـس الصهاينة ، وستظل القدس مغروسة في قلوبهم ؛ لأنها رمز وجود الإنسان الفلـسطيني وبقـاؤه ، وسيبقى الفلسطيني رافضاً لأحاديث السلام مع العدو الصهيوني الغاشم مـا دام يـسلب القـدس حريتها ، ويعبث بمقدساتها .

خامساً : الصمت العربي :

كان العرب أمةً مرهوبة الجانب قوية السيف ، ما إن يصرخ مستغيث وإسلاماه وامعتـصماه حتى تجد الجيوش يحارب أولها في عقر دار العدو وآخرها في دار الخلافة . وكم من نصر حققته تلك الجيوش على عدوها حتى اضطر العدو صاغراً أن يعترف بقوتها ويقبل بشروطها .

---

(1) السابق ، 20 .
(2) السابق ، 21 .

لكن الموازين اختلفت ، وصارت الجيوش أول الفارين من العدو ، وإن المصيبة لتعظم عندما يختلط الجنود بالمدنيين طلباً للحماية والنجاة .

ومما يدمي العين ويجرح الفؤاد أن هذه الجيوش أصبحت معدة ومجهـزة لحمايـة الحـاكم والحفاظ على عرشه من السقوط ، وفقدت الشعوب ثقتها بهذه الجيوش المزمجرة . وياليت الحكام العرب وقفوا على الحياد ، بل إن المصيبة أعظم وأمر ، عندما بدأوا يتوسـطون بـين الـشعب الفلسطيني وبين عدوه الغاصب .

وقد عبر الشعراء كثيراً عن هذا الاتجاه ، ورأوا أن هؤلاء الحكام قد عجزوا عن تقـديم أي شيء لبلادهم ، وأنهم قادوا شعوبهم إلى الوراء ، فلننظر إلى قول الـشاعر عبـد الحكـيم أبـو جـاموس [1] :

الخيلُ تحفر في ثنايا الأرض أخدوداً تواري فيه سوأتها
تستذكر التاريخ من ماضي العصور اليعربيةْ
يا فارس الفرسان عرج نحو ديرتنا
اشحذ مضاء السيفِ يشمخُ في زمان "السمسرة"
واطعن زنادقةً أباحوا للردى شد الضفائر للحرائر
أرجعونا القهقرى

إن الشاعر عبد الحكيم أبو جاموس ليبعد أكثر من ذلك ، ويبين أن هؤلاء الحكام سـيندثرون ويذهبون إلى مزابل التاريخ بعدما كسروا السيف وأصبحوا عملاء لأعداء الأمة يسومون شعوبهم سوء العذاب [2] .

والخيلُ تُعقَد في نواصيها البشارة
خير تجلى في بيان الانتصار
جِمم تزمجر غارةً في إثر غارة
فيصبح سِمسار ويسقطُ في جحيم الاندثار
فامنح لها إذن التصرف في جواسيس الإمارة
من أثخنوا فينا الجراح وأسلمونا للدمار
نفر شراذمةٌ أناخوا رحلَهم
في مرتّع للبغي في رحل الغبار

---

(1) عبد الحكيم أبو جاموس : ديوان فراشة في سماء راعفة ، 49 .
(2) السابق ، 51 .

أما الشاعر الشهيد رامي سعد فإنه يظهر عنفاً أشد وقسوة أكثر على العـرب والمـسلمين ، ويصورهم بأنهم موتى حان وقت دفنهم ، وقراءة ما تيسر من الآيات القرآنية على قبورهم ، فهـم خشب لا ينقصهم إلا الحرق والخلاص منهم ، ويوجه نداءه إلى شعبه ليحمل جرحه ويعتمد علـى نفسه . فيقول [1] :

قم ضمدِ الكلماتِ بالجرحِ الثخين
واقرأ على الأعراب
فاتحة الكتاب
ولا تعقِّب
لا جواب
فالكل موتى لا حراك ولا طنين
خشب مسندة يهيج بها الضرام
ولا يسير بها السفين
قم إنه ذات الخراب
وذا هو الموت الرصين
قم إنه نفس البلاء
فأمام مليار تجمع في المساء
في كربلاء
ذبحت جنين

ويبين الشاعر أن العرب قد ناموا ، وتركوا أهل فلسطين يغرقون في دمائهم ، والعدو يلـتهم أرضهم ، وكأن العرب يعيشون في كوكب آخر . يقول [2] :

نامت فيهم قيم العزة
سكتوا حين تهاوت غزة
وتماهت فيها الألوان
تذبح غزة في كفة
وتشوى في الأخرى الضفة
ويفضل قتلانا الجدران

---

(1) رامي خضر سعد : ديوان تراتيل ، ص 21 .
(2) السابق ، 32 ، 33 .

أما قرارات القمم العربية فتوضع على رفوف النسيان ، لا تساوي الورق الذي كتبت عليـه ، مضيعة للوقت وخداع للشعوب ، وصراع الزعامات [1] :

تعقد قمة لشد الهمة
فيشْتُم أبرهةٌ عثمان
ويرفع للردة عنوان
ويترك عنترة قمتهم
ليبقى في القمة اثنان
تطوى صفحتنا على عجل
وتوضع في ركن معروف
لتنهش أحرفها الجرذان

والأمة تنتظر فارسها المخاص من هذه الأخشاب المسندة ، يشبه الشاعر رامي سـعد هـذه الجيوش بجيش المرتدين الذي هاجم المدينة في غياب جيش أسامة المرسل إلـى الـشـام حـين يقـول [2] :

وعلى الأثر
جيش الردة
يحمل عدة
ليزرع في الوطن الأحزان
ويبقى أسامة
كفرخ حمامة
يبكي لضياع الأوطان
جرح في خاصرة القائد
سهم صائد
يتفرج كل الجيران
رحل أسامة
وترك الأمة دون حصان

ما الذي سيبقى بعد زوال الكرامة ؟ حتماً إن العار والهـوان سـيظل مزروعـاً والحنـاجر صامتـة ؛ لأن أمتنا استسلمت وخضعت ، وصار ذلك عرفاً [3] :

---

(1) السابق ، 33 .
(2) السابق ، 33 ، 34 .
(3) السابق ، 57 .

أين النخوة ؟!

سقطت

في زمن " البترودولار "

عقدت أمتنا ذراعيها

وللجائم أفلتت الأزرار

دون قسرٍ

باختيار

نرفع الرأس الموشى

بالمكاره والغبار

عاش فينا الذل دهراً

صار عرفاً

ويحذر الشاعر أبناء أمته بأنهم سيفقدون الكرامة في الموت كما فقدوها في الحياة ، وعليهم أن يستيقظوا ويفتحوا عيونهم لاستعادة الكرامة المسلوبة . فيقول [1] :

أنا لا أخبركم سرا

في زمن ذياع الأسرار

أرفع بالصوت الهدار

للجيل العالق

بين الطبلة والمزمار

لن نجد رجالاً تدفننا

لن نجد نساء تدفننا

إن بقي الغازي في الدار

ويبين الشاعر أن الزعماء العرب هم سبب الهزائم والعار الذي لحق بالشعوب العربية ، فهم يوقعون خائبين ، وقد كسرت أنوفهم وزال كبرياؤهم [2] :

في شرم الشيخ المصرية

في الوحل تغوص إلى الصرة

لتعود الأيام المرة

وتموء زعامات هرة

---

(1) السابق ، 57 ، 58 .

(2) السابق ، 62 ، 63 .

فتدلي الرأس إلى الكاحل
وتزيح الأنف إلى الغرة
بوجوه تعلوها الغبرة
كالحة ترهقها قترة
ورؤوس تذري منكسرة
وفضائح توقيع نكرة
ودماء تصرخ محمومة
الشعب سيلفظهم فجرة

وما زالت فلسطين تنتظر رجالاً في زمن عز فيه الرجال ، وفي غياب هؤلاء الرجال فعل الكيان الغاصب ما يريد ، وتصدع الوطن وضاع . ذلك ما ينطوي عليه قول الشاعر [1] :

مـن أيـن أبـدأ والـديار غريبـة — من أيـن والـوطن الـسليب تـصدعا
أيـن الرجـال وأيـن مـن يغـزو بهـم — نامت عيـون القـوم تبغـي المهجعـا
حلـت بنـا زمـر الغرائـب مـن خنـا — أهـل القرابـة والوشـائج أجمعـا
أين العروبـة هـل مـضت غيـر اسـمها — أو غيـر تلـك النائبـات المفجعـا
ويـصيح بيـت الله فينـا كلمـا — تبكـي المـآذن حرقـة وتطلعـا

ويدعو الشاعر أبناء شعبه إلى المقاومة والصمود ، وألا ينتظر نصرة من العـرب ؛ لأنهـم أصبحوا أمة نائمة عاجزة سقط رأسها في الوحل ، فيقول [2] :

أيها الشعب المراغم
صوت إقرار المحاكم
انتهى من دون صوت
ارتحل من دون فوت
لا أمل فالطريق إليك قاتم
كل من يحميك نائم
كل من يرثيك ظالم
لا زعيم ولا أمير
فكلهم صنع الجرائم
واكظم الغيظ المرير

---

(1) السابق ، 94 .
(2) السابق ، 94 .

وابتلع الشتائم

كلهم يجني المذلة

وأنت في الميدان قاوم

ويصور الشاعر الخضوع والذل للعم سام عندما يبلغ ذروته ، هذا العم الذي أصبح إلهاً وسيداً لهذا الكون ، فمفاتيح الجنة بيده ، يرضى ويغضب كما يريد . لقد أصبحنا خارج قائمة الأمم في التاريخ . يقول [1] :

أيها السيد في البيت الأبيض

نسينا للحظة

- نحن الأعراب -

أن بيدك مفاتيح الجنة

وأن الله وضع بيديك الأخرى

مفاتيح النار

وأنك بإيمائة

تخسف بنا الصحراء

وتغيب عن ليلنا القمر

وعن أعيننا ضوء النهار !

ويطلب الشاعر العفو والمغفرة على خطأه من هذا الإله بطريقة ساخرة تعبر عما يعتمل في صدره فيقول [2] :

يا سيد هذا الكون

سامحنا

... كنا نلعب بالنار !

أبانا الذي في البيت الأبيض

يا من تسير السفن في البحار

وفي سمائنا (الأقمار)

يا من بيده السوط

والحل والربط

(اعف عنا وارحمنا)

---

(1) ماجد أبو غوش : ديوان بانتظار المطر ، 88 ، 89 .

(2) السابق ، 89 ، 90 .

واقبلنا مع التائبين !

أما الشاعر عبد الهادي القادود ، فإنه يظهر سخطاً أكبر على هذه الزعامات التي أضاعت المجـد التليد ، وأخذت تدعي شرفاً بانتسابها إلى النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم - [(1)] :

سرب الزعامات التي نرضى بها
متذبذب الآراء قد يصحو غدا
تاريخنا يشكو إلينا حالهم
من غابة فيها الأرينب عربدا
يا نائماً بين القصور مهللاً
جعلوك في الأشعار تشبه أحمدا
أو عاد بيتك جنةً في عصره
أم خير بيتك للكلاب تجندا
مجد الجدود إلى الطغاة تبيعه
وتبايع الجلاد أن يتهددا

كما صور الشاعر هذه القيادات بأنها عبيد لأمريكا ، فهم يعلنون في الخفاء ثورة عارمة ، وأمام السيد الأعظم العم سام يطأطأون الرؤوس ، وإذا أمرهم لا يتأخرون ، ويصف الشاعر عبد الهادي القادود قائلاً [(2)] :

ما هذه إلا قياداتٌ خشب
أسمى أمانيها نعوشُ للعرب
والعالم المسعور طأطأ رأسه
عبداً "لأمريكا" وإلا يرتكب
وتسابق الزعماء في ساح العمالة
يعلنون الثّأر من خلفِ الحجب
وغدت ديار المسلمين رهينةً
مع "كاف بوش ، أو بنونٍ" تُحتلَب
قد عربد المخصي فوق ترابنا
بل هدم الآثار من وسط الكتب

---

(1) عبد الهادي القادود : ديوان وطن ينزف 11 ، 12 .

(2) السابق ، 40 .

ويصور الشاعر خضر ججحوح صمت العرب بأنه كارثة مذلة ، ثم لا يجـد تفـسيراً لهـذا الصمت ، غير أن الأمة قد دخلت في سبات عميق لا يعلم غير الله عز وجل متى تستيقظ منـه ، يقول [1] :

سـبـاتٌ .. كنـدفِ الثلـوج بزحلـة — تـراكم فـوقَ القلـوب المذلّـة
سـبـات عميـق .. يخـيم فينـا ..! — ويقتـل روح الأمـاني المطلّـة
ويـركض عبـر النخـاع، ويـسري.. — ليهـبطَ وادي . . يـصعد تلـة
غفونـا !! يهـز سـرير الحيـاةِ — بنا الـصمتُ ُأمـاً ويـرقص رجلـه
ويحكـي – يهدهـدنا بالحكايـا - — أسـاطير مـاض لـشخصٍ مولّـه
وتمـضي الـدوائر حمـراء تهـوي — وتكبـر فـوق غـدائر نخلـةْ
وطـوراً .. تـصير عـواء ذئـابٍ — وحينـاً خلايـا ..، تطـارد نحلـةْ
سـباتٌ رهيـب ..علـى الأفـق يـشدو — بآهـات صـمتٍ .. وأنغـام ذِلـةْ
ووحـشُ الفـلاةِ يـداعب فينـا — طيـور الإبـاء .. ويطفـئ غِلّـه

ولا يجد الشاعر تفسيراً لصمت العرب الذين ماتت قلوبهم ، ومقدساتهم تنتهـك وتغـضب . ويصف الشاعر عبد الكريم العسولي عن هذا الصمت الرهيب قائلاً [2] :

يا قدس ماتَ الحب
في قلب العروبةِ
واعتلى جبن البقر
في قلبهم سكَنَتْ أهازيج الهوى
وتراقصتْ بيض الغواني في القصر
تركوك يا قدس تئن من الجراح
تركوك يا قدس تغرقُ في الدماءِ وتندثر
تركوك بين مخالب الذئبِ الحقودِ
تذوب وحدك في الضلوع وتنقبر
تركوك للثعبان
يبتلع المباسم والحناجر والبصر

---

(1) خضر محمد ججحوح : ديوان صهيل الروح ، مركز العلم والثقافة ، النصيرات ، الطبعة الأولـى ، 1997 ، ص 102 ، 103 .

(2) عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر ، 13 .

قد يكون الصمت جميلاً عندما يكون الصمت أبلغ من الكلام ، وعندما يقتضي الحال أن يظل الإنسان صامتاً كما هو حال العرب الذين يجر كلامهم الويلات على الأمة ، يقول العسولي [1] :

قال الهداة
وقال أرباب الأدب :
الصمت أبلغ من كلامٍ
حينما يسطو الغضب
والصمت خير من كلامٍ
لا يجر سوى التعب
والصمتُ أفضل من كلامٍ
للمضرةِ قد جلب

لكن الصمت عند العرب عجز وخوف ، فيحتمون به خوفاً مـن عـدوهم ، وحفاظـاً علـى العـرش ، فلو نطق أحدهم فإما أن يقتل أو يعزل [2] :

لكنه عند العرب
الصمتُ أسلم
من كلام أو فعالٍ
هكذا صمت العرب
بالصمت لاذوا واحتموا
فالصمت عند العربِ
صمتُ الجبان
وصمتُ أهل المقبرة
صمتُ البلادةِ والنخاسةِ
والقلوب الخائرةْ
صمتُ النخيل
وصمتُ أعوادِ الذرةْ

ويطلب الشاعر عبد الكريم العسولي من العرب أن يظلوا صامتين خاضعين ، فهم لا يحظون بأي تقدير من سيدهم العم سام . يقول الشاعر[3] :

يا عرب ظلوا صامتين

---

(1) السابق ، 73 .
(2) السابق ، 73 ، 74 .
(3) السابق ، 79 .

لا تنطقوا

لا تطلقوا

يا عرب ظلوا راكعين

واستسلموا

يا عرب ظلوا نائمين

ما فاز إلا النوم

أما جامعة الدول العربية فيراها الشعراء جامعة للصمت ، وإن تحدثت فإنها لا ترفع سـلاحاً أكبر من سلاح الشجب والاستنكار ، والله تعالى قد بارك في لسانها وشفتيها ولم يبارك في يـدها وسلاحها . ونرى الشاعر صالح فروانة يصف سعي جامعة الدول العربيـة لـصياغة البيانـات والبرقيات فيقول (1) :

قاموس الكلمات العرجاءِ

لجامعة الدول العربيةْ

نحفظه ظهراً عن قلب

من ألفِ الكلماتِ إلى الياء

لا يتناسب في مجملهِ

مع واقعِ شعبٍ

يرفض أن يركع

كلماتٌ لا تغني من جوعٍ أو تُشبع

"نشجب .. نستنكر .. ندفع"

ودعاء لله الأكرمِ والأوسع

أن يمنحنا الصبر

ويمنح قتلانا منزلةَ الشهداء

هذا يعني في قاموسِ الكلماتِ العرجاء

أنا نتراجع باستحياء

ومن عجائب القدر أن جامعة الدول العربية قد جعلت من الاستجداء سلاحاً جديداً ، يظهر هذا السلاح عجزها وتحولها إلى جسد ميت . هذا ما يقرره فروانة في قوله (2) :

جندي يتلذّذُ بالتعذيب

---

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 22 ، 23 .

(2) السابق ، 23 ، 24 .

شيخٌ من حسرته يدمع
أم تَفقِد زوجاً وثلاثةَ أبناء
حبلى تضع – على الحاجز –
طفلاً ميتاً
شرطي يضحك باستهزاء
شعب يغرقُ في مستنقع
والجامعة تُفَتشُ عن كلماتٍ عرجاء
كلماتٍ لا تُقنِع
هذا يعني أنك جسد ميتٌ ميت
ينْسل من الموقف باستحياء
والأمة – أكرمكِ الله –
ترفض أسلوب الاستجداء

ويحاول الشاعر إيقاظ العرب من سباتهم العميق قبل أن يجرفهم سيل اليهود ، ويذكرهم بالمثل العربي الشهير "إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض" (1) . يقول الشاعر رفيق أحمد علي (2) :

الصحوةُ يا عرب و إلاّ
لن يبقى عربي واحد !
الهبةُ يا عرب و إلاّ
من أكلَ الثور الأبيض
سينالُ الأحمر و الأسود
العزة هذا اليوم من العمر
يا عربياً يا مسلم
أو خزي الدهر وذل الأعمار

كما يبين خضوع العرب للأمريكان ، وقد أصبحوا بلا حول أو قوة ، و إنما سلاحهم جاهز في بيانات شجب واستنكار (3) :

يا عرب الأمريكان كفاكم دفناً للرأس
بأعماق الطين
كفاكم خلقاً للأعذار !

---

(1) طاهر الجزائري : أشهر الأمثال ، دار الفكر ، دمشق - سوريا ، الطبعة الأولى ، 1995 ، ص 170 .
(2) رفيق أحمد علي : خيوط الفجر ، 53 .
(3) السابق ، 57 .

مؤتمر القمة يعقد في قاهرة المعتز
ماذا ؟ لجنة فحص !
شجب واستنكار
وعم مالي
أجر يدفع للجان التحقيق
وأنا في اللج غريق !

إن صمت العرب لأمر فظيع ، بعد أن كانوا أمة يرمون عدوهم عن قوس واحدة وبسلاح واحد ، ما إن يستصرخوا حتى يلبوا . أما اليوم فإن الشياطين تدعو لهم وتقودهم [1] :

رحلْت مع الكلماتِ بعيداً ...
وطفْت سماوات ربي جميعاً
رأيتُ عجيباً .. رأيتُ مريعاً فظيعاً
رأيتُ الشياطين يستغفرون لمن دينهم
صار اسماً ، وقرآنهم صار رسماً ودولتهم
أصبحت في الخريطة عشرين قسماً !
ولكن ربي كان عليماً حكيماً ، وكان سميعاً
أيسمع ربي دعاء الشياطين ؟

إن جبن العرب وصمتهم عن جرائم العدو ، جعل العدو يتمكن من رقابهم جميعاً ، ولم يعد يأبه باستنكارهم وشكواهم إلى المؤسسات العالمية ، ولو وجد هذا العدو سلاحاً فتاكاً وقائداً وطنياً شجاعاً لما أقدم على التهام الأراضي الفلسطينية والعربية ، فتارةً يضم الأرض بقرارات برلمانية كما فعل في القدس وهضبة الجولان ، وتارةً أخرى بالمصادرة وتحويل الأرض إلى مغتصبات تنشر الموت والرعب في نفوس الفلسطينيين . إن هذا العالم الظالم الذي يساند الباطل على الحق ، لابد أن يستيقظ ضميره ويدرك أن ظلمه لن يدوم طويلاً ، وصدق الشاعر عندما وصف هذا الضعف المخيف الذي لا يوجد سبب لتفسيره حيث قال [2] :

يا أيها السيفُ الذي يلمع بين التبغ والقصب
يا أيها المهر الذي يصهلُ في برية الغضب
إياك أن تقرأ حرفاً من كتابات العرب
فحربهم إشاعةٌ ..

---

(1) السابق ، 104 .
(2) نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، 75 .

وسيفهم خشب..

وعشقهم خيانةٌ

ووعدهم كذب

إياك أن تسمع حرفاً من خطابات العرب

فكلها نحو .. وصرفٌ ، وأَدب

وكلها أضغاثُ أحلامٍ ، ووصلاتُ طَرب

لا تستغثْ بمازنٍ ، أو وائل ، أو تَغْلِبٍ

فليس في معاجم الأقوام ،

قوم اسمهم عرب

ها هي المأساة الحقيقية عندما يسقط العرب كرامتهم وشهامتهم من التاريخ ، بعد أن كانوا أهل المنعة وإجابة الدعوة ، حقاً إن اسمهم قد ضاع بين الأمم ولا يكاد يعثر عليه . فكم من أمة كانت ميتة وأصبحت رائدة ، وكم من أمة عزيزة صارت في عداد الأموات .

الفصل الثاني

رفض أوسلو وانتقاد أداء السلطة الوطنية

كانت حرب أكتوبر عام 1973م بداية لخروج معظم الدول العربية من دائرة الصراع مع الكيان الغاصب ، وظل الشعب الفلسطيني وحيداً في ساحة هذا الصراع ، ودارت بين الفلسطينيين والصهاينة حربان ضروسان على أرض لبنان ، كانت الحروب الأولى عام 1978م التي عرفت بالحرب الخامسة ، أما الحرب الثانية فكانت أشد وأصعب من الأولى عام 1982م ، قد انتهت بخروج المقاومة الفلسطينية من لبنان ، وتوزيعها على عدد من الدول العربية ، وفرضت هذه الدول المضيفة على المقاومين الفلسطينيين الذين خرجوا من لبنان قيوداً وشروطاً تمنعهم من مقاومة المحتل الغاصب .

وفي التاسع من ديسمبر عام 1987م تفجرت الانتفاضة الفلسطينية الأولى ، وفي هذه الانتفاضة شاركت كل طبقات الشعب الفلسطيني كافة على اختلاف مشاربها واتجاهاتها السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة . وكان الفلسطينيون قد قدموا في هذه الانتفاضة مئات الشهداء وعشرات آلاف الجرحى والأسرى . وبرز دور الحجر فيها كسلاح وحيد أمام الأسلحة الفتاكة التي استخدمها الكيان الغاصب ضد المدنيين العزل المجردين من كل سلاح .

وبعد التضحيات العظيمة التي قدمها الفلسطينيون في انتفاضتهم الأولى ، دارت مفاوضات بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني ، وانتهت هذه المفاوضات باعتراف الكيان الصهيوني بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للفلسطينيين ، واعتراف المنظمة بوجود إسرائيل وحقها في العيش ، ثم توالت المفاوضات الفلسطينية والصهيونية في أوسلو وغيرها من مدن العالم ، وانتهت هذه المفاوضات بتوقيع اتفاق أوسلو في سبتمبر عام 1993 ، بعد التزام منظمة التحرير بحق إسرائيل في الوجود بأمن وسلام ، كما تلتزم المنظمة بإلغاء مواد في الميثاق الوطني الفلسطيني تسيء إلى إسرائيل وحقها في الوجود ، وقد طال هذا الإلغاء أكثر من ثلث الميثاق الوطني . كما التزمت منظمة التحرير بوقف ما أسمته الإرهاب والعمل على محاسبة كل من يقوم بأي من أعمال عنف ضد اليهود [(1)] .

واستطاعت اتفاقية أوسلو أن تعزل الشعب الفلسطيني عن امتداده العربي والإسلامي ، وتحول هذا الصراع من عربي صهيوني إلى فلسطيني صهيوني . وأخذ الزعماء العرب يتخلون عن مسئولياتهم القومية والوطنية في فلسطين ، والأخطر من ذلك التخلي تقرب عدد كبير منهم من الصهاينة ، وإقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع الكيان الغاصب .

---

(1) عاطف عدوان : دراسات في القضية الفلسطينية ، 220 .

أولاً : موقف الشعراء من أوسلو

أما الشعراء الفلسطينيون فلم يكن موقفهم واحداً من اتفاق أوسلو ، فنرى عدداً قليلاً جـداً قـد صفق لهذا الاتفاق ، بينما تحفظ كثيرون ولم يذكروه ، أما القسم الثالث فقد رفضه جملة وتفصيلاً ، ولم يقبل أي بند من بنوده . وسيعرض الباحث موقفين الأول للمـرحبين والمـصفقين لأوسـلو ، والموقف الثاني للمعارضين و المنتقدين له .

1_ المرحبون و المصفقون لأوسلو

بالرغم من سوء أوسلو وما نتج عنها ، ظن بعض الشعراء أن ثمار السلام يمكن قطفها بعـد أن أصبحت في متناول اليد ، وبرز منهم بعض دعاة السلام والتطبيع من شعراء الأرض المحتلة ، ويبدو بوضوح رضا هؤلاء الشعراء بالأمر الواقع القائم على القتل والظلم والتـشريد ، وحرمـان الفلسطينيين المشردين من العودة إلى قراهم ومدنهم . ولم يظهر أحد منهم دعوته الصريحة بـأن يعود كل مهاجر يهودي إلى بلاده الأصلية التي قدم منها إلى فلسطين . وفي ذلك يجهـر الـشاعر حبيب شويري بحبه للعيش في ظل السلام فيقول (1) :

العيش في ظل السلام
بين الأزاهر والورود
والكون مزدهر سعيد
لا ظلم فيه ولا خصام
بل فيه إشراق الخلود
السلْم أمنية الشعوب
الظامئات إلى الإخاء
الرانيات إلى الرخاء
بدلاً من الرقص الطروب
فوق الجماجم والدماء
من هول تأثير الحروب

أما الشاعر أحمد طاهر فإنه يخطو خطوة أبعد ، إذ نراه يوجه نداء إلى شاعر يهودي صديق له يدعوه إلى التغني بأوسلو ، ونشر روح الإخوة والمحبة بين العرب والفلسطينيين ، واسـتنكار الحروب التي سماها شراً مطلقاً . ويعبر عن ذلك بوضوح (2) :

---

(1) Http :/ WWW.fm.m.com/2005/Dec/2005/story 26.htm .

(2)السابق .

تعالَ لنشدو فالظلام مخيم
ولابد أن يمضي وأن ندرك الفجرا
إلى السلم ندعو مخلصين ألا ترى
رؤوس المنايا عابساتٍ لنا حمرا ؟
ويستمر على هذا النحو فيقول :
أخي الشاعر العبري هل من غضاضة
إذا هتفت بالسلم أصواتنا جهرا ؟
أعنّي لنرى في الديار أخوةً
موحدةَ الأهداف تستنكر الشرا

2- رفض أوسلو

كان اتفاق أوسلو مجحفاً بحق الشعب الفلسطيني ، ولم يحقق له الحد الأدنى من تطلعاته نحو الحرية والاستقلال ، وأحس الفلسطينيون أن أوسلو قد فُرض عليهم ، وأجبروا على توقيعه ، فلم يقبلوا معظم نتائجه .

وانطلق الشعراء والأدباء الرافضون لهذا الاتفاق يعبرون عن مشاعرهم وأفكارهم نحوه ، فقلما نجد أديباً منهم لم يتحدث عن رفضه لأوسلو ومبادئه .

لقد استطاع القائمون على أوسلو أن يسوقوا هذا الاتفاق على الشعب الفلسطيني وأن يوهموه بأن كل شيء في فلسطين سوف يتغير ، وأن الفقر أصبحت نهايته قريبة ، والآلام لن تعود مرة ثانية ، هذا ما يراه العسولي [1] :

قالوا لنا :
أوسلو مناجم من ذهب
وجنان واعدةٌ
وكرماتُ عنب
أوسلو المخاص والمسيح المرتقب
فلم التشنج والغضب ؟
أوسلو قناديلٌ بدرب الحائرين
وفطائر الحلوى لكل الجائعين
وجداول الشهد السخية

---

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر ، 18

للعطاشى البائسين

فلم الصراخ بلا سبب ؟

بل إنهم حاولوا أن يزرعوا الأمل في قلب الشعب الفلسطيني ، بأن قضية اللاجئين سوف تنتهي ، وسيعود كل لاجئ إلى بيته وأرضه (1) :

قالوا لنا :

أوسلو قطار العائدين

إلى البيادر والديار

فرح وعيد للصغار وللكبار

وبلابلُ الحب الشريدة

سوف ترجع للعشوش وللصغار

فلم التبرم والعتَب ؟ !

ويكشف الشاعر عبد الكريم العسولي حقيقة أوسلو ، فلم تتحقق الجنة الموعودة وما حمل أوسلو إلا القتل والخراب ، فكل ما سمعه الشعب كان حلماً . يقول (2) :

قالوا وقالوا

كل ما قالوه أطيافُ سراب

لا الدمع فارقنا

ولا جمر العذاب

كل الحمائمِ هاجرتْ

واستوطنت بوم الخراب

وإذا سألناهم خبر

كان الجواب بلا جواب

كل ما قالوه أضغاث حلم

كِذبةٌ كبرى سمعناها نغَم

لم نقل كيفَ

ولم نسأل بكم

والتهمناها كقطعان الغنم

فلم التمسك بالعهود وبالذمم ؟ !

---

(1) السابق ، 18 ، 19 .

(2) السابق ، 21 ، 22 .

أما الشاعر رفيق أحمد علي يبين أن الناس استبشروا خيراً بأوسلو وبما يحمله من بشائر بعد عذاب طويل ومعاناة شديدة ، وأخذوا يستقبلون الوعود ، ونسي هؤلاء البسطاء المثل العربي الشهير " أخلف من عرقوب " [1] .

ويقول الشاعر[2] واصفاً خيبة الأمل والإحباط الذي أصاب الناس :

أفرح فرح الأطفال
حين يقالُ :
سيقام لشعبي دولة
ويكون له رمز وتكون له عِملَة !
ومطاراتٌ وسفاراتٌ
وترفرفُ رايةُ وطني
في كل الجنبات ..
وسيذهب خوفي
ويحل أماني
وستذهب أحزاني
وتدوم البهجات
في أرجاء بلادي ....

ويصور الشاعر مصطفى عثمان الأغا أوسلو بأنه مهزلة ، حينما يصافح القتيل قاتله ، بل ويصور بعض الفلسطينيين وهم يهرولون ويلهثون لهذه المصافحة . يقول الشاعر [3] :

هل كنْتَ تعلم ما تخبئه الرياح المقبلة ؟
هذا الضياع نعيشُه هلْ كنْتَ تعرفُ أوله ؟
هلْ كنْتَ تعلم سيدي
أن القتيل سينحني حتى يصافح قاتله ؟
والبعض يأتي لاهثاً
والبعض مكرهاً
والبعض يأتي زاحفاً
والبعض يأتي هرولة

---

(1) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري : المستعصي من أمثال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، 1977 ، ص 107 .
(2) رفيق أحمد علي : ديوان خيوط الفجر ، 20 ، 21 .
(3) مصطفى عثمان الأغا : النورس ، 7 .

هل أخبرتك السنبلةْ
أن الذين سيخرجون من الجحور ليمتطوا ظهر الخيول
الصاهلةْ
هم شاهدون على اكتمال المهزلة

لقد حول القائمون على أوسلو الشعب الفلسطيني كلباً جائعاً مقيداً ، يلتهم كل ما يلقى إليـه ، ولو كان الملقى حجراً .

إن أوسلو وما حمله من بشائر جعلت الشعب الفلسطيني يضل طريقه بعد أن انحـرف عـن الطريق الصحيح ، وأخذت قيادته تصوره غريقاً يبحث عن قشةٍ تخلصه وتوصله إلى بر الأمان ، وصوروا له أوسلو كأنه المسيح المخاص من الآلام والأحزان . وكانت النتيجة أوسلو وشـروطه المجحفة . يصور الشاعر سليمان دغش ذلك تصويراً جميلاً (1) :

ترانا نضل الوصولْ
لعاصمة الأنبياء
إذا ما اكتشفنا
نخيل الطريق
وأمسك فينا الغريقُ
حبال الهواء

ويؤكد الشاعر أن النوم عن الحقوق يذهب الحلم ، وأن قبول أوسلو نهاية للشعب الفلـسطيني وأحلامه ، كيف يكون السلام والأرض مغتصبة والأهل على الحـدود ينتظـرون عـ ـودة إلـى الوطن (2) :

ترانا نخون
صباح البلادِ
ونبض الفؤادِ
إذا ما أسرجنا وقوفاً
على جذع زيتونةٍ
لا تنام
إذا ما غفونا قليلاً
وطاب المنام

---

(1) سليمان دغش : ديوان عاصفة على رماد الذاكرة ، ص 51 .
(2) السابق ، 52 ، 53 .

ترانا ابتدأنا ؟ !

ترانا انتهينا ؟ !

لأنا قبلنا

شروطَ السلام

لأنا قبلنا

سلام الشروطْ

ويرفض الشاعر عثمان أبو غربية أوسلو ونتائجه ، ويبين أن اتفاق أوسلو نهاية لوجود الإنسان الفلسطيني على أرضه ، وضياع شخصيته ، وأن التفاوض مع المحتل الغاصب هبوط يؤدي إلى الزوال والاندثار [1] :

إن المسار يعيد طرح الأسئلة

برزت حقائقُ عصرنا

وجد الغريق نجاته في القارب الشتوي أو في

المرحلة

وجد التفاؤل والقنوط

وجد الوفاق وفجوة الأوزون

وجد المدائن قنبلة

وجد الصعود إلى الهبوط

أين المصائر تنتهي

أين المصائر تبتدي

إن الحقيقة مذهلة

إن الشاعر الرافض لاتفاقية أوسلو ، كان يدرك ما ينتظره ويحذر منه ، لذلك نراه يثير غابة من الأسئلة المشروعة ، رافضاً أن يكون الفلسطيني كالغريق الذي تعلق بقشة ظاناً أنها ستوصله إلى مرفأ الأمان ، إن التفاوض مع الكيان الصهيوني يعني الصعود إلى الهاوية ، لذلك يرفض أن تكون حالة انعدام الوزن – بعد أن شتتته أنواء المرحلة – هي المعبر إلى المفاوضات [2] .

---

(1) عثمان أبو غربية : عدنا ، ص 93 ، 94 .

(2) نبيل خالد أبو علي : عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، إصدار اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، الطبعة الأولى ، 1999 ، ص 44 .

وتحدث المصيبة الكبرى عندما تنقلب الموازين وتضطرب المبادئ ، عندما ينكـر الإنـسان مبدأه ، ويدافع عن عدوه ، أو تصبح الأحلام ريحاً عاصفة تنقضي بسرعة . يرسم عبـد الكـريم العسولي هذا المشهد قائلاً (1) :

فلا تَعجب ولا تغضب
إذا أضحت ثوابتنا
سحاباً ساقه الريح بأيدينا
وضاعت كل أحلامٍ
على وهمٍ يسلينا
فلا تعجب ولا تغضب
إذا أضحى محامينا يجرمنا
وبانينا يدمرنا
وعالمنا يجهلنا ويعمينا
فلا تعجب ولا تغضب
وإن أبصرت حامينا
بكل بساطة أمسى حرامينا
وبالسكين يجزرنا
وللغيلان يرمينا

لقد حاولت القيادة الفلسطينية تسويق أوسلو إلى الشعب الفلسطيني متذرعة بموازين القوى التي لا تميل لصالحنا ، إذ لابد من التنازل عن بعض الحقوق والثوابـت ، وان نرفـع أغـصان الزيتون لترفرف للسلام الذي اعتبروه ثمرة الكفاح والمقاومة فـي فلـسطين والأردن ولبنـان . ويتصدى رفيق أحمد علي لهؤلاء جميعاً رافضاً أقوالهم جملة وتفصيلاً بقوله (2) :

ماذا سنقولُ لمن سيأتي بعدنا ؟
في أي مرآةٍ نخبئ وجهنا ؟
وبأي وجهٍ سوف نلقى ربنا ؟
إن نحن وقعنا على ورق التنازل
وإلام سوف نروغ من وجه الشهيد ؟
من مات كيما لا نُبدلَ عهدنا

---

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان أعاصير الزنابق ، خانيونس ، 2007 ، ص 37 ، 38 .
(2) رفيق أحمد علي : ديوان خيوط الفجر ، ص 18 .

إن العقول والعواطف قد رفضت هذا السلام ، هذا السلام القائم على القتـل والهـدم ، أيـن السلام القائم على العدل والإنصاف ، إنه غائب وجاء السلام الذي لا يعرف إلا التشريد والقـضاء على الحلم والأمل [1] :

ماذا مع التشريد
والقتل السريع
وهدم آلاف البيوت
ومحو أحلام القُرى ؟
هل كان ذلك للسلام وما يسانده
ترى ؟
قلبي على طفل حبيب الله
أضناه التشرد في الخيام
وذوتْ براعم حلمه قبل الفطام
فمتى يطيب بحضن أهليه المقام ؟

وعندما غابت الأحلام السعيدة المنتظرة ، ولم يتحقق منها شيء ، وفشل أوسـلو ومـ ـات ، وظهرت الحقائق ، وأدرك الشعب أن أوسلو وسيلة لإرضاء التتار الجدد . يـصف عبـد الكـريم العسولي المشهد قائلاً [2] :

سقط اللثام
وتَعرتِ الأقزام
وانكشف القبيح
عشرون عاراً بل يزيد
ركعوا لهولاكو الجديد
عشرون عزى بل يزيد
تسبي أغاريد العبيد
وتخبئ الحيات للقمر الوليد
صمتوا جبالاً باردةْ
وتساقطوا مِلحاً على جرح الوطن
حتى تلاشوا كالغثاء وكالزبد

---

(1) جمال قعوار : ديوان مواسم الذكرى ، ص 35 .
(2) عبد الكريم العسولي : ديوان أعاصير الزنابق ، 119 ، 120 .

أما الشاعر مروان برزق فيبين أن الاستجداء والأمل لا يحقق الأماني ، وإنما تتحقق الأماني بالسلاح والشهادة ، وأن الوعود بإقامة الوطن خديعة كبرى ، وهو لم يعد يرى أملاً في هذا السلام المزعوم [1] :

إننا أطلنا الوقوف
في محراب العرافين والسحرة
شهيدنا قائلها
على راحتي سأحمل روحي
في موقعة الشجرة
مازلنا الناطق الرسمي
لمهرجان النعي والفجيعة
صدى لسراب أبواق
من عناكب الخديعة
نرتل لصلاة الاستسقاء
حين تطحن الطواحين
فرسان داحس والغبراء

كيف يكون السلام والفلسطينيون مشردون في الخيام ، وفلسطين يستبيحها الصهاينة ، ويمنعون أهلها من الحلم بها ، والزعامات تنام ، وتمنع مقاومة العدو الغاصب . ويبين الشاعر أنه لا تصالح ولا تسامح مع هذا العدو . فيقول [2] :

يا زعامات نيام
يا خفافيش الظلام
يا من تحوزون الألوف
وتسكنونا في الخيام
يا من تحوشون السيوف
وتمطرونا بالكلام
هذي بلادي ليس يسكنها الحخام [3] .

---

(1) مروان برزق : ديوان رحيل مفاجئ ، 79 .
(2) رامي خضر سعد : ديوان تراتيل ، 22 - 24 .
(3) تعني رجل الدين الذكي عند اليهود .

أما اتفاق أوسلو فقد جلب لنفسه السخرية والاستهزاء ، لأن الجنة الموعودة لم تتنزل ، ولكن شيئاً نزل مكانها هو الموت بلا نهاية [1] :

ابني الحبيب :

يقال إن بعضهم

مازال في المدينة

يأكل الحليب والتمور

ويلبس الحرير

لكنني أظنها إشاعةً مضلّلة

يقال إنهم رأوا بشائر السلام

في نهاية النفق

وها هو النفق

ندس فيه جثّةً وراء جثّةٍ وراء جثّة

بلا نهاية

أما الشاعر ماجد أبو غوش ، فإنه يظهر سخريته من أوسلو ونتائجه ، فلم يـأت أوسـلو إلا لتعميق الخلاف بين الفلسطينيين ، وقد ظهرت وعوده الزائفة وصار الفلسطينيون يعيـشون فـي سجن كبير . وأما الحكومة الفلسطينية فأنفاسها غربية [2] :

سيكون لنا دولة

من الجدار إلى الجدار

مسورةٌ ....

مسيجةٌ ....

سماءها مضاءة

بالكهرباء الجميلة

وأرضها نظيفة

من النبات والأحجار !

سيكون لنا حكومة

إخوة منا –

بلكنة غربية

---

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 72 .

(2) ماجد أبو غوش : ديوان بانتظار المطر ، 43 ، 44 .

وعيون جميلة

بأفواه واسعة

وأيد طويلة

سيكون لنا حكومة

تمتد من اليمين إلى اليسار !

لطالما انتظر الإنسان الفلسطيني عودة إلى الوطن ، ولم يدخر طريقاً إلا سلكه ليحقق رغبتـه في العيش الكريم في أحضان الوطن . وكان أوسلو المشئوم واحداً من هذه الطرق ، لكن الأمل لم يتحقق ، ويظل هذا المعذب ينتظر حتى تأتي سحابة ممطرة لعلها تحمله إلى وطنه الذي حرمته من اتفاقية أوسلو [1] :

هل في انتظار الصبح

عند سحابةٍ

وعدت

ولم يسقطْ مطر

ضيعتُ بوصلة الرجوع

يكاد يقتلني الحنين

لزهرةٍ تبكي

على كتفِ الروابي

والربوع

ويضيف الشاعر أن الذين عارضوا أوسلو فإنهم ضد التيار؛ لأن الموازين والمعايير الدوليـة اختلفت ولم تعد تصب في مصلحة شعبنا ، وعلينا أن نقبل هذه الحقيقة الدولية . وينكـر الـشاعر صالح فروانة كل ما جاء به أوسلو . فيقول [2] :

قالوا

لا تسبح ضد التيار

واخفض رأسك للإعصار

وحذار حذار

أن تفتح نافذتَك للريح

فيمر الأشرار

(1) سليمان دغش : ديوان عاصفة على رماد الذاكرة ، ص 30 ، 31 .

(2) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 45 .

واحرص أن تبقى المغلوب

واقبل بالمكتوب ...... "

أقوالٌ

صنعت جيلاً

يجهل قانون الغابةْ

جيل البسطاء

لا يرسم – كالشيطان –

على صفحة ماءٍ أنصابه

وقد اعتبر خضر جحجوح أن أوسلو خيانة كبرى شهدت بيع الدم بالدراهم ، وإسكاتاً للبندقيـة خوفاً وجبناً ، ويبين أن المفاوضين خلقوا شرخاً في صفوف شعبنا ما بين المقاومـة والتفـاوض العقيم ، ويريد توصيل رسالة إلى هؤلاء المفاوضين . فيقول [1] :

مـــن مبلـــغٌ عنّـــي المفـــاوض والمقـــامر والتنابـــل ؟ !

أن الرصـــاص هـــو الخـــلاص ولا خـــلاص مـــع التخـــاذل

عـــودوا إذاً ... مـــن قبـــل طوفـــان التحـــدي للفـــصائل

لا صـــلح يـــا ثـــور يـــا قـــواد مـــع عفـــن المزابـــل ! !

إن اليهـــود هـــم اليهـــود ،... ولا ســـلام مـــع المخاتـــل

عـــار علـــى الثـــوار " .. أن بـــاعوا الكرامـــة بالـــشواقل

عـــار علـــى الثـــوار " .. أن يلقـــوا الـــسلاح مـــع الفـــضائل

ويواصـــلون تـــذلل الكلـــب العقـــور إلـــى المحافـــل

هـــذي جـــراح الـــشعب قائلـــةٌ .. وآهـــات الأرامـــل

لا صـــلح .. لا تطبيـــع .. لا تـــضييع ، أو حتـــى تجـــادل

ها هو أوسلو ، وها هي ثماره ، لم يزرع إلا الفقر والبؤس ، وانتهـت الآمـال وتحطمـت الأحلام وأوسلو يدوس البيت والحجر . والشاعر مروان برزق يعبر قائلاً [2] :

في يد أحفاد يوشع

مفاتيح ومغاليق الطرق التي تؤدي للبحر

في البدء كانت نتساريم مستوطنة

---

(1) خضر محمد جحجوح : ديوان صهيل الروح ، 100 ، 101 .

(2) مروان برزق : ديوان رحيل مفاجئ ، ص 47 .

ينطلق منها القتلة وقطاع الطرق
للهدم والتجريف والقناصة قتلة الأطفال
على مرأى شاربي نخب الاتفاق
نقتلع كروم وحدائق الجنوب المطوق
الذي كتب عليه التجويع
في قلعة برقوق والشبورة المخيم
وليضحي قتل الأشجار
شرعة يقرها هذا الاتفاق المؤود

آمن كثير من الشعراء الفلسطينيين أن أوسلو خديعة كبرى ،وأن زعماء الصهاينة يمـاطلون في تنفيذ الاتفاقيات ولا يحفظون عهوداً ، ويبين الشاعر إبراهيم قراعين أن المفاوضات مـضيعة للوقت [1] :

كـــــرةُ التفـــاوض عائـــــدة	لاـــــف حـــــول المائـــــدة
وبخـــض مـــاء ...لا تـــصير	بـــــه الـــسيولة جامـــــدة
"بيبـــي"[2] تنكـــــر لاـــسلام	أزال منـــــــه قواعـــــــده

لا فائـــــــــــدة ...لا فائـــــــــــدة

ويبين الشاعر أن الطرف الفلسطيني هو الطرف الضعيف ، وأن الضغوط تمـارس عليـه، وتحاول الأطراف التي تدعى أنها راعية للسلام أن تمارس أشد الضغوط على الشعب الفلـسطيني حتى يتنازل عن بقية أرضه وحقوقه ، لكنه عنيد باقٍ في أرضه ولن يستجيب [3] .

"مـــادلين"[4] إن ضـــغطت علينـــا	مثـــــل ضـــــغط المـــــاردة
لكـــن علـــى " بيبـــي " تحـــسس	والمحبـــــــة زائـــــــدة
مهمــــا تــــسوء أفعالــــه	فلـــــه تظـــــل مـــــساندة

لا فائـــــــــدة ... لا فائـــــــــدة

تبقـــــى فلـــسطين الأبيــــة	رغـــم " بيبـــي " صـــامدة
ولأهلهـــــا وبرغمـــــه..	هـــي عائـــدة..هـــي عائـــدة

(1) إبراهيم قراعين : ديوان وتعود أمواج البحار إلى البحار ، 65 .
(2) المقصود بنيامين نتانيهو ، رئيس وزراء صهيوني سابق .
(3) إبراهيم قراعين : ديوان وتعود أمواج البحار إلى البحار ، 67 ، 68 .
(4) مادلين : يقصد وزيرة خارجية الولايات الأمريكية المتحدة السابقة .

ولم ينس أحد الخديعة الكبرى خديعة التطبيع ، ومن نادى بأوسلو ظن أن الحقوق عادت إلى أهلها ، وكيف يكون التطبيع والثعالب مازالت تمكر وتدبر للانقضاض على البقية . والشاعر صالح فروانة يصور هذه الشياطين بأنها ثعالب جاءت بوجوه جديدة وثياب جديدة . يقول عن هذا التطبيع [1] :

اسم جلله النسيان
يتخفى اليوم على صورة ناسك
يحمل منسأةً
أطول من منسأةِ – عليه سلام الله – سليمان
وتحف به كوكبةُ الرهبان
يحلم أن ينقذَ هذا العالم من أحزان الخوف
لينعم بسلام وأمان

إن الوجه الآخر لاتفاق أوسلو وجه شيطان ، وإن تخفى وتزين ، فإن الشاعر فروانة لا ينخدع . يقول [2] :

لكن الوجه الآخر للصورة شيطان
يتَزيا بثياب امرأةٍ فائقة الحسن
كغانيةٍ في لوحة فنان
ونحن نقاوم كل ضغوط الدنيا
لكنّا – عذراً –
فامراةٌ واحدةٌ
تقدر أن تسقطنا من عرش السلطان

يشير الشاعر إلى وزيرة الخارجية الأمريكية " مادلين أولبرايت " التي بيدها مفاتيح الحل والربط ، وكل السياسات عبد لأمريكا .

وأما خارطة الطريق فلا يقل سوؤها عن سوء أوسلو ، فقد دعا أنصار أوسلو ومخططوه أبناء الشعب الفلسطيني إلى الدخول في هذه الخريطة ، وألا يسبحوا ضد التيار ، وكأن خارطة الطريق ستحقق ما لم يحققه أوسلو ، ويحذر الشاعر سليمان دغش من الدخول إلى هذه الخارطة المشبوهة ، ويدعو إلى الوحدة لمواجهة هذه المؤامرة الجديدة فيقول [3] :

قم يا ولد

---

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 18 .

(2) السابق ، 18 .

(3) سليمان دغش : ديوان عاصفة على رماد الذاكرة ، ص 34 ، 35 .

أمامَ جراحك واتحد
أمامَ شهابك وانتشر
فجراً يطل على البلاد
هي خطوةٌ أولى
انطلقْ
وادخل إلى جسد الخريطةِ
إن في جسد الخريطة
ما يبل به الرمقْ

ثانياً : انتقاد أداء السلطة الوطنية

ظن كثير من أبناء الشعب الفلسطيني أن سلطتهم ستحقق لهم الأمن والرخاء ، بعد سنوات عجاف من الألم والمعاناة ، ويا ليت الأحوال بقيت كما كانت ، لكنها ازدادت سوءاً وتعقيداً ، وأصبح المخلصون المنتظرون قططاً سماناً يسعون لمصالحهم فقط . وكانت النتيجة أن زاد الجوع والشقاء ، بعدما تحول البعض منهم إلى لصوص ومبتزين لأموال الشعب وأرواح أبنائه . والشاعر يصور هذه المأساة ويرسم صورة واضحة لها ، فيقول [1] :

وإن بقيتْ أحوالُنا هكذا إذن ... فإن خواء الوقتِ في الوقت يحسب
قبضتُ على سر ، وقهر سريرةٍ ... فلا رق فيه الفوز أو راق منْصِب
جهالةُ قولٍ إن تخطتْ حدودها ... تساوت بنهج الذئب كذباً وأكذب
تمتع بها دنيا أتتك رخيصةً ... وغيرك في الآلام يشقى ويتعب
خفيراً ، وزيراً والممالك كلها ... متاعك والأرقام دونك تشطب
شبعتَ على جوعٍ فأمسيتَ متخماً ... وشعب لنا في الجوع يذوي ويصلب

إن الفساد قد انتشرت آثاره في كل مكان ، فكان القتل والنهب يدب في كل ناحية من نواحي السلطة الفلسطينية ، وصار الرجل غير المناسب في غير مكانه ، والشعب يتضور جوعاً وألماً . ويطلب الشاعر إنصافاً ويقظة ؛ لأن العدو يتربص بضحيته وينتظر اقتتالها حتى يجهز عليها ، ويعبر الشاعر شهاب محمد عن ذلك . فيقول [2] :

فمن ينصف الأحياء فينا شهادةً ... ومن ينصفُ الأمواتَ والكل ينهب

---

(1) شهاب محمد : ديوان رجع الجوى ، 65 ، 66 .
(2) السابق ، 66 ، 67 .

سـواد ، دمـار ، والـدماء مجـازر — وكـل الـذي تلقـاه أبلـى وأغـرب
كـأن الـذي يجـري شـريط مـسجل — نـشاهده والكـل يأسـى ويعتـب
لمـاذا قتلنـا واسـتبيحت جراحنـا — لأن سـواد الليـل للويـل أقـرب
لمـاذا اسـترحنا واسـتطال شـخيرنا — وأقعـت ذئـاب حولنـا تتألـب
وكـل وحـوش الغـاب حـول غزالـة — تـسن نيـاب القتـل والمـوت أرهـب
وجـيشٌ وصـاروخٌ ومـدفع قاتـلٌ — يطـارد وهـم النـصر،والنـصر أهيـب

ويظهر الشاعر فساد السلطة الفلسطينية ويبين كيف أوجدت فريقين ، الأول ينعم بوفرة العيش وكثرة المال ، والثاني يغرق في الفقر ، وينام والجوع يقطع أمعاءه . وكأن الوطن لنصف أهلـه ، والآخرون محرومون من خيراته . يقول [1] :

الناس في بلادنا صنفان
واحده علامةٌ مسجلةْ
أنوفُهم إلى السماء
لا يعرفون مثلنا
مرارة الألم
وقسوةَ الندم
يعيش عيشةً مدللةْ
ينعم بالمال والخدم
وسطوةِ السلطان
والحشم
وكل ما تجمعه الدولة
من نعم
وغيرهم غنم
يشُد جوعهم
مجموعة من القيم
وبعض ما يحصلون
من معونة البطالةْ
وهيئةِ الأمم

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 61 .

إن الأصل أن تكون قوات الأمن ذراع حماية لأبناء الوطن ، وأن تكون مهمتها إنسانية ، لكن الأمن لم يتوفر للشعب وإنما توفر للعدو الصهيوني ، وفرته قوات الأمنالفلسطيني ؛ لأن من بنـود أوسلو أن يقوم الأمن بحراسة المستوطنات ومنع دخول الفلسطينيين إليها ، لكي ينام المـستوطنون هانئين قريري العين . وهذا تخلٍ غير مسبوق عن المبادئ والثوابت . ونرى الشاعر عبد الكـريم العسولي يوضح هذا المشهد . فيقول [1] :

إذا ضاعت كرامتنا
على أبواب سادتنا
وذابت في وحول الخِزي
هيبتنا
فلا تعجب ولا تغضب
إذا صارت بواسلنا
كلاب حراسةٍ
تحمي الذئاب
وترعى سيف قاتلنا
فلا تعجب ولا تغضب
إذا مسِخَتْ معاركنا
بأن نفدي كرامتهم بثورتنا
وأن نسلو مبادئنا
فلا تعجب ولا تغضب

إن الشعراء الفلسطينيين صوروا أوسلو محطماً لأماني وأحلام الشعب الفلسطيني ؛ لأنـه لـم يحمل لهم إلا القتل والهدم ، بعد أن كان متوقعاً أن يتغير كل شيء في حياة الإنسان الفلـسطيني ، فلم يتحقق الأمان ولا الرخاء الموعودان ، بل ازداد الفقر وتعمقت الجـراح ، كمـا أن الزعمـاء الصهاينة قد كشفوا عن أنيابهم التي ألبسوها ذهباً ، لكن هذا الذهب زادها حدة وشراسة فـي قتـل الأبرياء وزيادة معاناتهم ، لذلك نرى أن الشعب الفلسطيني كان معذوراً في رفضه لأوسلو ونتائجه المجحفة .

---

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان أعاصير الزنابق ، 36 .

الفصل الثالث

- الاتجاه الاجتماعي
- الاتجاه الإنساني

إن الأديب لا يعيش بمعزل عن الحياة التي يعيشها أبناء شعبه خاصة والعالم كله عامـة ، فهو يمتلك المشاعر والأحاسيس كأي إنسان آخر، ويتأثر ويتفاعل مع همـوم وقـضايا الإنـسان المعاصر، وهو يشارك مجتمعه آلامه وأحلامه ، ويتبادل مع الآخرين المشاعر والأحاسيس .

كما يحاول الأديب أن يساهم في وضع الحلول الاجتماعية والإنـسانية لـبعض العثـرات والويلات التي تواجه إنسان عصره ، بل إنه يتأثر - ربما أكثر من غيره من البشر- بالأحـداث والوقائع التي تحدث في كل بقعة من هذا العالم الواسع الكبير ، وهو لا يضع أفكـاره وعواطفـه جانباً ويعيش كبقية الناس ، إلا أنه يصر على ترجمة هذه الأفكار وهذه العواطـف فـي أجنـاس أدبيـة مختلفة .

أولاً : الاتجاه الاجتماعي

الفقر والحرمان :

بعدما فقد الفلسطيني أرضه ووطنه ، وعاش حياة التشرد والضياع ، سيطر عليـه الفقـر والجوع ، ونال منه مبلغاً عظيماً . وكان الكيان الصهيوني يقف وراء كل ما ألم بالفلسطينيين مـن عذاب وجوع وقهر ، والتاريخ حافل بوقوف هذا العدو في وجه كل من يقدم العون والمساعدة لهذا الإنسان المحروم من كل شيء ، هذا الإنسان الذي أصبح لاجئاً في وطنه وفي أوطـان أخـرى . وهذا الفقر والحرمان لم يطل فئة دون أخرى ، وإنما طالها جميعاً ، لكنه يظهـر فـي الأطفـال ظهوراً واضحاً . إذ تبدو مظاهره مرسومة على وجوه الأطفال . وعن ذلك يعبر الشاعر جمـال قعوار ، فيقول [(1)] :

في ثغور طفولةٍ
عانت بما يكفي
من الحرمان
من ألم وجوع
والعدل يقضي
أن أحزان الأصول
تكون أفراح الفروع

---

(1) جمال قعوار : ديوان مواسم الذكرى ، 112 .

ويظهر الإنسان الفلسطيني صبراً منقطع النظير على الفقر ؛ لأن الفقر أصبح يلازمه أينما حل أو ارتحل ، فهو فقير في صباحه وفي مسائه . ويعبر الشاعر أحمد إسحق الريفي عن ذلك الفقر تعبيراً جميلاً . فيقول [1] :

يا عدو الشعر قل لي　　　هل تنعمت ببؤسي
لا تهددني بحبسي　　　فغدي يشبه أمسي
أنا في الصبح فقير　　　وفقير حين أمسي
تستوي الأضداد عندي　　　طيراني مثل غطسي
بيد الرحمن رزقي　　　هو يجريه ويرسي
وأنا راضٍ بما قدره　　　من غير يأس

إن أمثال هؤلاء الجياع الذين يقتاتون الألم والفراغ والقسوة في ظل الاحتلال الإسرائيلي الذي يمارس بحقهم تمييزاً دينياً وعرقياً يجعلهم يحلمون باللقمة من أجل البقاء والاستمرار ويحسبون البدر المشرق في السماء رغيفاً يودون التهامه عندما تفرغ الأكياس من دقيقها ، هم أكثر الناس شقاء وحرماناً وألماً ؛ لأن فقرهم من نوع آخر بحيث يكاد يكون مقصوداً ومتعمداً من أجل إبقائهم خاضعين في مشاعرهم إلى تلك الهيئات الدولية التي تقدم لهم الفتات كتكفير عن الجريمة البشعة التي ارتضاها المجتمع الدولي عندما قبل طردهم من أرضهم وديارهم ، وأحل شعباً آخر مكانهم ، ثم إن هذا التجويع يفترض أيضاً إلهاءهم عن قضيتهم العادلة ، وجعلهم يفتشون عن اللقمة بدلاً من أن يفتشوا عن الحل الذي يعيد إليهم ما افتقدوه [2] .

يرى الإنسان الفلسطيني أن الكون كله التقى عليه وحاربه وأنكر حقوقه وتصدى له ، وكلما هم بفعل شيء ساروا ضده وعرقلوه [3] .

لست أدري لم تمشي　　　هذه الدنيا بعكسي
كلما استثمرت أرضي　　　أهلك الطاغوت غرسي
غير أني مستقيم　　　محرم عن كل رجس

قضايا المرأة :

عرفَتِ المرأة الفلسطينية بأنها أم ولُود ومربية فاضلة وزوجة عاملة ، شاركت زوجها في كل ميادين الحياة ، وقد دفع هذا الإخلاص الرجل إلى أن يتمسك بزوجته ويرأف بها مستمداً من

---

(1) أحمد إسحق الريفي : ديوان مواجهات ، 1 .
(2) مفيد محمد قميحة : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، 131 .
(3) أحمد إسحق الريفي : ديوان مواجهات ، 1 .

دينه الحنيف مبادئ التعاون والمحبة في التعامل معها . ولم يتراجع دور المرأة عبر العصور في مساندة زوجها وأثبتت إخلاصها وتفانيها في خدمته .

إن الرجل الفلسطيني لا يختار الزوجة اختياراً عشوائياً ، وإنما يرسم صورتها في نفسه ، ويرضى الزوجة الصالحة الحيية . وفي ذلك يقول الشاعر صلاح الدين الريماوي [1] :

أقول هذا يا حبيبة
صادقاً
فلست بالوغد الذي
قد يغدر
عيني ارتضت بك
زوجةً وحبيبةً
لكن حبي للحيية
أوفر

ويبين الشاعر أن النساء معادن ليست واحدة في نوعها وقيمتها ، فمن النساء من ترفض الانصياع لزوجها ، بل وتتمرد عليه ، ولا تهتم به ، يقول الشاعر [2] :

إن النساء معادن براقةٌ
والزيف فيها
ربما لا يظهر !
والنفس تأبى
من تضيع وقتها
مثل الغواني
خارجاً تتخطر
وإذا أتت للدار
تحبس نفسها
في غرفة "التلفاز"
أو تتأمر ! !

أما الأم الفلسطينية ذات الخبرة والتجربة في الحياة ، لا تريد لابنها إلا الزوجة الصالحة التي تكون في خدمة زوجها وبيتها . يقول الشاعر[3] :

(1) صلاح الدين الريماوي : ديوان من محاسن الطبيعة ، 21 .
(2) السابق ، 22 ، 23 .
(3) السابق ، 23 ، 24 .

وعين أمي

لو نظرتُ خلالها

لعرفْتُ فوراً

ما تسر وتجهر

تهوى السعادة

إن تظلل بيتنا

لم ترض لابنٍ

زوجة تتذمر

وقد نالت المرأة الفلسطينية جانباً عظيماً من الحرية ، ولم تعد مستعبدة كما كانت مسخرة قبل ذلك ، ولكن هذه الحرية ظلت في إطار العفة والكرامة التي تتمتع بها هذه المرأة . ومن ذلك قول الشاعرة فاتنة محمد الغرة [(1)] :

كيف يا سمراء . .

أعييتً الحدود . .

و . . . . . كيفَ دمرتِ القوانين القديمة

واحترفتِ الرقص فوق . .

أشلاء السنين

وعدت . . . .

تنفين الموانئ

تنهبين قوافل العشاق

تلقين القناعات السخيفة

في الفراغ . .

وتبين الشاعرة فاتنة محمد الغرة تلك الحرية التي تتمتع بها المرأة الفلسطينية أن لها حقاً في اختيار فارس أحلامها الذي رسمت صورته في قلبها ، وظلت نفسها تهفو إليه . تقول الشاعرة [(2)] :

تلك الصبية لم تعد . .

من عالم الأحلام . .

لكن الصبية ما تزال . .

(1) فاتنة محمد الغرة : ديوان مازال بحر بيننا ، 29 ، 30 .

(2) السابق ، 71 ، 72 .

بحلمها . . وبعطرها . .
وبفارس تهفو إليه
تعانق الأشواق في قلبي
وترقد صورة . . وهوية
وملامحاً . . . .
أبداً . . تباعد بيننا . .

ولم تعبث المرأة الفلسطينية بشرفها وشرف زوجها ، فقد صانته في سفره كما كانت تصونه في قيامه ، وهذا الإخلاص له دفعه إلى أن يعود ثانية إلى الدفء والقلب الذي ضمه طويلاً ، وأن يعود للمرأة هدوءها وأمنها . وتعبر الشاعرة فاتنة محمد الغرة عن ذلك [1] :

وتروح وتأتي . .
وتغيب وتحضر . .
وجنوني غيمات تمطر . .
أزهار بنفسج نارية . .
أنغام كمان وردية
تأخذك بعيداً عن دربي
تجتثك من مهبط حبي
لتحط بأرض منسية . .
فأتوه أفتش عن وهم
ما بين جزيرة . . .
وجزيرة
وأناشد أزهار النرجس
أترى ألقاه أيا قمري
وتعود شموع في أرضي
لتضيء طريقاً قد رصفت
بالدمع وبالنبض الوردي

أما الشاعرة رحاب كنعان فتشيد بالمرأة الفلسطينية الماجدة التي صنعت الأجيال ، ووقفت يداً بيد مع الرجل في نضاله وكانت ذراعه الأيمن ، ودخلت السجن كما دخله الرجل أملاً بالحرية

---

(1) السابق ، 126 ، 127 .

والاستقلال . وتقول الشاعرة [1] :

تحية إلى الماجدات . .

إلى شموخ الفجر البريء . .

إلى أخت الرجال

وصانعة الأجيال . .

القابعة خلف قضبان الاحتلال . .

مهما أحكموا القضبان

فمن دموع الأمل والشوق

لابد للقيد أن ينكسر

وقد اتصفت المرأة الفلسطينية بالحكمة والصبر ، فهي تدعو أختهـا إلـى الـصبر علـى الويلات وتحمل المآسي ، فالوطن يحتاج إلى تضحيات لا تنقطع ، ويصبح الـصمت علـى هـذه التضحيات رداء يبرز قوة شخصيتها وقوتها على الصبر والجلد [2] :

أختي :

. . افرشي ضلوعك

على موائد المآتم

تزنري بالصمت

عندما تشتعل الملمات

لا تعبثي بضفائر الفرح

النابتة على أوراق الحبق الأخضر

الطالع من وجع الأرض

كما توضح الشاعرة رحاب كنعان لأختها الفلسطينية أن هذا الزمن لا يحمل إلا الخـداع ، وينشأ على التزوير ، وأصبح الصدق فيه راحلاً ، وما على هذه الأخت إلا أن تـستقبل الأحـداث والفواجع بأعصاب باردة . وفي ذلك تقول [3] :

كوني باردة الدمع

رغم ازدحام الجثث

رغم تقاسيم الوجع

والخبز المالح

---

(1) رحاب كنعان : ديوان شلال الفصول الثمانية 58 .

(2) السابق ، 96 .

(3) السابق ، 97 .

الساكن في عيون الخديعة
فلا يحق لحريق صدرك
أن يحلق فوق الذباب الأزرق
المتلون بالضباب
لأنه زمن التبرير والتزوير
زمن الصدق المهان
كل ما فيه . . .
يتنفس
دخاااان

وتبقى المرأة الفلسطينية عزيزة النفس شامخة الصمود ، وإن سلبت حقوقها فهي عطاء لا ينقطع وأنشودة لا يسكت صوتها . تقول الشاعرة رحاب كنعان معبـرة عـن مكانـة المـرأة الفلسطينية [1] :

أنا أنشودة الصباح وابنة الكفاح
دمع العذارى التي
عزفت الجيتارة لقلبها . . لحن النواح
أنا طير صار أطيافاً
مبعثرة الأجزاء
يبحث عن جناح
أنا حقل ربيع أخضر
سلبه الطغاة ثوبه الشجري
جعلت منه حقل تجارب للسلاح
وتعاتب الضمائر التي أهملت حمل السلاح
ومن باعوا الكرامة
جعلوني ضحية في يد السفاح

كما يدعو الشاعر عبد الكريم العسولي المرأة المسلمة أن تتخذ أمهات المؤمنين مثلاً أعلى لهن ، وهؤلاء الأمهات ظفرن برضا الله عز وجل ؛ لأنهن خدمن رسول الله – صـلى الله عليـه وسلم – فارتفع قدرهن في الدنيا والآخرة [2] :

---

(1) السابق ، 142 .

(2) عبد الكريم العسولي : ديوان دموع وشموع ، 137 ، 138 .

وخذي النساء المسلمات هداية

هن الشموس الكاملات خلالاً

هذي خديجة للرسول وقاية

نعم النساء سكينة وظلالاً

صدقَتْ وصدقَتْ الرسول بدعوة

وسقته عزماً قادراً شلالاً

وهناك عائشةٌ تعاظم قدرها

في الدين كانت حجةً ومثالا

حوت الفطانة والفصاحة والنهى

صانت رسولاً صارعت إقلالا

وقد تتأثر الشعوب ببعضها في حضارتها وتقاليدها ، لكن هذا التأثر لا يصل إلى حد التقليد الأعمى ، فقد تكون بعض التقاليد والمظاهر مقبولة في مجتمع دون غيره . ومن بعض هذا التقليد وجود نساء مشرقيات يقلدن النساء الغربيات في لباسهن وزينتهن ، ولم يعد هذا التقليد مقبولاً في مجتمع إسلامي محافظ له حضارته وثقافته المتميزة في شكلها ومضمونها . وهب كثير من المصلحين ودعوا المرأة الشرقية أن تعود إلى التمسك بدينها وتراثها ، وأن تبتعد عن تقليد النساء الغربيات في نظام حياتهن ، فليس كل ما في الغرب صالحاً لأهل المشرق . ويدعو الشاعر عبد الكريم العسولي المرأة الشرقية أن تستمر بالحافظ على عفتها وكرامتها ، وأن تظهر شخصيتها المحافظة ، كما يدعوها إلى المحافظة على دينها ، وألا تقلد نساء الغرب . فيقول (1) :

كوني الريادة في التدين دائماً

تبنين جيلاً مشرقاً يتعالى

لا تأخذي زهو التغرب شرعة

فالغرب ذئب سافلٌ قتالا

وتسلحي علماً وخلقاً كاملاً

تسمين في أعلى السماء هلالا

وتزيني يا بنتَ هدي محمدٍ

تاج العفاف يروع السفالا

وتفيئي دوماً بظل فضيلة

تشفي نفوساً كابدتْ إضلالا

(1) السابق ، 137 .

ونما الحب الطاهر الشريف بين المرأة والرجل الفلسطينيين ، يقوم على العفـة والكرامـة ولم تطلق المرأة الفلسطينية العنان لشهوتها نحو الرجل ، وإنما تمسكت بدينها وتقاليدها النابعة من تراثها الأصيل . وتقول الشاعرة سلافة حجاوي معبرة عن شعورها نحو الرجل [1] :

يشدني إليك خيطٌ لا يرى
خيطٌ من الأرق الذي
يقاوم النعاس والكرى
يحز في مواجعي
في أضلعي
كأنه رحى
تطحن ما في الأرض من حصى
أو أنه جيش مدى
يصبغ بالدماء كل أنجم المدى

أما الشاعر محمد ماهر دويدار فيرى أن المرأة العربية اسـتطاعت أن تـسحر الإنـسان العربي بجمالها وعفتها بالرغم من فتنة المرأة الغربية ، ودفعه هذا الجمال والعفة إلى التمسك بهـا وعدم الرضا ببديل عنها . يقول الشاعر معبراً عن ذلك [2] :

عشْتُ سنيني في سالف عصري صنديداً
ما نالت مني غزلان فرنسا أو أي الغزلان الغربية
لكن القدر الأقوى كان سقوطي
تحت شباك غزالٍ عربية
شَركي تحت يدي ! ! وأنا قد أحكمت نِصابه
آه كيف غدوت ضحية

وتبقى المرأة الفلسطينية أمل الإنسان الفلسطيني ، فهو يعجب بجمالها ونعتها ، بل ويفتخر بهذا الجمال وهذه اللغة ويتغنى بهما . فيقول [3] :

فحياتك قد بدأتْ حين تنفستِ هواء الأعراق الأبدية
حقاً لم أر مثلك يوماً فوق الكرة الأرضية
يكفيني فخراً أني أهواكِ

---

(1) سلافة حجاوي : ديوان سفن الرحيل ، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية، الطبعة الأولـى ، (1998) ، ص 42 .

(2) محمد دويدار : ديوان أسير في ضلوع حسناء ، الطبعة الأولى ، فلسطين – غزة ، 2007 ، ص 14 .

(3) السابق ، 17 .

فأجمل ما فيك ضياء يسطع

من لفظ العربية

والأجمل من ذلك حقاً أنك يا نبض

السحر فلسطينية

إن المرأة الفلسطينية تعشق الفارس المقاوم ، وترى فيه فارس أحلامها ، وهذه الروح العزيزة التي تمتعت بها المرأة الفلسطينية تنبع من حبها لوطنها وأهله . فهي تعشق الفارس الذي يقذف الصهاينة بالحجر ؛ لأنه يحقق آمالها ويعبر عن تطلعها إلى الحرية . وفي ذلك قول الشاعر مصطفى عثمان الأغا [1] :

كانَتْ ترقب من أعلى الشرفةِ خوذات الجند

كان يمزق صدر الشارع

يطلق حجراً

يكتب شعراً فوق الحائط

يزرع علماً فوق السلك

كبروا

قال أحبك !

قالَتْ وأنا أحببتُك

قال متى ؟ !

قالَتْ منذُ الحجر الأولْ

أما الرجل الفلسطيني فينظر إلى المرأة بمكانتها المقدسة والشريفة في المجتمع ، ويحب المرأة التي لها رأيها وفلسفتها في الحياة من خلال هذا المجتمع المحافظ ، ولا يريدها شاةً بين الشياه ، يقول الشاعر [2] :

(سألْتُه : ماذا ستفعل لو أحببتُ شخصاً غيرك ؟ وكان

السؤال مراً)

لا تسأليني

واعشقي ما شئتِ في هذه الشفاه

إني أريدك هكذا

فتغيري

---

(1) مصطفى عثمان الأغا : ديوان النورس 13 .

(2) السابق ، 29 .

وتعلمي همس الحياة
إنني أريدك حرةً
لا ماعزاً بين الشياه
إنني أريدكِ حرةً
والحر تحكُمه خطاه

الطفولة المعذبة :

إن الطفولة المعذبة براءةٌ وأحلام ، تنظر إلى الحياة بأمل وإشـراق ، لا تعـرف العنـف والقهر ، لكن الحقد البشري حولها إلى شقاء وخوف ، وإلى جحيم لا يعرفه الأطفال .

الطفل يسأل أين المدرسة وأين القلم ، ولا يخطر ببال أي حكيم أن يسأل الطفل عن الحجر أو السلاح ، إن هذا العالم الحاقد قد دفعه إلى أن يخالف طفولته وحلمه وينتقل إلى عالم آخر غابت فيه الرقة والإنسانية .

ولعل وقفة عند الشاعر بسام المناصرة تبين لنا ضياع الطفولة وزوال نظرتها الجميلة إلى الحياة ، فحل الموت والحصار ، وزادت الدموع وزاد الشقاء (1) :

ويد التاريخ معلقةٌ
في حانات الفرعون الزاني !
والأطباق الطيارة
زرعتْ بدم الأطفال الدافئ !
نقشوها بالآهات القانية الحمراء !
لصقوا الأنات الوردية
والدمعات الغاضبة الخضراء !
شدوا أوتاد حصارهم السوداء !

ويبقى الطفل يتطلع إلى عالم جميل يغمره الرخاء والأمن ، وإن قلبه الصغير ليعجز عـن تصوير الجرائم التي تمارس بحق الأبرياء والضعاف من البشر ، وربما يسأل هل تحـول البـشر إلى وحوش . ويعبر الشاعر ماجد أبو غوش قائلاً (2) :

أمير صغيرٌ
يحلم بالعدل

---

(1) بسام المناصرة : ديوان شظايا الحلم ، غزة – فلسطين ، الطبعة الأولى ، 2006 ، ص 41 ، 42 .

(2) ماجد أبو غوش : ديوان بانتظار المطر ، 11 .

بعالمٍ أخضر

خالٍ من القتل !

فارس صغير

واسع القلبِ

يبحث عن شُهبٍ

سقطت على الحقل

ما أجمل الطفولة وهي تقفز كالفراشة تداعب الأغصان والزهـور ، ومـا أقـبح قتلهـا وحرمانها من الحياة . إن الحياة من حق البشر لا من حق فئة دون أخرى ، لكن الصهاينة جعلوها حكراً لهم ، وكتبوا الموت والشقاء على غيرهم وخاصةً الأطفال ، وفي ذلك يقول الشاعر ماجـد أبو غوش [1] :

كنت للتو قد بلغت الثانية

ركضت صوب النافذة

وعلى رؤوس أصابعي

وقفت قليلاً

وأصغيتُ

بحث بعيني الصغيرتين

عن القطة وعن ظل النخلة

حاولت أن أمسك المدى

حاولت أن أوقظ الحمامة النازفة

حاولت – بجسمي النحيل – أن أخبأ العصافير

عن فم الطائرة !

لقد حرم المحتل الغاصب الطفل الفلسطيني من حقه في العيش ، فسلبوا ابتسامته وحرموه من حقه في التعليم وبناء مستقبله . وصور لنا الشاعر ماجد أبو غوش استشهاد طفلة صغيرة وهي عائدة من مدرستها ، وقد انهال عليها رصاص الحقد والموت . فيقول [2] :

على نعش

من الورد

على غفلة

---

(1) السابق : 14 ، 15 .

(2) السابق : 62 .

من الموت
تريق الياسمينة دمها
على صدري !
على عتبة البيت
على خضرة السهل
تنقش الغزالة أغانيها
في عتمة الليل

والعدو لا يفرق بين رضيع وصبي ، فكلهم في ميزان قتله واحد ، وكلهم أعـداء يجـب القضاء عليهم والتخاص منهم ، أما الطفولة الجميلة فهي تطلع وتمسك بالحياة وما بها من أمـاكن جميلة نمت فيها الذكريات ، لكن الطفولة غادرت وبقيت ثيابها شاهدة على جرائم العصر بحقها . وفي ذلك يعبر الشاعر ماجد أبو غوش [1] :

عندما ننهض جميعاً
من الموت
نفتح دفتر الشهداء
ونقرأ بلا صوت :
كان طفلاً صغيراً
لكن قامته
كانت أعلى من النخل
كان يمشي
في ظل جده
عندما قصف الغزاة
هذا الجسد النحيل !
كان يمشي بدلال
وكان حيث مال جده
يميل

(1) السابق : 31 ، 32 .

أما الشاعر علي الخليلي فيصور الطفل القتيل بأنه أقوى من القاتل ، وإذا كان قتل الطفـل قتل للمستقبل ، فإن المستقبل لا يموت ، ولكن الذي يموت هو القاتل بجريمته ، والتاريخ يشهد هذه الجريمة . فيقول الشاعر (1) :

افتحوا الدفاتر واكتبوا ،
أن من يقتل طفلاً ، يقتل المستقبل كله ،
وأن من يقتل شيخاً ، يقتل الماضي كله ،
واكتبوا ،
أن القتلى مع ذلك ، يخرجون من ظلالهم إلى القتلة ،
يجرونهم من أنوفهم إلى الرعب الزمني المخلد
ويغلقون عليهم الأبواب الموحشة ،
فلا المستقبل ميت ،
ولا الماضي ميت ،

وعاش الطفل زهرة وسيبقى كذلك ، لا يعرف إلا جمال القلب والنفس ، يعيش بعيداً عـن عالم المكر والخداع ، فهل جزاؤه القتل والقصف ، وهل نصيبه الحرمان من كل شـيء يـضيء طفولته . إن حياته ربيع ليس له توقف (2) :

ماضياً كان مثلما
قصفته في الماضيات القاصفةْ
فانتظر قال لي سدى
وتماهي باللغة الحجر
كأنه حجر
"ليت الفتى حجر"
قذفته من عندها
وعليها في الماكرات الفاتنات القاذفة

وتصور الشاعرة كوثر الزين وحشية الاحتلال الغاشم الذي لا يرى معنى للإنـسانية فـي الطفولة ، ولا فـرق بين الجندي والمستوطن ، فكلـهم يتلذذون بتعذيب الأطفال وقتلهم . تقـول

---

(1) علي الخليلي : ديوان هات لي عين الرضا هات لي عين السخط ، مطبوعـات وزارة الثقافـة الفلـسطينية ، الطبعة الأولى ، 1996 ، ص 49 .
(2) السابق : 105 ، 106 .

الشاعرة [1] :

أبي يا أبي لست أذكر
كل الظلام الذي حط مثل الغراب علينا
فقد كان رأسي قطعة شمس
وكان اختراقي شديد الألم
وكانوا خفافيش لا يفقهون وضوح النهار
يخافون من بسمتي أن تراهم

وتصور الشاعرة الصهاينة بأنهم خفافيش لا تحب النور إلا لنفسها ، ويبقى الظلام لغيرهم ، فأما نورهم فهو الليل ، وأما ظلامهم فهو النهار ، إنهم ليسوا بشراً ، ولا يقدرون الحياة الإنسانية [2] :

خفافيش تكره حلم الصباح
وتقتات من ظلمات القدر
وقد طردتهم جميع الشموس
فما كان منهم سوى الانتقام من الضوء بيني
وبين الحجر

أما الطفل المعاني الذي صار شهيداً ، فنراه رجلاً حكيماً قد جرب الحياة ، وعاش القهر والقتل الذي فرضه الصهاينة على أبناء شعبه ، فيطمئن والديه بأنه حي بعد شهادته ، وأن يوفرا نقود العلاج لزمن الحصار ، وكأنه يعلم أن الظروف والأحوال سوف تتغير وتصير إلى الأسوأ [3] :

ولكنني حين أهفو بروحي صوب المكان
أراك تَسف ترابي وتعجن
ذكرى احتضاني
بدمع احتضاري وأرمقُ
أمي تلْعق رائحتي في الصدار
تشم دمي وتبكي دماً

---

(1) كوثر الزين : ديوان شاهد على العصر الحجري ، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي ، رام الله – فلسطين ، الطبعة الأولى ، 2003 ، ص 33 .
(2) السابق ، 33 ، 34 .
(3) السابق ، 34 ، 35 .

فهون عليك ، فإني بخير

وإني لأحيا ولا تشعرون

أنا لأريد الرجوع هناك

فوفر نقود علاجي لجوع الحصار ،

وتبين الشاعرة كوثر الزين أن العدو الغاصب قد أعد لأطفال فلسطين ما أعـده لمحمـد الدرة ، وهذا العدو لا يفرق بين رضيع أو صبي ، فكلهم تحت طائلة القتل ، تقول الشاعرة [1] :

فأطفالي القابعون على حافة الدمِ

مازال في حلقهم طعم صرختك الدامية

ومازالت الرعشة تعتريهم

ولكنني لا أفرقُ بين ارتعاشة فَرخ

وبين ارتجاج الزلازل في باطن الأرض قبل الأوان

فهلا أتيتَ لتحكي لنا عن تفاصل ذبحك

بين الرصاص وبين الحنان

كما تظهر الشاعرة تحمل الطفل الفلسطيني للعذاب والقتـل ، وتظهـره يحمـل صـخرة سيزيف[2] مصراً على مواجهة الواقع ، وأنه يحمل أعباء الوطن والدنيا [3] :

مسيحي الصغير صليبك من مقلتيك

وأثقل من كل هذا الهزال

ووجبة خبزك كل صباح

تنوء لصخرة كل الذين أبوا حملها

ووحدك " سيزيف " هذا العذاب

ووحدك تبني بأشلاء روحك عشّ اليمام

ووحدك تدفن قتلاك كل ظلام

ووحدك " سيزيف " كل العرب

فما كان لي أن أغنّي مثل العصافير عند الرجوع

وما كان لي أن أحيي الزهور كثيراً

(1) السابق : 6 .

(2) أسطورة يونانية حكِم عليه برفع صخرة هائلة إلى قمة جبل عالٍ شديد الانحدار ، ويرمز إلى العذاب والإرادة التي لا تعرف اليأس .

(3) السابق : 6 ، 7 .

أما قتل الأطفال والتمثيل بجثثهم فهو متعة عن العدو الصهيوني وقطعان مستوطنيه ، وكان جيش المحتل الغاصب قد سلم طفلاً للمستوطنين الذين قاموا بقتله والتمثيل بجثته . تقول الشاعرة كوثر الزين [1] :

حديد محمى على مقلتي
لِيجتث منها الندى والشموع
مطارق حقد تدق عظامي بخوراً
وجلدي سجادة للفجورْ
وكنت ذبيحة إثم اليهود
تُرش دهوني على المحرقةْ
رأيت "كهاناً" [2] على رأسهم
يجر سلاسل مِن زمهرير
أتى من صقيع الجحيم
ليشرب نخب دمائي
نبيذاً شهياً
لعيد جديد

إن الطفل الفلسطيني قد حرم من أبسط حقوقه الإنسانية ، لكنه صابر على البلاء الذي أصابه ، وكأنه يتجرع السم من أجل الوطن وكرامته ، وبالرغم من ضعف جسمه ورقّة عظمه إلا أن طموحه لبلوغ المجد لم ينقطع [3] :

لك المجد يا أبتي في الأعالي
وأنت فقير تلبي الرغيف
بصبرٍ تنام على قلق الوقت،
تمشي على شوكة الجرح صبراً
وتصبر صبرك أيضاً بصبرٍ
تطاعن خيلاً كثيراً وإحدى فوارسها القهر
وتحمي هزالي بصدر هزيل

---

(1) السابق : 36 .

(2) أحد المستوطنين الذي دعا إلى ترحيل الفلسطينيين إلى الدول العربية ، طعنه شاب مصري في الولايات المتحدة حتى الموت .

(3) السابق : 39 .

لك العذر مني

قتلتك حياً، ومت لأحيا

وما كنت أطمح للمجد يوماً

وكان كفاني جدار ظليل وبعض الرغيف

وصدرك مروحةً للحنان

لقد ملأ الكيان الغاصب ذاكرة الطفل الفلسطيني بجرائم سيظل التاريخ يذكرها ، وصار هذا الطفل يروي ما تراه عيناه من قتل وموت ، وما تبثه الفضائيات من جرائم يرتكبها الصهاينة بحق الطفولة البريئة . ويذكر الشاعر عبد الحكيم أبو جاموس أن ابنه قد اتصل به راوياً ما فعله الجنود الصهاينة بالطفلة "إيمان حجو" . إن هذا الاحتلال يزرع في نفس الطفل الجـرائم التـي يرتكبهـا بيـده ، ثم يشكو أمام المحافل الدولية من الإرهاب والعنف الفلسطيني . يقول الشاعر [1] :

يا أشرفُ . .

يا ابني

يا من صورتَ جريمتَهم

ببراءةِ طفلٍ

وبراعة جيلٍ

أصبح في سنواتِ الجدبِ

يداري حرقةَ أهدابٍ

مترعةٍ بدموع الحزن

ويتْقِن ألفاظَ الخَسفِ الدموي

يعبئْ ذاكرة غَضةْ

بالرعب النازفِ

والموت الجارفِ

وكم من طفل صغير أعدمه الصهاينة وهو في أحضان والده ، أو قتل وهو فـي بيتـه أو مدرسته ، ولم ينج من القتل في فراشه ، وتبقى دماء الطفل الشهيد محمد الدرة شاهدة على جريمة العصر ، فلم تشفع صيحات أبيه له من بنادق الصهاينة التي انهالت عليه ، تنزع منـه الحيـاة . وصور الشاعر عبد الحكيم أبو جاموس هذه الجريمة التي ذبحت فيها الطفولة البريئة قائلاً [2] :

ملَك تهاوى من سماءِ الله

---

(1) عبد الحكيم أبو جاموس : ديوان فراشة في سماء راعفة 18 .

(2) السابق : 22 .

مِثْلَ حمامةٍ
سكَنَتْ . .
فَطَوحها الردى . . !
هو ذا محمد
حبةٌ . .
من غُصن زيتونٍ
تَهدلَ قبلَ نُضج ثِمارِهِ
زيتٌ تقاطَر عنْدماً
وفراشةٌ . .
ضلتْ خُطاها في سماءٍ راعِفَةْ

إن المحتل الصهيوني قد دفن الطفولة وحلمها بعد أن حكم عليها بالموت ، وهي لا تـزال رضيعة ، إنه قد حول الحياة إلى شريعة غاب ، لا حق للصغير أن يعيش فيها ، ولا أحد يستطيع أن يبرر قتل هؤلاء الأطفال ، فهم لا يتوقع أن يشكلوا أدنى خطر على الصهاينة ، لكنه حب القتل وشهوة الانتقام التي تملأ قلوبهم وتثلج صدورهم برؤية الأطفال الصغار يتشحطون في دمائهم (1) :

هو ذا محمد
غاله الحقد المبيتُ في القَناةِ
وفي دهاليز الحفَر
يا أيها الجيشُ المدجج بالدمار
يا ويح قَلْبِك !
يا لَعارك !
أي نَصرٍ تَرتَجي !
فالعود غَضٌ
لم يشب عن الفطامِ
ولم يجرب في موازين القُوى !
هو ذا ابن درةَ
شاهِد التاريخ والملكوتِ
أَنك قاتِلُ

(1) السابق ، 23 .

لم يفسح الصهاينة المجال للطفل الفلسطيني ليهنأ بالحياة ويبني مستقبله ويحقق أحلامـه ، بل هدموا بيته ومدرسته ، وأكلت آلياتهم حقوله وبستانه ، وأرسلوه أشلاء يغرق في دمه . هذا ما أعده الصهاينة في حضارة القرن للطفل الفلسطيني ، فمن سقط شهيداً دفن ، ومن بقي ظل يكابـد هموم الحياة وغطرسة الغاصب ، فلم يعد له المحتل إلا النار والموت . يقول الشاعر عبد الحكـيم أبو جاموس [1] :

طلقةٌ في ثنايا المنايا عَاثِرةْ
غابةٌ من جحيمٍ
حِمم تقذفها طائرةٌ
أو بقايا من رمادٍ حولتْه المجنْزرةْ
كيف لا نقتلُ مطلِقَها ؟
كيف لا نحرقها
كيف للبارود أن يهدأَ
حين يمسي الطفلُ أشلاء
وبقايا من دمٍ
كيفَ لا يسمو الرصاص
ولا تَّنْزع صاعِقها القُنْبلةْ ؟

أما الشاعرة رحاب كنعان "خنساء فلسطين" فترسم صورة لمأساة عائلـة الطفلـة هـدى غالـية ، التي استشهد أبوها وعدد من أفراد أسرتها أمام عيونها ، وبينت رحيل وضـياع أحـلام حتى صارت كالفراشة الحائرة . فتقول [2] :

آه . . يا وجه الغروب
اليوم بكى البحر . .
وناح الطير
لشمس صيف زينته لوحات الرعد
لطفولة كانت ترسم على الرمال أحلام الغد
فأي الخطى تلتحفك
وأنت تقبلين وجه البحر
في آخر لمسات الشمس

---

(1) السابق : 102 .

(2) رحاب كنعان : ديوان شلال الفصول الثمانية ، 52 .

أي الخطى تلتحفك

وأنت تحومين كفراشة ثكلى

معفرة الوجه بنخوة اليأس

ت س ت غ ي ث ي ن . . . . . خيول السياسة .

وتدعو الشاعرة رحاب كنعان الطفلة هدى غالية أن تتحـدى الـصعاب ، وألا تيـأس أو تستسلم ، وأن تكمل مسيرتها وتحقق أهدافها وأحلامها . فلا قيمة لليأس مع الإرادة [1] :

يا طفلة الحداد الأبدي

مهما الريح تبتلع من لغة الفراش

فنارك الأقحوانية ستخجل الصهيل

مارسي طقوس طفولتك رغم احمرار الموج

وأكملي السباحة . .

وقد عانى الطفل الفلسطيني من الفراق والبعد عن الأهل ؛ لأن الاحتلال الصهيوني فرض قيوداً لا إنسانية على حركة وتنقل الفلسطينيين بين فلسطين والبلدان العربية والأجنبية ، ولم يسمح للعائلات بجمع شملها ، وعاش الطفل بعيداً إما عن حنان أمه أو عطف أبيه . وفـي ذلـك تقـول الشاعرة رحاب كنعان [2] :

سامحيني . . يا سوسة عمري

كبرت بعيدة عن حضني

لا نملك القرار

والقلب من دياجير الغربة

يعتصر شوقاً لك

و كنسيم الصبح يشتهيك

لتنفضي النوم عن أهدابي

يا أجمل هبةٍ من السماء . .

يا أغلى عطاء . . . .

هكذا قدري يا ابنتي

ولم ينس الشعراء الفلسطينيون الطفلة هدى غالية وهي تنظر إلى أفـراد أسـرتها وهـم يغرقون في دمائهم بعد أن أصبحوا أشلاء في يوم سعيد ، ومتى كانت الأيام سعيدة . إن الصهاينة

---

(1) السابق ، 54 .

(2) السابق ، 90 ، 91 .

قد حولوا سعادتها إلى شقاء ، ونزهتها إلى جنازة ، وبيتها إلى خراب تنعق فيه البـوم والغربـان وفي ذلك يقول الشاعر عبد الكريم العسولي [1] :

من يا هدى يبكي عليك ويفتدي ؟
من يمتطي خيل الجنون ؟
آهٍ يا هدى
يا زهرة اللوز الجريحة
في بساتين الشقاء
يا كتلةَ الأحزان ماثلةً
لكل الجاحدين
لا ترفعي الأحزان عاليةً
ولا تستصرخي خيلَ البغاء

ظواهر سلبية في المجتمع الفلسطيني :

لقد خلق الاحتلال والفقر ظروفاً دفعت كثيراً من أبناء الجيل الصاعد ينحرف عن الطريق الصحيح ، وعن القيم العربية والإسلامية التي تسود مجتمعنا العربي والإسلامي ، وكاد هذا الجيل يدخل في نفق مظلم لا مخرج منه لولا رعاية الله بجهود المخلصين من أبناء هذه الأمة .

وإذا وقفنا عند الشاعر يونس أبو جراد نراه يتمزق حزناً على جيل من الشباب الذي ضل وهو في مقتبل العمر ، وكأنه سقط في دوامة بحر لا تتوقف أبداً . يقول الشاعر [2] :

أسفي على جيلٍ يضلُ شبابه
في التيه قبلَ تفتحِ الأكمامِ
ويلاك في جوف الغواية عمره
ويدور في دوامةِ الأوهامِ
ويعيشُ لا يدري لأيةِ غايةٍ
يهب الشباب على مدى الأيامِ
وتراه يطرب عند كُل خليعةٍ
ترنو، فيلهثُ خلفها بزحامِ

---

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان أعاصير الزنابق ، 108 .
(2) يونس أبو جراد : ديوان أنات القمر ، 33 .

ويحث الشاعر المجتمع كي يهب وينقذ هؤلاء الشباب التائهين ، ويدعو إلى استغلال هـذا الجيل لاسترداد القدس وبقية الوطن السليب ، وألا يتركوا من أجل تحقيق أهداف وآراء هدامة في المجتمع . ويقول [1] :

القدس في شوق لحضن رجالها
كي ترتوي من حرقةٍ وأُوامِ
ردوا إلى الوطن الجريح دماءه
من كل شبلٍ في الوغى ضرغامِ
كيف التحرر من قيودِ عدونا
ومرارةِ التنكيل والإجرامِ ؟
وهناك ألفٌ من شبابٍ بلادنا
هبوا لخدمة مبدأ هدامِ ؟
هذا سؤالي للزمان أبثه
وهناك ألفُ علامةٍ استفهامِ

أما الشاعر عبد الكريم العسولي فإنه يعبر عن ظاهرة سلبية ظهرت في المجتمع الفلسطيني وآلمته كثيراً ، ألا وهي الاقتتال الداخلي بين الأحزاب والتكتلات المتناقضة ، أو بـين الأجهـزة الأمنية بعد قدوم السلطة إلى أرض الوطن ، وأدى هذا الاقتتال إلى سقوط مئات الضحايا بين قتيل وجريح ، ويتمنى الشاعر لو أن هذه التضحيات قدمت في مواجهة الصهاينة . يقول الشاعر معبراً عن رفضه لهذه الظاهرة الخطيرة [2] :

وداعاً ألف مرةٍ يا بطولةْ
وداعاً للمروءة والرجولةْ
وداعاً للأصائل قد توارت
وصارت أرضنا وكر الرذيلةْ
عناترة السلاح بغَوا بشر
وعاشوا بالمظالم والمجازر
عتَوا في الأرض واجترؤا علينا
وداسوا الذكر وامتثلوا لكافر
عصاباتٌ مقنعة تحوم

(1) السابق ، 33 ، 34 .
(2) عبد الكريم العسولي : ديوان أعاصير الزنابق ، 91 .

كغربانٍ تُبشر بالمقابر
تركنا الذئب ينهشُ كل حلْمٍ
ويفترس البيادر والخمائلْ
يدوس كرامة العقبان دوماً
ويبطش بالحمائم والبلابلْ

لقد حق للشاعر أن يودع البطولة وشرف السلاح ؛ لأنه لم يستخدم اسـتخدامه الـصحيح وخالف هدفه المنشود ، وصار نقمة على رؤوس الشعب .

ويبين الشاعر أن هؤلاء المتناطحين أصبحوا كباشاً تنتطح وأسوداً تصارع بعـضها ، وإذا جاء حين الكر الحقيقي اختفوا جميعاً ، وانسحبوا إلى جحورهم ثم يعودون للنطاح والصراع . يقول الشاعر [1] :

تناطحنا وأصبحنا تيوساً
على بعض وأشعلنا الضغينةْ
وعند الكر في جحر لبدنا
وأصبحنا لنزوتنا رهينة
نسينا منبراً يصبو إلينا
وخُنا قُبةً دهراً سجينةْ
أيا ذاك المغفل قِفْ وفكر
وامتلك أمر الزمام
فلا تصحب عفاريت الدياجي
ولا تركب خيول الانهزام
فإن هزمتْك أضغاثُ الحرامي
فإنك بيننا ابن الحرام

كما عانى المجتمع الفلسطيني من ظاهرة الرشوة للحصول على وظيفة ، أو الحصول على إذن بالسفر إلى الخارج ، وتدخّل ذوو الجاه والمنصب في حياة الناس لنيـل قـدر مـن المـال أو المنصب . وكم من مسئول نزل عند رغبة صاحب الجاه ، وحصل الأخير على ما يريـد، دون أن يتاح ذلك لغيره من أبناء الشعب . ويعبر الشاعر عبد الكريم العسولي عما يحدث على معبر رفـح البري [2] :

---

(1) السابق ، 92 .

(2) السابق ، 136 ، 137 .

آه مـــن واقٍ يـــا شـــعبي ونجـــومٍ تـــسطع ذهبيـــة
فـــالمعبر أصـــبح مملكـــة لا يـــسمح إلا لعطيـــة
أو لابـــن نـــسورٍ مختـــارٍ وجبـــانٍ فَـــرط بقـــضية
يـــا معبـــر فجـــرتَ شـــجوني أشـــعلْتَ النـــار المطفيـــة
ونثـــرت الـــشوك علـــى دربـــي وســـقيتَ همـــومي المنـــسية
أغـــدو للمعبـــر فـــي مـــرحٍ أحلـــم بـــالأرض الماســـية

أما الشاعر شهاب محمد فيهاجم أولئك الذين أغرقوا أنفسهم بالأموال والمناصب ، ونهبـوا الأموال ، بينما انغمس معظم الشعب في فقر وشقاء لا تبدو له نهاية [1] :

قبـــضتَ علـــى ســـر، وقهـــر ســـريرة
فـــلا رق فيـــه الفـــوز أوراق منـــصب
جهالـــة قـــول إن تخطـــت حـــدودها
تـــساوت بـــنهج الـــذئب كـــذباً وأكـــذب
تمتـــع بهـــا دنيـــا أتتـــك رخيـــصة
وغيـــرك فـــي الآلام يـــشقى ويتعـــب
خفيـــراً، وزيـــراً والممالـــك كلهـــا
متاعـــك والأرقـــام دونـــك تـــشطب
شـــبعتَ علـــى جـــوع فأمـــسيت متخمـــاً
وشـــعب لنـــا فـــي الجـــوع يـــذوي ويـــصلب
فمـــن ينـــصف الأحيـــاء فينـــا شـــهادةً
ومـــن ينـــصف الأمـــوات والكـــل ينهـــب
ســـواد، دمـــار، والـــدماء مجـــازر
وكـــل الـــذي نلقـــاه أبلـــى وأغـــرب

شرك العمالة :

لقد استطاع العدو الصهيوني إسقاط كثيرين في شرك العمالة ، واستغل هذا العدو ظـروف بعضهم الاقتصادية والإنسانية ، وبعد نجاح العدو في استغلالهم وتزويدهم وتجنيـدهم فـي جهـاز

---

(1) شهاب محمد : ديوان رجع الجوى 65 ، 66 .

مخابراته ، أخذ هؤلاء الساقطون يخبرون العدو عن حركات وأعمال المجاهدين والسياسيين ، وأقام هؤلاء العملاء شبكة اتصال يستطيعون من خلالها تزويد العدو بما يلزمه من أنشطة التنظيمات المختلفة .

إن هؤلاء الساقطين كانوا خنجراً مسموماً في ظهر الشعب الفلسطيني ، استطاعوا باتصالهم مع العدو أن يوجهوا ضربة شديدة إلى المقاومين . وفي ذلك يشير الشاعر فخري صرداوي إلى هذه الظاهرة الخطيرة . فيقول (1) :

في زمن القهر السحق الطوفان العاصف
في ليل الظلم
جاسوساً كان
يحمل مخشير(2) العار
يبحث عن شبل ثائر
في بحر الشعب الهادر
يفشي مكنون الأسرار
للجنرال الباغي الغادر

يظهر الشاعر ألمه الشديد من وجود هؤلاء الساقطين في شعب يسعى لنيل حقوقه وحريته وطرد الغاصبين من أرضه ، ولكن الألم المر يظهر حين يصبح هؤلاء العملاء أصحاب قرار وسلطة في مجتمعهم ، ويظهرهم الشاعر كمن خلط الشهد بالسم ، ويحذر من وجودهم في هذا الزمن الغريب . فيقول (3) :

اليوم قبلناه
والرقم الصعب
منحناه
في ساح الشعب
تركناه
يلبس ثوب الوطنية
يحملُ أوسمة الغار
يتبختر، يخطر غبطة
يسرج مشكاة الأبرار

---

(1) فخري صرداوي : ديوان عيبال والطوفان ، 79 ، 80 .

(2) "مخشير" : كلمة عبرية ، تعني باللغة العربية "جهاز اتصال" .

(3) فخري صرداوي : ديوان عيبال والطوفان ، 80 ، 81 .

يخفي في ثوبه بلطة
يا سادتي في هذا الزمن الحالم
بالفجر
كم تؤلم هذي السقطة . . . ؟

كما استطاع العدو الصهيوني للوصول إلى المجاهدين الذين اختفوا وابتعدوا عن أعين الشعب بفضل تعاون الساقطين مع هذا المحتل الغاصب ، إذ كانوا يرشدون الجنود الصهاينة إلى أماكن وجودهم واختفائهم ، حيث كان العدو يزود هؤلاء الساقطين بأجهزة اتصال تمكنهم من الاتصال به وتحديد المكان بسهولة ، كما حدث عندما اغتال الصهاينة الشهيد يحيى عياش ، إذ تمكن الصهاينة من الوصول إليه بعد عجزهم من إلقاء القبض عليه أو قتله . ويصف الشاعر عبد الكريم العسولي استشهاد يحيى عياش (1) :

قتلوك يا أغلى الرجال خيانةً
قتلوك يا عياشُ بين وسائدي
لم تستطع نبلُ العدو إصابةً
صادتك نبلُ الساقطِ المتوددِ
فإلى متى سيفُ العميل يبيدنا
وإلى متى يدنا بغير مهندِ

لا يوجد خطر أشد من خطر العمالة مع العدو الغاشم ؛ لأن هذا الخنجر المسموم الذي يطعن الشعب في ظهره ليس من السهل اكتشافه والسيطرة عليه ، إن السلاح الصهيوني معروف وظاهر للشعب الفلسطيني ، ولكن هذا السلاح "العميل" لا يعرفه الفلسطينيون ، فيقعون في شرك لا يرونه ولا يستطيعون التخلص منه . ويعبر الشاعر شهاب محمد عن ذلك فيقول (2) :

لم تفاجئنا العبارة ! . .
لم تفاجئنا الإشارة ! . .
نحن لا نخشى لإسرائيل
ما كان ،
وما أضحى لديها
نحن نخشى ما لها ،
بين يدينا . .

---

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان دموع وشموع ، 75 .
(2) شهاب محمد : ديوان رجع الجوى ، 77 .

يا خسارة ! . .

يا خسارة ! . .

ثانياً : الاتجاه الإنساني :

لم يعش الشاعر الفلسطيني بعيداً عن هموم وقضايا الأمم المغلوبة والمقهورة ، ولم يغـرد خارج السرب ، وإنما كابد هذه الهموم ؛ لأنها همومه ، وهو ضحية هذا العالم القاسي الذي يتلـذذ بمصائب وويلات الآخرين .

إن المستعمر لم يغادر أي بلد استعبده، وإن كان قد غادر ، فلا زالت آثاره شـاهدة علـى استعماره ، وأخذ هذا الاستعمار يكيل العذاب لتلك الشعوب المستعمرة . فلا يكاد يترك مستعمرة إلا أشعل فيها حرباً أهلية أو فتنة طائفية أو عرقية ، حتى يظل هذا الشعب غارقاً في دمائه ، محروماً من الأمن وسبل العيش الكريم .

1) البوسنة والهرسك :

رأى الشاعر الفلسطيني أن شعب البوسنة والهرسك قد تعرض إلى ما تعرض له شعبه من ذبح وتهجير وضياع ، وهذه القضية الإنسانية جعلته يشاطر ذلك الشعب فواجعـه وآلامـه ؛ لأن شعبه مر بهذه الأحوال والظروف ، فلا أحد يستجيب لندائه أو يـسمع صـراخه ، وصـم العـالم المتحضر أذنيه ، وتركه يغرق في هذا العالم الذي يأكل قويه ضعيفه ، فآهـات الأمهـات وأنـين الأطفال دفع العالم إلى سبات عميق لا يبدو أنه يستيقظ منه .

ويبين الشاعر محمد حمزة غنايم نوم العالم عن طفلة تشكو وتستغيث وتنادي قلوب العـالم لإنقاذها من محنتها الإنسانية ، وعن شيخ يقتلع من أرضه ويراها تعطى لغيره ، بينما يعيش لاجئاً يتفتت قلبه ألماً وحسرة وهو يرى ساكناً جديداً لبيته ومزرعته ينعم بالدفء ويأكل خيرات أرضـه ووطنه ، بينما ينام المسكين في البرد القاتل ، وينال الجوع من أحشائه . يعبر الشاعر عـن هـذه المأساة فيقول [1] :

من منكم يدلني على رجل يشرئب حاجبه الأيسر

كلما استرق الشاعر سمع العالم

لنحيب طفلة مبتورة النسب

---

(1) محمد حمزة غنايم : ديوان الغرائبي ، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية ، الطبعة الأولى ، 1997 ، ص 17 ، 18 .

في "سراييفو" ؟
أو "انفلاش" شيخ غزت أسنان الحليب
سني عمره الضائعة لا محالة
في عاصمة الأمان المستحيل
في إقليم "البوسنة" و "الهرسك"
وما حلّق في فلكهما من عنادل
تأبى أن يضيع النغم الموعود ، سدى ؟
من ؟

ومن يصف الشاعر الفلسطيني بشاعة المذبحة في البوسنة والهرسك ، حيث تحول الجـلاد إلى ذئب تفتك أنيابه بالضحايا من الأطفال والنساء والشيوخ ، أما منظمة الأمم المتحدة ، فيبدو أنها اتحدت على الصمت ؛ لتجعل الذئب يهنأ في افتراس ضحيته . يقول الشاعر محمد حمزة غنايم في ذلك [1] :

الليلة شعب سينام على أحقاد المستنقع في البلقان
والأعناق تحز حناجرها أنياب الذئب
والأعناق تغص حناجرها بالآس الأخضر
والأعناق تغص بأوصاف الجبل الأخضر
ذئب البلقان الأسود
ترفع رأساً شطرتها الشفرات السرية
(في بث حي ومباشر
يقرع جدران ضمائر مندوبينا
في "الأمم المتحدة" . . .)

ولم ينس الشاعر الفلسطيني هموم الأم المسلمة في جنوب شرق آسيا ، هذا الجنوب الحزين الذي ضربه تسونامي ، تلك الأم التي بكت ولدها الذي غرق وضاع مع مئات الآلاف من البـشر ، فهذا الولد الغريق لا تذهب صورته من خيالها . وصور الشاعر يونس أبو جراد هـذا المنـظر الحزين . فيقول [2] :

أراه كل يوم
أراه كل لحظةٍ

(1) السابق ، 55 ، 56 .
(2) يونس أبو جراد : ديوان أنّات القمر 27 .

أراه في الشرابِ

في الطعام

أراه في غياهب المنام

على حوائط المنازل ،

الحدائق الحسان

أراه زهرةً

تَشُب كالضياء

وتبعثُ الربيع في النفوس

وتزرع الأمان

ويصور الشاعر هذه الأم الجريئة التي تمنت لو سقط ابنها شهيداً في العراق أو فلـسطين . فيقول [1] :

يستغيث بالإله

يصارع المماتْ

يا ليته قد مات

في العراقْ

مجاهداً ، مستشهداً

لو مات في العراق

ما حزنَتْ

ولا تهشم الفؤاد كالزجاج

كالمطر

لو راح مع جحافل الإيمان

في القدس

في سواحل الشام

لقد توحدت الشعوب الضعيفة والمستعمرة في همومها وأحزانها ، وسـيطر عليهـا القهـر والتمزق ، ووزعت أوطانها على الغاصبين ، كما أن المستعمر مارس أبـشع المجـازر بحقهـا ، وجعلها لاجئة في أوطانها أو خارجها . وهناك شعوب كثيرة كالشعب الفلـسطيني فـي ضـياعه

---

(1) السابق ، 28 ، 29 .

وتمزقه ، ووقف الشاعر الفلسطيني موقفاً شجاعاً أمام هذه القضايا الإنسانية وعبر عنهـا . يقـول الشاعر خالد سعيد واصفاً دموع الثكالى والمهجرين (1) :

مـن أي شـريان أصـب دمـوعي ؟	مـن أي ريـح تـستكن شـموعي
ولأي ترحيـل أجهـز خيمتـي	ولأي تـشريد أشـد قلـوعي
ولأي منفـى سـوف أطـرد حافيـاً	وبـأي ليـل أزمعـوا ترويعـي
خُيـرتُ كـي أختـار درب تـشردي	مـا بـين ألغـام ولـسع صـقيع
فمـشيت غيـر مميـز إحـداهما	لا فـرق بـين معـذب وصـريع

ويعبر الشاعر عن حقد الصليبيين واليهود على المسلمين في كل مكان ؛ لأنهم وقفوا خلف هذه المصائب والفواجع التي حلت بالمسلمين أينما كانوا ، فالمذابح فـي الأنـدلس وديـر ياسـين وكشمير واحدة ، والضحية واحد فيها ، يقول الشاعر (2) :

مـن "ديـر ياسـين" إلـى "قانـا"	و"كـشمير" وكوسـوفو وهـن ربيعـي
مـاذا دهـاني لا أبـي داعيـاً	هـل كـل هـذا لـيس مـن مـسموعي
مـن يـوم أنـدلس تضعـضع صـرحنا	مـن فتـرة المنـصوب والمخلـوع
لمـا تعـددت الـرؤوس بجـسمنا	دب الفـساد بجـسمنا الممـزوع
عـاد الـصليب بحقـده ودمـاره	غـرس اليهـود أتـى بكـل شـيوعي
إن لـم أجـث مـن الجـذور وجـودهم	لـو فكـروا يومـاً بلمـس فروعـي

---

(1) خالد سعيد : ديوان الأسرى أولاً ، ص 12 .

(2) السابق ، 13 .

الباب الثاني

الاتجاهات الفنية

الفصل الأول

الاتجاه الواقعي

- ✓ الواقعية الانطباعية
- ✓ الواقعية النقدية

سيطر الاتجاه الواقعي على معظم الشعراء الفلسطينيين بعد أوسـلو ، فقـد رأوا وحـشية الصهاينة في معاملة الشعب الفلسطيني وإذلاله ، والقضاء على تراثه وتاريخه . فلا يكاد يمر يوم دون أن يسقط فيه الشهداء ، أو تتعرض الأراضي الزراعية والمنشآت إلى التجريف والهدم . كل ذلك دفع الشعراء الفلسطينيين إلى تصوير هذا الواقع المر .

وحفلت معظم دواوين الشعراء الفلسطينيين بقصائد تعبر عن هذه الممارسات اليومية ، وأخـذ بعضهم يصور هذه الأحداث تصويراً واقعياً ، فيذكر أسماء الذين استـشهدوا وأسـماء الحـواجز العسكرية . ومن ذلك ما يقوله الشاعر عبد الكريم العسولي عن الطفل الشهيد محمد الدرة [1] :

عند الجدار
خَلْفَ الحجر
طفلٌ وخوف
وأب يصيح ويرتعد
مات الولد
مات الولد

إن الشاعر هنا وصف سقوط الطفل الشهيد بكامل تفاصيله ، فالكل يعـرف ذلـك الجـدار ، ويعرف الأب الذي كان يصرخ ويرفع يديه مستغيثاً يطالب وقف إطلاق النار ؛ لأن الولد مات .

ثم يتابع الشاعر حديثه عن تلك المأساة حيث سقط الطفل بين ذراعي والـده ، وكـان ذلـك الحدث تنقله الفضائيات في بث مباشر إلى العالم كله . يقول الشاعر[2] :

مات الولد
في حضن والده
تلملم واستند
في حضن والده
تكفن والتحد
عند الجدار
خلف الحجر
مات الولد

فكل هذه الأسماء والأمكنة تدل على أن الشاعر يجعل منها حادثة تاريخية لها صورتها فـي الذاكرة ، بحيث لا تغيب هذه الصورة عن الأذهان كلما رأى الإنسان طفلاً في أحضان والده .

---

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر 55 .
(2) السابق ، 55 ، 56 .

أما الشاعر سليمان دغش فبين أن الطفل محمد الدرة لا يريد أن يموت ، وإنما يتعلق بثياب أبيه ؛ ليفر من الموت الذي تحمله فوهات البنادق ونفوس الصهاينة في توحشهم ، ويرى الشاعر أن هذا الطفل ما كان ليموت أمام الملايين من هذا العالم الصامت . فيقول [1] :

هو لا يريد الموت

أمسك جيداً بقميص والده لينجو

لم يجد أماً هناك لتحضنه

فعانقته الأرض

إن الأرض أمك يا محمد

يا رسول البرق فينا

هل تسامحنا

أكان من الضروري أن تموت أمامنا

في علبة التلفاز ، كم سنموت بعدك

كي يعود لأبجديتنا الحمام

ويظهر المشهد نفسه الذي يتمثل بسقوط الشهيد محمد الدرة في حضن والده برصاص غادر ، فلم تسعف صيحاته واستغاثته في النجاة من الموت ، وكان حضن الأب مكاناً للموت . ومن ذلك ما يقوله الشاعر عبد الحكيم أبو جاموس [2] :

مات الولد

وقضى بحضن أبيه مذعوراً

ونام بظله

لم يرحموا الرعب الذي في عينه ..

ورجاء والده

وصيحات استغاثته

وطهر براءة

خارت قواها في جحيم الراجفة

كما يتحدث الشاعر صالح فروانة عن الشهيد فارس عودة ، فيأخذ في وصف الزمان والمكان ، ويذكر اسمه وهو العدو الغاصب . فيقول في قصيدة بعنوان "مصرع طفل يدعى فارس" [3] :

---

(1) سليمان دغش : ديوان آخر الماء 35 .

(2) عبد الحكيم أبو جاموس : ديوان فراشة في سماء راعفة 21 ، 22 .

(3) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية 65 .

كل صباح

يقفز من فراشه

كقطة أليفة

تداعب الصغار

فيفرح الكبار

ثم يذكر الشاعر ميدان المواجهة ، ألا وهو الرصيف الذي يلتقي فيه فـارس مـع أصـدقائه لمقاومة الصهاينة (1) :

ويلتقي على الرصيف

جيشاً من الصبيان

سلاحهم مجرد الإرادة

وبأسهم شديد

كتيبة تجمعتْ أفرادها

ويبين الشاعر هذا الطفل وهو يقاوم إلى أن سقط شهيداً فيقول (2) :

فتى

يحاور الدبابة

فقائد لقائد

وفارس لفارس

قد مات فيه الخوف والحذر

عصفورة تدور حول فيل

تخيلوا

عصفورة تذل فيلاً

إن هؤلاء الشعراء الذين تناولوا هذه التفاصيل التي تكاد تكون دقيقة تظهـر مـدى تـأثرهم وانطباعهم من هذه الأحداث ، وبذلك استطاعوا أن ينقلوا إلى القارئ هذه الأفكار بسهولة ؛ لأنهـم أغرقوا في وصف دقيق وجعل هذا المشهدِ حاضراً في أذهان القراء .

ولم يكن الشهيد محمد الدرة الوحيد الذي تحدث عنه الشعراء ، وإنما ذكروا كثيـرين مـنهم سقطوا ضحية الظلم والعدوان الصهيوني ، فالطفلة إيمان حجو لها نصيبها من حـديث الـشعراء عنها وعن طفولتها . فالشاعر عبد الكريم العسولي يقول في قصيدة سماها "إيمان حجو" (3) :

---

(1) السابق ، 65 ، 66 .

(2) السابق ، 66 .

(3) عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر 65 .

إيمان حجو
يا طفولتنا الذبيحة
في زمان الصمت
والشجب اللعين
يا درةً أخرى
تموت كما الورود
بلا دموع أو أنين
يا غنوة كانت
وأضحت حسرةً
للثاكلين البائسين

وهنا كان الشاعر قد ربط بين الطفلين الشهيدين إيمان حجو ومحمد الدرة في المصير الواحد الذي ينتهي باستشهاد الاثنين برصاص الحقد الصهيوني .

ويبين الشاعر يونس أبو جراد الطفلة الشهيدة إيمان حجو التي اغتالتها يد الغدر والمـوت الصهيونية أنها عش فقد حمامته ، وأن الدموع أخذت تحل فيه مكان الأمان والطمأنينة . فيقول في قصيدة "تطريز بالرصاص في طرحة العروس" (1) :

إيمان
حقلٌ وادع
عبثَتْ بروعته يدان
صبح يباد بلادغةٍ
عش بغير حمامةٍ
تمضي
فيرتعشُ الزمان
إيمان
تفتقد الأمان
كيفَ الأمان وعشها
شادٍ بدمع الأرجوان ؟

ويذكر الشاعر صالح فروانة الطفلة إيمان حجو التي قتلت في بيتها ، كما قتل كثير من

(1) يونس أبو جراد : ديوان أنات القمر 73 .

الأطفال الصغار وهم نيام في بيوتهم [1] :

آلات القتل الفتاكة

طفلٌ – في منزله يصرع

قنبلة تخترق حشايا – إيمان –

جرار يسحقُ كوخاً

بئراً ...

مزرعة ...

أعشاشَ عصافير

وفي قصيدة أخرى بعنوان "إلى الطفلة إيمان حجو" ، يظهر الشاعر قسوة قلوب الصهاينة في قتل الأطفال الصغار وهم في أسِرتهم ، ويتساءل الشاعر بأي حق تستباح دماء هـؤلاء الأطفـال الصغار . فيقول [2] :

يوشع وقلبه الجلمود

في أغواره شرائع التلمود

أن يستباح دم القوارير

وتصرع الأطفال في المهود

حكماء صهيون أيتام قارون

خفافيش الدجى مزورو النقود

كما يبين الشاعر أن الطفلة إيمان حجو واحة تزينها الورود وشقائق النعمان ، وأنهـا شـمس تنير فلسطين ، وهي في نظره صخرة تحمل عنوان الصمود والبطولة في وجه الصهاينة . وفـي ذلك يقول الشاعر [3] :

إيمان أنت واحة الكثبان

شقائق النعمان والورود

شمس تطل للجليل

في عسقلان في أسدود

إيمان يا دالية الكروم

فرعاء يا شذية العنقود

باسمك نجتاز مسالك الحصار

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية 23 .

(2) مروان برزق : ديوان رحيل مفاجئ 31 .

(3) السابق : 31 ، 32 .

والأسر والأطواق والحشود
أنت مشعلٌ وأكاليل غار
أنت صخرة الإصرار والصمود

أما الشاعر محمد رمضان البع فإنه يذكر في قصيدة بعنوان "الأوفياء" عدداً من الشهداء الذين سقطوا بيد الصهاينة ، بل ويذكر بعض أعمالهم التي تشهد بدورهم في تأسيسها ، كما يذكر عـدداً من القادة في الحركة الإسلامية ويشيد بهم وبصمودهم ، وفي نهاية قـصيدة يتحـدث عـن قـادة الصهاينة ويذكر أسماءهم ، ويبين قهرهم وعجزهم عن مواجهة الفلسطينيين (1) .

صــلاح كــان نــوراً قــد أضــاء	وإسـماعيل قــد لبــى النــداء
عمــاد بعــده يحيــى رجــالٌ	وإبــراهيم قــد دفعــوا الــدماء
وزهــد قــال بــالأس وداعــاً	نطيــب بجنــة المــولى لقــاء
وذا عبــد العزيــز لــسان صــدق	لــدعوتنا وقــد رفــع الــواء
وزهــار يقــود مؤســسات	تعلمنــا العقيــدة والحيــاء
هنيــة أنــت للإخــوان شــمس	ومــن شــفتيك تعطينــا الــدواء
وأحمــد شــيخنا الياســين نخــر	لأمتنــا فقــد أعلــى البنــاء
وأسس فــي القلــوب قــصور حــب	وعلمنــا البطولــة والفــداء
وشــارون الحقيــر يمــوت قهــراً	وموفــاز الــذي يعــوي عــواء
مــن الــشيخ الجليــل ومــن حمــاس	وأحــرار نــرى فــيهم إبــاء
كتائبهــا لقادتهــا حمــاة	وقادتهــا ســتبقى الأوفيــاء
لأقــصانا الجــريح وكــل شــخص	جــرى دمــه فلــن يمــضي هبــاء

وكان للمكان ذكر واضح في الشعر الفلسطيني ، ومن هذه الأماكن الحواجز العسكرية التـي كانت وما تزال تذيق الفلسطينيين صنوفاً من العذاب والقهر . وكان حاجز التفاح الواقـع غـرب خانيونس يمثل موتاً يومياً للفلسطينيين من تلاميذ المدارس والعمال والنساء اللواتي يقصدن العلاج لنفسهن أو لأطفالهن ، ويذكر الشاعر عبد الكريم العسولي حاجز التفاح أربع وعشرين مـرة فـي قصيدة بعنوان "مشاهد من حاجز التفاح" . فيقول (2) :

في حاجز التفاح
مخيم يذوب
وشعب يستباح

---

(1) محمد رمضان البع : ديوان أناشيد المقاومة ، (دون تاريخ) ، ص 6 .

(2) عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر 41 .

وأيام تموج
بأوجاع الجراح
فيكبر الأسى
وترحل الأفراح

ثم إن المعاناة تظهر واضحة عند هذا الحاجز ، حيث تبحث الأم عن طفلها الذي فقدته في ساعة الصباح الباكر ، ويصف لها الناس أنه قد رحل مع أصحابه إلى التفاح . ويبدأ الشاعر هذا المقطع بذكر "في حاجز التفاح" (1) :

في حاجز التفاح
أم صباح مساء
تجري هنا وهناك
تصيح في جنونٍ
تدق كل باب
وتسأل الجيران
والناس والأصحاب
عن طفلها الفقيد
في ساعة الصباح
مع صحبه الصغار
رحلوا إلى التفاح
ولم يعد للدار .

كما يذكر الشاعر عبد الكريم العسولي حاجز وادي الحرمية الذي نفذ فيه مقاوم فلسطيني عملية فدائية عظيمة ، سقط فيها عدد من القتلى والجرحى الصهاينة ، وكان ذكر المكان واضحاً في قصيدته التي سماها "وادي الحرمية" (2) :

في قبضة الغول الكبير
ولم يزلْ
وسط الغياهبِ
يرتقي مثلَ القمر
يا خد أمي

(1) السابق ، 45 .
(2) عبد الكريم العسولي : ديوان أعاصير الزنابق 32 .

لستِ للجرذان مأوى

بل أخاديد المنية

ما أنا إلا غدير

فوق أرضي

والتراب هو الهويةْ

فاقبري يا بطن أمي

عصبة السر بوادي الحرميةْ

ولا يذكر الشاعر صالح فروانة اسم الحاجز ؛ وإنما أشار إلى الجحيم الذي يراه الفلسطينيون في تنقلهم على هذه الحواجز ، ويرسم لمعاناة إنسانية طالت فئات المجتمع كله . يقول الشاعر [1] :

جندي يتلذذ بالتعذيب

شيخٌ من حسرته يدمع

أم تفقد زوجاً وثلاثة أبناء

حبلى تضع – على الحاجز –

طفلاً ميتاً

شرطي يضحك باستهزاء

شعب يغرق في مستنقع

ويتحدث الشاعر عن جامعة الدول العربية مظهراً عجزها عن مد يد العون ، ولا تملك إلا البيانات التي تصدرها وهي خجولة ، بحيث لا يخلو قاموسها من الاستنكار والشجب ، ويبين الشاعر أن بياناتها لا تسمن ولا تغني من جوع . فيقول الشاعر صالح فروانة في قصيدة بعنوان "جامعة الدول العربية" [2] :

يندر أن تذكرك الأمةُ

في أيام شدائدها

دون عزاء

وقليل من عطف لا يشفع

وبعض رثاء

. . . .

قاموس الكلمات العرجاء

---

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية 23 ، 24 .

(2) السابق ، 22 .

لجامعة الدول العربية
نحفظه ظهراً عن قلب
من ألفِ الكلماتِ إلى الياء

ثم يتابع الشاعر حديثه عن بيانات الاستنكار والشجب ، ويبين الألفاظ والعبارات المستخدمة فيها ، وهي ألفاظ تتكرر باستمرار ، ولا تحمل أي شيء جديد . فيقول [1] :

كلمات لا تغني من جوع أو تُشْبِع
"نشجب . . نستنكر . . ندفع"
ودعاء لله الأكرمِ والأوسع
أن يمنحنا الصبر
ويمنح قتلانا منزلة الشهداء
هذا يعني في قاموس الكلمات العرجاء
أنا نتراجع باستحياء

ولم ينس الشاعر الفلسطيني الأماكن التي ارتكب الصهاينة فيها المذابح ضد الفلسطينيين ، فهي كثيرة ولا يمكن إحصاؤها ، فيذكر الشاعر صالح فروانة عدداً من المذابح التي نفذها الصهاينة بحق الأبرياء . فيتحدث عن مذبحة بيت ريما في قصيدة له بعنوان "زرقاء بيت ريما" فيقول [2] :

قُصي حكاية مقبرةْ
كانت تسمى قبل يوم
بيتَ ريما
صبرا جديدة
كفر قاسم
قبية جديدة

ثم يبين الشاعر تفاصيل تلك المذبحة ، فيذكر الرجال والنساء في عودتهم إلى بيوتهم بعد قطف الزيتون ، وميلهم إلى الراحة بعد التعب ، فيأتي الصهاينة للقتل والذبح . يقول الشاعر [3] :

عاد الرجال في المساء
مع زيتونهم
وناموا

---

(1) السابق ، 22 ، 23 .
(2) السابق ، 37 .
(3) السابق ، 37 ، 38 .

لتذهب النساء في الصباح
للمعاصر
فيعتدي (في غفلةٍ من أمرهم)
شارون
بكل ما احتوت مخازن السلاح
من قذارة
سكان بيت ريما نائمون
فيحرق البيوت والرجال والزيتون

ويبدو واضحاً من النماذج الشعرية السابقة أن الشعراء الفلسطينيين عبروا عـن ممارسـات الصهاينة اليومية ضد الشعب الأعزل ، وعرضوا في خلال قصائدهم أسماء كثير من الـشهداء ، وظهر الوصف الدقيق للمعاناة على الحواجز العسكرية ، كما ذكروا أسماء بعض المـذابح التـي تعرض لها الأبرياء من أبناء الشعب الفلسطيني ، وهذا المذهب الذي اتبعـوه فـي التعبيـر عـن أفكارهم لأقرب ما يكون في اتجاه الواقعية الانطباعية .

الواقعية النقدية :

كان من الصعب على النقاد أن يفصلوا بين أنواع الواقعية ، فكل نوع منها يقارب الآخـر ، وتكاد أوجه التشابه تكون واحدة فيها ، لكن بعض النقاد لم يفرقوا بين الواقعية الانطباعية والواقعية البسيطة ، ويقول[1] نبيل أبو علي : "لأنه كما أظن لا توجد فروق دلالية بين المصطلحين" . أمـا الواقعية النقدية فهي مرادفة للواقعية الانحيازية ، والبعض يسميه الواقعية الشمولية بحيث لا يمكن فصله عن الواقعية النقدية أو الانحيازية . فقد ينحاز أديب لفكرة أو جماعة يتحدث عنهـا ، بينمـا الشمولية تهتم بهموم وقضايا المجتمع عامة ، ومن ينحاز لفكرة أو جماعة لم تغب عنـه قـضايا المجتمع بشموليته [2] .

ولعل أول قضية من قضايا الواقعية النقدية القضايا السياسية اتفاق أوسلو وما سبق أوسـلو ، أي مؤتمر مدريد الذي اعتبره بعض الشعراء عرساً ألقيت فيه الخطب وهرب الراعي بعد انتهـاء المراسم الاحتفالية . وفي نظر الشاعر لم يكن أكثر من حفلة ، ولم يتوصل أطرافها إلى شـيء . وكان الشاعر صلاح الدين الريماوي قد تحدث عن ذلك في قصيدة بعنوان "مؤتمر مدريد" .

(1) نبيل أبو علي : اتجاهات القصة القصيرة بعد أوسلو 282 .
(2) السابق ، 282 .

فيقـول [1] :

كان عرساً

للعرب

فانتشينا

بالخطب

بارك "الداعي" لنا

والأسى عنا ذهب

بعدما العرس انتهى

- باختصار مقتضب

طوح "الراعي" بنا !!

ثم ولى

أو هرب !!

وللشاعر يونس أبو جراد رأي في مدريد وأوسلو معاً ، إذ يرى فيهما ضياعاً للوطن طالمـا تمسك بعض الفلسطينيين بهذا السلام الزائف . فيقول في قصيدة بعنوان "أي غد" [2] :

إنا سنفقده ، إذاً ،

إن ظل في دمنا

غباء الفكر

ضعنا في مداه

لكن الشاعر يبعث الأمل في النفس إذا وجِد من يحافظ على الحرية والكرامة التي هي عنـده أحلام من شموع النفس ، ويبحث عن القائد الفذ الذي يكون كالأم الحنون يعيد للـوطن ضـياءه ، وإذا فُقِد هذا الضياء ؛ فإن العدو هو الذي سيهنأ بالعيش في هذا الوطن السليب . يقول الشاعر[3] :

إن لم يجد قلباً حنوناً

قد خلا

من كل ما في الكون

إلا من سناه

إنا سنفقد شمسه

وليهنأ الأعداء بالأمل المدمى ،

---

(1) صلاح الدين الريماوي : ديوان من محاسن الطبيعة 17 .

(2) يونس أبو جراد : ديوان أنات القمر 39 .

(3) السابق ، 39 ، 40 .

بالغد المغدور

يرجونا

وما بعد ذلك إلا الضياع المؤكد ، ويصبح الوطن بعد ذلك أثراً بعد عين . يقول الشاعر [1] :

تُمد لنا يداه

فنعيث في نبع الوفا

كي لا نحس ،

ولا نراه

كما يؤكد الشاعر أن السلام العادل لن يتحقق أبداً ، ويطالب باستخدام القوة مع هـذا العـدو الغاشم الذي لا يفهم إلا لغة القوة . فيقول [2] :

أطلق عِنان الخيل

تختصر المدى

وتكون أشرفَ

من يصول ومن يجولْ

إن السلام العدلَ

يوماً لن يرى

إن ضاعت الأنفال

أو بعنا الخيولْ !

إن الشاعر – كما يبدو في قصيدته – لا يثق بهذا السلام المزعوم ، وإنما يثق بالحسام ؛ لأن الوطن لا يعود إلى أهله بالمفاوضات واللافتات التي أخذت تحل محل السيف والخيل .

ثم يتساءل الشاعر عن السلام المفقود ، وعن الأمن الموعود ، بل ويسأل عن أقل شيء مـن الأمن والوداعة ، فيقول [3] :

أين السلام

وأين أصداء العدالةِ

والحنان ؟

أم أين أدنى ما يشاع

عن الوداعةِ والأمان ؟

---

(1) السابق ، 40 .

(2) السابق ، 57 .

(3) السابق ، 74 .

أما الشاعر مروان برزق فيظهر سخطه على أوسلو وشاربي نخبه ؛ لأن أوسلو منح الصهاينة مفاتيح الطرق إلى كل مكان وإلى البحر الواسع ، كما يذكر أن المستوطنات بؤر للقتل واقتلاع الأشجار والكروم ، ثم يبين أن هذا الاتفاق قد أصبح شريعة تعطي الصهاينة حق قتل الأطفال والناس الأبرياء . يقول الشاعر مروان برزق في قصيدته التي تحمل عنواناً "تداعيات على البحر" (1) :

في يد أجناد يوشع
مفاتيح ومغاليق الطرق التي تؤدي للبحر
في البدء كانت نتساريم المستوطنة
ينطلق منها القتلة وقطاع الطرق
للهدم والتجريف والقناصة قتلة الأطفال
على مرأى شاربي نخب الاتفاق
تقتلع كروم وحدائق الجنوب المطوق
الذي كتب عليه التجويع
في قلعة برقوق والشبورة والمخيم
وليضحي قتل الأشجار
شرعة يقرها هذا الاتفاق الموؤد

وكأن الشاعر يتساءل عن الجنان الموعودة ، وزوال الحزن والفقر ، لكن كل شيء ظل على حاله ولم يتغير ، بل وينكر الشاعر صمت الموقعين من العرب الذين شربوا نخب التوقيع على هذا الاتفاق ، ويبدو أن من بنود الاتفاق عدم إبداء الاستياء والاستنكار .

وتناول عدد كبير من شعراء الواقعية النقدية في قصائدهم قضايا الوضع الاقتصادي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني ، لقد كان من المتوقع بعد أوسلو أن تتحسن أوضاع الشعب ، لكن الآمال خابت بعد توقيع هذا الاتفاق ، فاستفحل الفقر وازداد عدد الفقراء ، ويمكن القول إن أكثر من نصف الشعب الفلسطيني في غزة والضفة الغربية يعيش تحت خط الفقر . وهذا ما دفع الشاعر صالح فروانة أن يظهر الذل والخضوع عند بعض الناس ، حيث صاروا يتسولون في قوافل اكتظت بها شوارع المدينة ، ويرسم الشاعر هذا المشهد الحزين في قصيدة بعنوان "وجهة نظر" فيقول (2) :

قال صاحبي

(1) مروان برزق : ديوان رحيل مفاجئ 47 .

(2) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية 59 .

جحافل التسول
أغرقت المدينة
وضيقتْ بثقلها الخناقْ
كمهنةٍ شريفةٍ للارتزاقْ
فامرأةٌ
تحمل صورة ابنها الشهيد
وواحد
يجرُ طفله المعاقْ
وثالثٌ
تقطعت به السبلْ
وسبعةٌ من العيال
ورابع ... وخامس
وعاشر بلا نهاية
فالأمر لم يعد يطاقْ

إن الحصول على لقمة العيش أصبح صعباً إن لم يكن مستحيلاً . وهل من المعقول أن يصبح شعب بأكمله متسولاً . هذا من الممكن بعد فرض الحصار المطبق ومنع الدخول والخروج . لكـن الشاعر يبحث عن حل ، ويأتي بحل ساخر تتشكل وزارة تسمى "إدارة التسول" تختص بـ التعرف على أحوال الناس الاجتماعية والاقتصادية حتى تتمكن من تقديم المساعدة ، لكن الحل يبقى مجرد فكرة وحلم [1] :

قلت : الحل
أن تتشكل الوزارة
إدارةً واسعة النطاق
تُدعى (إدارة التسول)
تبحث في الزمان والمكان
والاسم والعنوان
وجدول التناوب
ونسبة الضرائب
ليستفيد العاطلون

(1) السابق ، 59 ، 60 .

قال صاحبي : وبعدها ؟

قلت :

لا بأس من كلية ومكتبةْ

لمن يرى أن يستزيد

قال صاحبي :

الحق إنها لفكرة ظريفةْ

قلت :

ولن ترى من بعدها

من يطلب الوظيفة

وعندما يشتد الحصار تكثر الأحلام ، لكن الحصار لم ينقطع أو يزل يوماً ، بل كان مفروضاً على شعبنا في كل دهر ، وينتقل معه من دهر إلى دهر ، فما يكاد يخرج من حصار حتى يـدخل في آخر ، ويبين الشاعر شهاب محمد أن الأحلام تنهار ؛ لأنها قابلة للانهيار [1] :

كل شئ ..

قابل للانهيار ..

وإذا حلِمتَ ،

فكم حلِمتَ .. وهلْ حلِمتَ ،

وهل أتى دهر

على دهرٍ ،

ليأخذنا الحصار

من الحصار

إلى الحصار

إلى الحصار

بينما ينتقد شاعر آخر تحكم الصهاينة في أرزاق الشعب الفلسطيني ، وهذه المرة لـيس عبر حاجز ، وإنما عبر بوابة ، إذ لا فرق بينهما ، فكلاهما عند الإنسان الفلسطيني جحيم لا يطاق وحرب على الرزق والكرامة . وفي قصيدة بعنوان "العمدة" يقول الشاعر رفيق أحمد علي [2] :

فهناك البوابة يكمن فيها شيخ الحراس !

وهناك ... هناك

---

(1) شهاب محمد : ديوان رجع الجوى 13 ، 14 .

(2) رفيق أحمد علي : ديوان خيوط الفجر 72 .

بين الجنة والنار
(شومير) (1) يتحكم في الأرزاق
يمنع أو يمنح
(سيجر !) [2] يقفل (لو سيجر) [3] يفتح

إن الحواجز العسكرية مهما اختلفت مواقعها وأسماءها تبقى مصدراً للشقاء والموت ، وقد زاد انتشارها في ازدياد الوضع الاقتصادي سوءاً ، فلا فائدة ترجى من السلع إذا تلفت وبقيـت أيامـاً وأسابيع ينتظر أصحابها إذناً بالمرور ، بينما يعود الناس إلى بيوتهم والإعياء والعنـاء يـسيطران عليهما بعد رحلة شاقة بدأت مع استيقاظ الديكة للصياح . وهذه الحالة يرصدها الشاعر المتوكـل طه في قصيدة "حاجز" [4] :

يقوم الجنود على حاجز
من دماء
ودورا تدور على جمرة
في العراء
هنا يبدأ الديك ،
صيحته في الهزيع
وتمشي الأيادي ..
إلى لقمة في العناء
.. تعود ، وقد هدها الصخر والحفر
والنقل والحمل
والذل والكل
والانحناء

أما الشاعر ماجد أبو غوش فيذكر أن الحواجز العسكرية أبواب لأقفاص كبيرة تفتح ليـشرب الشعب كأس المرارة ، وليشعر أنه حر وهو مقيد ، ويسخر الشاعر من هذه الحواجز التي تحارب الناس في أرزاقهم وحريتهم . فيقول في قصيدة "الحاجز" [5] .

دعه يعمل

---

(1) شومير : حارس بالعربية .
(2) كلمة عبرية تعني بالعربية "إغلاق"
(3) كلمة عبرية تعني بالعربية : "ليس مغلقاً "
(4) المتوكل طه : ديوان أو كما قال 28 .
(5) ماجد أبو غوش : ديوان بانتظار المطر 18 ، 19 .

دعه يمر

دعه يشرب

- حتى الثمالة -

كأس المر !

افتح له باب القفص

الأول

أغلق خلفه باب القفص

الثاني

ودعه يحلم

إنه حر !

كما يسخر الشاعر في قصيدة الحاجز من هذا الزمن المقلوب الذي يمكن للإنسان أن يرى الحرية وهو حبيس في القفص ، والقيد في الطبيعة ، ويرى أن الموازين صارت مقلوبة كزمانها ، كرجل يلبس قبعة في قدميه أو امرأة تعبر الحاجز زحفاً . يقول الشاعر [1] :

زمن مقلوب

هذا رجل يلبس في قدميه

قبعة

وتلك امرأة – بدل الهودج –

تمر عن الحاجز زحفاً

حتى القمر نراه

في عز الظهر !

ويجتهد الشاعر في اتهام المغول الجدد والصهاينة في تجفيف الأرض من أهلها بحيث يرحل الشعب الفلسطيني عن أرضه ويهنأ المستوطنون ، وأما من بقي من الأهل فهم محاصرون في أقفاص لا يغادرونها . يقول الشاعر ماجد أبو غوش في قصيدته "بلاد" [2] :

... وهذه البلاد

تنام على هم

وتصحو على غم !

...وهذه البلاد

---

(1) السابق ، 19 ، 20 .

(2) السابق ، 36 .

تكاثر عليها جند المغول

والتهمت أشجارها / ماءها

وفراشاتها

أكواخ المستعمرين !

ثم يتحدث الشاعر عن السجن الكبير والجدران العالية والسماء الملبدة بالسلاح القاتل . فيقول [1] :

... وهذه البلاد

يعيش أبناؤها داخل أقفاص ،

والأقفاص داخل جدران ،

الجدران داخل أسلاك شائكة ،

وسماؤها مليئة بالحراب والبنادق !

ويواصل الشاعر اتهامه للصهاينة وحلفائهم الذين أذاقوا الشعب الفلسطيني أنواع العذاب كافة ، حتى يضطروهم إلى الرحيل عن الوطن بعد أن قضوا على ما تبقى فيها من وسائل العيش الكريم ؛ لأن الحرب مستمرة على البشر والشجر والحجر . وفي ذلك يقول الشاعر [2] :

... وهذه البلاد

لم يعد في صدرها

حليب أو عسل

.. وهذه البلاد

لم يعد في ليلها

عشاق أو القمر!

ومن الموضوعات التي تناولها الشعراء الفلسطينيون في قصائدهم الاعتزاز بالشهداء والبكاء عليهم ، إذ لا يكاد يخلو ديوان شاعر من ذكر شهيد أو أكثر ، وهذا يدل على مكانة الشهيد الرفيعة في قلب الشعب . وتحدث الشعراء عن الشهداء من الأعمار كافة ؛ فالصهاينة لم يفرقوا بين طفل وشيخ ، أو بين رضيعة وأمها وجدتها ، وكانوا جميعاً في دائرة الاستهداف والقتل . ومن ذلك ما تقوله الشاعرة كوثر الزين عن سيزيف العرب الذي يتحمل كل الصعاب والمشاق ، وتجعله الشاعرة قديساً في هذا الزمن الذي يستخف بالشهداء ويقلل من مكانتهم ، كما تبين الشاعرة أن الشهداء هم الذين يبنون الأوطان . فيقول [3] :

---

(1) السابق ، 37 .

(2) السابق ، 37 .

(3) كوثر الزين : ديوان شاهد على العصر الحجري 7 .

مسيحي الصغير صليبك أكثر من مقلتيك
وأثقل من كل هذا الهزال
ووجبة خبزك كل صباح
تنوء بصخرة كل الذين أبوا حملها
ووحدك "سيزيف" هذا العذاب
ووحدك تبني بأشلاء روحك عش اليمام
ووحدك تدفن قتلاك كل ظلام
ووحدك "سيزيف" كل العرب

وتبشر الشاعرة أن هذه التضحيات لن تذهب سدى ، وأن يوم النصر قريب ، وسيذهب الشوك ويأتي الثمر (1) :

تمهل قليلاً
تعود العصافير ، كل العصافير حيث تعود
وحتى تلم المدينة أشلاءها من جديد
فإني أحتاج برق شفاهك يوم الرجوع
ويوم انتصار المطر
على الشوك فوق الثمر

وتواصل الشاعرة كوثر الزين حديثها عن الشهادة ، فتذكر الطفلة سارة ابنة العـام ونـصف العام التي قتلها المستوطنون وهي مريضة حين اخترق والدها حصار الـصهاينة ليأخـذها إلـى الطبيب . وتنصح الطفلة والدها أنها حية ترزق ولا تريد العودة إلى أحضان والديها ، كما تنصحه أن يوفر نقود علاجها لمواجهة الحصار ، وترسم الشـاعرة هذا المشـهد في قـصـيدة "شـهادة سارة" (2) :

أراك تسف ترابي وتعجن
ذكرى احتضاني
بدمع احتضاري وأرمق
أمي تلعق رائحتي في الصدار
تشم دمي وتبكي دماً
فهون عليك ، فإني بخير

(1) السابق ، 8 .
(2) السابق ،34 ، 35 .

وإني لأحيا ولا تشعرون

أنا لا أريد الرجوع هناك

فوفر نقود علاجي لجوع الحصار

وفي قصيدتها "شهادة كوكبة من الشهداء" تبين الشاعرة أن الشهداء لبسوا أكفـان الشهادة ، وساروا إلى الموت ، ولم يودع بعضهم إخوتـه ، إذ لا وقت لهـذا الـوداع . فتقول [1] :

لبسنا الحجر

وكانت رياح من الشوك تجلد منا الجباه

فننزف منها الحجر

وحيدين كنا ، سوى من دمانا

وكان الحجر

وحيداً سوى من حجر

مضينا إلى الموت لم ندر كيف مضينا

ولدنا لنمضي

وما ودع البعض فينا أخاه

فلا وقت فينا لهذا الترف

أما الشاعر رزق البياري فإنه يظهر الشهيدة وفاء إدريس ، وقد اختارت الـشهادة علـى الحياة والزواج ، وأنها تقدمت في زمن عز فيه الرجال . فيقول في قصيدته "واعروساه" [2] :

تختارين حياة الموت ..

على موت الحياة ..

تترجلين في كبرياءٍ

فوق الرقاب ..

آه .. يا زهرة الصبايا ..

يا شهداً يطفئ لظى العشاق

تفيضين بأقحوان الذكورة

في زمن الخصيان ..

آه .. يا امتحان الأنوثة ..

---

(1) السابق ، 41 .

(2) رزق البياري : ديوان وجهان ، 66 ، 67 .

حين يعز الرجال ..

ثم يبين الشاعر أن الشهيدة ربيع يزدهر في وسط الخريف المنتشر في كل مكان ، حيث لا يوجد وقت للدمع في لحظة الوداع [1] :

آه ..

يا ربيعاً للخريف الجاثم ..

فوق كل العواصم ..

لا دمع نذرفه ..

لحظة الوداع المقدس ..

لا وقت نسرقه للنحيب ..

على الراحلين ...

ويشير الشاعر إلى أن الصهاينة يغتالون ضحاياهم غالباً عند الجدران ، ويأخذون في إطلاق النار عليهم ، وهذا يذكر بالطفل الشهيد محمد الدرة الذي سقط عند الجدار وفي حضن والده . فيرسم الشاعر مشهداً لجريمة من جرائم الصهاينة . فيقول [2] :

بكائية المشهد ..

تتداخل فيها سادية الرصاص ..

الهواء يتخلط بالدخان ..

لا أحد

يسمع غير صوت الزعاف ..

وتُطْفَأُ شمعة البراءة

عند الجدار ...

أما الشاعر خالد سعيد فيظهر تضحيات الشهيد يحيى عياش الذي انتقل من الضفة الغربية إلى قطاع غزة ليستمر في المقاومة ضد الصهاينة ، كما يبين الشاعر تضحيات الشهيد لحماية المساجد والأعراض ، وأن الشاعر لا يرثيه بأشعاره ، وإنما يزداد الشاعر شرفاً إذا رثى هذا البطل المقدام . يقول في قصيدة "نفحة للشهيد يحيى عياش" [3] :

ما كنت أُوثِر أن ترثيك أشعاري   يا مسعف الحرم المذبوح بالثار

الشعر يشرف إذ يرثيك يا بطلاً   يرنو إليك كبدر في الدجى سار

---

(1) السابق ، 67 .

(2) السابق ، 70 .

(3) خالد سعيد : ديوان الأسرى أولاً 54 .

سريت من ضفة القسام منتقلاً ... إلى القطاع قطاع النور والنار

قبست من "أحمد الياسين" شعلته ... فجرت خيبر حصن المكر والعار

ضحيت بالنفس و الدنيا وزينتها ... تحمي المساجد والأعراض في الدار

يظل يحيى شعار الطفل يكتبه ... على الجدار على أوراق أشجاري

ويفتخر الشاعر محمد محمود مهدي بالشهداء وهم يحملون السيوف يدافعون عن شرف أوطانهم ، وقد غرسوا العزة في الوديان وقمم الجبال ، ويرفض الشاعر أن يموت هؤلاء الشهداء كموت العير ذليلاً ، ويبين الشاعر أن الشهم لا يموت بل يبقى اسمه خالداً . فيقول في قصيدته "نشيد الأرض" (1) :

ازرعوا الأوطان بأساً
واهزموا كيد المختال
ازرعوا الأحواض سيفا
وانثروا عزم المقاتل
ازرعوا الوديان عزاً
والجبال السمر فاعل
لا تموت كالعير ذلاً
وارفع الرايات صابر
أرضنا حبلى مآسي
والعدا كثر فحاذر
لا تخف يا ابن المعالي
عارنا أن لا تخاطر
لم يمت شهم البراري
اسمه فوق المنابر
مجده في الموت عز
من نوى عشق الجواهر

(1) محمد محمود عبد الرحيم مهدي : ديوان طرقات على جدار الصمت ، 82 .

ويكتب الشاعر محمد محمود مهدي كلمات يعتذر فيها إلـى الـشهداء ؛ لأن التـضحيات جاءت بنتائج مخيبة للآمال ، فالحق والصدق قد غابا ، والشاعر بغيابهما يكاد ينفجر كالبركـان . يقول الشاعر في قصيدة "كلمات إلى شهداء الوطن" (1) :

سأكسر أقلام البهتان
سأمزق أوراق الشيطان
وسألقي بالحبر الدامي في وجه الطغيان
وسأنكر كفي إن لم يبن الجسر الممتد
وسألعن قلبي إن لم يدفق بالحق
وسأحرق أفكاري إن لم تكتب نور الصدق
في دمي بركان
يتأجج عبر حدود الأفق
يا سادةُ معذرة
يا سادةُ أكتب نوراً للغد

وكانت قضية اللاجئين من الموضوعات التي شغلت الشعراء الفلسطينيين ، فلا بـد مـن الإشارة إلى أن الشعراء الفلسطينيين قد تعاطفوا مع أبناء شعبهم ، ووصفوا معاناته في الخيام وفي الشتات ، وكان قسم كبير منهم لاجئاً في هذه المخيمات داخل الوطن وخارجه ، وحفلت كثير مـن دواوين الشعراء بقصائد تتحدث عن الضياع والتشرد ، وتصف المأساة الكبيرة التي ألمت بالشعب الفلسطيني ، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر جهاد إبراهيم درويش الذي يبين أنه عاش لاجئاً طـول حياته ، ولكنه مازال يغني للوطن ، بالرغم من أن خيمة المخيم قد أصبحت كفناً لا يحمـي مـن البرد أو الحر . يقول الشاعر في قصيدة "لاجئ" (2) :

لاجئـاً عـشت علـى طـول المـدى	أرقـب الأطيـاف أشـدو للـوطن
كـم عنـاني الجـرح .. والليـل البهـيم	لا سـمير .. لا صـديق .. مـن أحـدن
بـين أنقـاض المخـيم هـل وعـى	خيمة .. كـم قيـل مـأوى .. بـل كفـن
خيمـة كـم قيـل بيتـاً يرتجـي	لفـح بـرد .. هـل تقينـا .. أو وهـن

ثم يظهر الشاعر تحسره على حيفا وعلى قلعة الجزار في عكا ، ويتذكر العيش الكريم في أحضان الوطن ، ولا يدري كيف جاء الموت وغشي الوطن بعد الكرامة والعـزة ، ثـم يتـساءل

(1) السابق ، 51 .
(2) جهاد إبراهيم درويش : ديوان أقمار الخيمة 25 .

الشاعر عن المعارك التي خاضها الفلسطينيون دفاعاً عن أرضهم وشرفهم ، وهل مازالـت هـذه المحن والمعارك تدرس أم عفا عليها الزمن . فيقول [1] :

أيـن حيفـا .. أيـن عكـا .. بحرهـا قلعـة الجـزار تـأبى تُمـتَهن

أي دراسٍ هـل درسـنا رسـمها هـل وعينـا كـم خطـوب ومحـن

نحـن عـشنا .. كيـف غـشانا الـردى نـزرع الحـب سـراباً وضـغن

نعبـد الـذات تهـادى نجمهـا كـم أنـا قـد جللتنـا والـوهن

ويدافع الشاعر عن شعبه الذي عاش حياته لاجئاً ، حيث وصف اللجوء بأنه معرة ليس في السر بل في العلن ، ويرفض الشاعر أن يكون مرتهناً عند أحد بالرغم من عجزه عن نيل كرامته وعزته ، ويوجه خطابه إلى الذين عابوه على لجوئه أنه مازال شامخاً ، رسم دربـه بالحقيقـة لا بالخيال ، فمازال حبه لوطنه يجري جريان الماء يسبح بحب الوطن . فيقول [2] :

كـم حييـت العمـر دهـري لاجئـاً كـم رمـوني بـالمعرة فـي العلـن

عـذرهم أنـي معـاق لـم أزل كيـف بـالعجز .. أأحيـا مـرتهن

حـسبهم أنـي يـراع شـامخ شـدت دربـي بالحقيقـة لا الوسـن

مـن معينـي المـاء يجـري دافقـاً يـسطر الحـب .. يـسبح للـزمن

لقد أصبح اللاجئ – عند الشاعر مستضعفاً في الأرض ، لا يملك إلا الدموع ، ولا تصدر عنه إلا الآهات والحنين إلى الأرض والذكريات الطيبة ، وينادي الشاعر هذا اللاجئ ويطالبـه أن يسحق الوهم ويحطم الأسوار التي تمنع عودته إلى وطنه وأرضه . يقول الشاعر جهـاد إبـراهيم درويش في قصيدته "المستضعفون في الأرض" [3] :

أيها اللاجئ في الدنيا الغريبة
تذرف الدمع سجالاً ..
تطلق الآهات والنجوى الكئيبة
للمروج .. للبيادر ..
للأرض الخصيبة ..
للزمان الحلو ..
والحكايات العجيبة
قم تمنطق ..

---

(1) السابق 25 ، 26 .
(2) السابق ، 26 .
(3) السابق ، 29 .

اسحق الوهم ..

وانسف الجدر الرهيبة

ثم يدخل الشاعر في وصف الخيمة التي تأوي اللاجئ ، والتي أصبحت حقل أشواك تطارده ، ثم تتحول إلى نار تحيل جسمه إلى أشلاء ، فتارة يصفعه عمود الخيمة ، وتارة تمزق جسده قذيفة ، فينطلق ثائراً من بين الأنقاض ، ويعلنها ثورة عارمة على هذا الصهيوني الحاقد . فيقول في قصيدته "خيمة جدي" (1) :

يا خيمة جدي .. كم أنت

كم مر زمان .. هل عدت

أحلام الصب تراودني

في حقل الشوك تطاردني

تتساقط ناراً في حجري

فتحيل الجسم لأشلاءٍ

بعمود الخيمة تصفعني

وقذيفة غدر تبهتني

فألملم بعضي منتفضاً

وسط الأنقاض .. تداهمني

ويتابع الشاعر حديثه عن المخيمات التي لم يحمها بؤسها وشقاؤها من اعتداء الصهاينة عليها ليل نهار ، ويرسم الشعار مشهداً للمخيم وقد اختلطت فيه الأصوات المستغيثة برائحة الموت وارتفاع الدخان بعد القصف ، وظهور السعير الذي لا يرحم ، هذا السعير الذي يزرع الموت في كل مكان . يقول الشاعر في رسم هذه المشهد الحزين في قصيدة "بين أشلاء المخيم" (2) :

بين أشلاء المخيم

وسط بيت كم تهدم

وعواءٍ كم تعالى

ينفث الموت ويرجم

بأزيز وصفير ..

ودخان من سعير ..

أجج الأضلاع ناراً

---

(1) السابق ، 27 .

(2) السابق ، 32 .

ليس يرحم

يقذف الموت ويرغي

ثم يرغي ..

هل مزيد .. أو جهنم

ويجتهد الشاعر في إظهار الظلم العالمي على الشعب الفلسطيني الذي حكم عليه بأنه لاجئ وابن لاجئ أينما وجد في المنافي وفي الخيام وفي ضمير الغيب . ويقول الشاعر في قصيدته "لاجئ وابن لاجئ" [1] :

لاجئ .. ما أنت .. أنت لاجئ

في الخيام .. أنت لاجئ ..

في المنافي .. أنت لاجئ ..

في الممات .. أنت لاجئ ..

في ضمير الغيب .. لاجئ

في الحياة وفي الصحو المفاجئ

لاجئ أنت ..

أنت لاجئ .. وابن لاجئ

وقد تناول الشاعر رزق البياري المخيم في قصيدته "نزيف" التي يصف فيها انتقال الفلسطيني من مخيم إلى آخر ، فما إن يستقر في مكان حتى يفاجئه الصهاينة باعتدائهم عليه ، فلا يجد إلا الفرار ، والجميع من حوله صامت يشاهد مأساته . فيقول [2] :

ودع الراقدين عند جدار المخيم ..

أحرق بقايا ثوبه ..

وهرة الخرافة تسكنه

يقْلَع من أزرقة الضباب

ويسلم ساقيه للريح

فيما .. أفواه الصمت ..

تبتلع لسان البحر

والسائلون خلف الأبواب

تسرق أكفهم ..

---

(1) السابق ، 37 .

(2) رزق البياري : ديوان وجهان 24 .

ثم يتحدث الشاعر عن هدية الصهاينة إلى المخيمات ، حيث تنطلق الطائرات على اللاجئين لتصب عليهم لهيب قذائفها ، فلا يملك الفلسطيني إلا الصراخ . يقول الشاعر في قصيدة "الهدايا القاتلة" (1) :

تطاردك لعنة القذائف

تلتقط أشلاءك المحرقة

تنتفض صارخاً ..

في وجه الذئاب ..

نتخندق معاً ..

رغم المسافات البعيدة ..

طريقنا واحدة ..

تندي جبين الأشرار ..

والطائرات واحدة ..

توزع على الأبرياء

الهدايا القاتلة

لقد ارتبطت صورة اللاجئ بالمخيم ، وأصبح رمزاً له ، فالمخيمات بيوت اللاجئين يسيطر عليها الموت والجوع ، وصور مآدب الطعام فيها لا تساوي شيئاً . وعن ذلك يتحدث الشاعر توفيق الحاج فيقول في قصيدته "انتصار الأسئلة" (2) :

تحت أضواء الشموع

وفي المخيم ...

من يموت ....

ومن يجوع ....

يا رفاقي ....

صور المآدب لا تساوي كف رمل ..

مهما تباكت

فالدماء ... هي الدماء

والدموع ....

---

(1) السابق ، 79 .

(2) توفيق الحاج : ديوان تداعيات الخارجي الأخير ، منشورات اتحاد الكتّاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى ، 2003 ، ص 37 ، 38 .

هي الدموع

وفي ديوان "مساءات" للشاعر رزق البياري يذكر قصيدة بعنوان "مساءات" يتحـدث فيهـا الشاعر عن أوقات المخيم ؛ لأنها متشابهة في معظمها ، فكل يوم يمر كسابقه . لا يظهر فيـه إلا الحزن والتعب وأنات الثكالى ، فالمخيم حقاً تيه وضياع . وفي ذلك يقول الشاعر [1] :

هذا المساء المكفهر الحالك
قد ناء الآن بكلكله
فوق صدر المخيم المتعب
من وجع الأيام وأنات الثكالى العرايا ....
هذا المساء الغارق في بحر الغيوم
تائه أنا فيه أنتحب
وألملم كل بناتي
من أزقة الضياع
ومن لعنة الحانات وزيف المرايا

ويجتهد الشاعر في إظهار صورة الوطن الضائع الذي يحمل ضـياع الإنـسان نفـسه ، ويحاول أن يهتدي إلى وطنه بالبحث عن الغد الذي لا يبدو أمل في العثور أو الوصـول إليـه . فيقول [2] :

هذا المساء أنا فيه جاثم في نفسي
أبحث عن غدي
ووطني الضائع من عمري
كيف تغتاله زعاف المنايا ؟
هذا المساء المستبد
المرتد عن دين السماء
أنا فيه أجتر
من كاس رأسي
أعاشر عيون الجنون
وبنات الشعر
وأشباح هذي المساءات

---

(1) رزق البياري : ديوان مساءات 39 ، 40 .
(2) السابق ، 41 .

آه يا وطن الأحلام المسبية ...
يا وطناً
نسخت منه أجمل الآيات

الفصل الثاني

الاتجاه الرمزي

إن سيطرة الاتجاه الواقعي على الأدب الفلسطيني لا تعني أن الشعراء لم يتجهـوا اتجاهـات أخرى ، فما لم يستطيعوا التعبير عنه صراحة عبروا عنه رمزاً . إن الشعراء الرمـزيين تركـوا لخيالهم العنان في التعبير عن الحس الجمالي ، وابتعدوا عن الواقع ليـصوروا عـالم الأحـلام ، وليعبروا عن رغبات مكبوتة من السعادة والنشوة والجمال ، حسبهم في ذلك الشعور باللذة النفسية التي تولدها فيهم أمزجة خيالية غامضة [1] .

ولم يكن هذا الاتجاه الرمزي جديداً في الشعر العربي ، وإنما سار الشعراء الفلسطينيون على خطى إخوانهم العرب في التعبير عما لم يستطيعوا أن يبوحوا به ، ويبقى الرمز وسيلة من وسائل التعبير غير المباشر عن الآراء والأحاسيس المستترة ، التي تعجز اللغة ودلالاتها الوصـفية عـن التعبير عنها[2] .

وكان الشعراء الفلسطينيون قد مروا بظروف صعبة وحرجة لا يستطيع الشاعر أن يجهـر أو يصرح بما يشتهيه من أفكار؛ لأن الاحتلال الصهيوني يطاردهم ويكتم أنفاسهم ، كما كان يعتقـل ويحاكم ظلماً على قول من شعر أو نثر . فلجأ كثير من الشعراء الفلسطينيين إلى الرمز . فالشاعر رفيق أحمد علي يرفض الاحتلال الصهيوني في الأرض فلسطين ، ويطالعه أن يعود هذا الغاصب إلى أرضه التي قدم منها ، فهو لم يخاطبه صراحة ، وإنما وجه خطابه إلى المذنب هـالي الـذي يظهر في السماء كل ستة وسبعين عاماً . ويبين أن هذا المذنب قد ضل طريقه وسلك طريقاً أخرى واستقر في مدار غير مداره فيقول [3] :

هالي غريب في النجوم يجيء من
جوف الفضاء
يعود بعد متاهة الدوران من غير اهتداء
للأرض يتخذ القرار
بأن تكون هي القرار
وأنه لابد أن ينسى المدار

(1) مفيد محمد قميحة : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، 101 .
(2) نبيل أبو علي : اتجاهات القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسلو ، 314 .
(3) رفيق أحمد علي : ديوان خيوط الفجر 7 .

وحنينه أبداً إلى ذلك المدار

فمضى يفتش عن سماء تلتقي

بالأرض ماذا قد بقي ؟

بعد انحراف النجم عن أصل المسار ؟

ويطالب الشاعر هذا المحتل الغاصب الصهيوني لأرضه ووطنه من حيث أتى ، وألا يعود ثانية ، فليس الانحراف نحو مسار آخر يعني أن المسار الجديد صار ملكاً لمن ينحرف . فيقول الشاعر رفيق أحمد علي (1) :

هالي ابتعد .... هالي ابتعد ....

ما أنت نجم الصباح يتلوه النهار

ما أنت غير مذَنب

قد حاد عن أصل المسار

تتعجل التكوين نجماً واقتربت لنبتعد

فارجع لأقصى نقطة

منها أتيت ولا تعد

هالي فلا أهلاً بضيف لم يجِر

أهلاً ولا قد صان دار

هالي ابتعد ولا تقترب من حومتي

واترك يدي فيها الزمام اترك يدي

كيما أكمل رحلتي

أما الشاعر صلاح الدين الريماوي فيعبر عن رفضه المطلق للوجود الصهيوني في فلسطين واتجه في قصيدته "آمالها آماليه" وجهة رمزية ، وإن أبدى الشاعر ترحيباً ليناً بهذا الجار الجديد الذي يطمح في ابتلاع كل شيء ، فيعرض الشاعر الصهيوني المهاجر إلى فلسطين في صورة حمامة تريد أن تستجير به في بيته فيقول الشاعر (2) :

يمامةٌ حطتْ على

شباكيه

أتت لتبني عشها

في الزاويه

---

(1) السابق ، 9 .

(2) صلاح الدين الريماوي : ديوان من محاسن الطبيعة ، 6 .

نظرت إلي بعينها
متسائله
إن كنت أقبل بيتها
بجواريه
قلت لها
نعم الجوار جوارك

ويعرض الشاعر على الحمامة أن تعود إلى طبيعتها وإلى بيتها ، وأشار عليها أن الحمـام لا يعيش إلا على الأشجار ، وطلب منها أن تعود إلى السروة ، وهذه الـسروة تـشير إلـى وطنـه الأصلي الذي قدم منه . فيقول [1] :

لكنما السروة
تلك العاليه
فيها الملاذ
من العيون الرانيه
والعيش فيها نعمةٌ
ورفاهيه
وبها النسيم
يهز عشك حانياً
عند الصغار
وأنت عنهم نائية
وتعيش في كنف الطيور
سعيدة مسرورة
وعن غيابك لاهيه

ويظهر الشاعر هؤلاء الصهاينة وكأنهم تعرضوا للظلم والقتل من حكومات العالم ، التي لـم تجد إلا أرض فلسطين ملاذاً لهم . وكانوا يعيشون قبلها بسلام وأمن فـي ديـارهم وأوطـانهم ، وتصف له الحمامة ما تعرضت له من قتل ، وأنها ترغب في الإقامة بجواره ، لكن الشاعر – كما يظهر – يبدي الشاعر تعاطفاً معها ، وهذا يعبر عن الظلم الذي يلقاه الشعب الفلسطيني على أيدي هؤلاء الحاقدين . فيقول معبراً عن الظلم الذي يتعرض له الشعب [2] :

(1) السابق 6 ، 7 .
(2) السابق ، 8 .

قد كان عشي سابقاً

في روضةٍ متعاليه

فيها العشاش الآمنه

وفوق تلك الرابيه

فداهمتنا ثلة

من الجناة العاتيه

فجندلوا كل الشجر

ليغرسوا الكراهيه ! !

إن الشاعر صلاح الدين الريماوي يظهر أطماع الصهاينة في أرض فلسطين ، وسيلان لعابهم عليها ، حيث أصبحت أرض فلسطين فريسة لهؤلاء الحاقدين الذين تعاطفت معهم معظم شـعوب الكون . واستطاعوا أن يقيموا دولتهم المشئومة على التراب الفلسطيني بطريق التودد إلى شـعوب الأرض أولاً ثم بالقوة مرة أخرى . وقد انطبق القول "أعطي مـن لا يملـك لمـن لا يـستحق" . يستكمل الشاعر قوله عن رفضه لهؤلاء الصهاينة (1) :

ولقد

أتيتك راجيه

وإلى جوارك ساعيه

فلن أعود على أولاديه

قلت لها

في رقةٍ

إن كنت تخشين الشجر

من الأيادي الباغيه

أهلاً وسهلاً

غادتي

فإن بيتي من حجر

يرد عنك العاديه

آمالك آماليه

في أن نعيش حياتنا

بسعادة ورفاهيه

---

(1) السابق ، 8 ، 9 .

لقد جاء الشاعر برموزه من الطبيعة ، وهذه الرموز تحمل دلالات وإيحاءات عظيمـة تـدل على رفضه للاحتلال والوجود الصهيوني في فلسطين .

كما يبين الشاعر صلاح الدين الريماوي عيشه الكريم في وطنه الذي هو شـجيرة فروعهـا بيديه ليحتمي بها ، ويشعر بالسعادة في أحضانها ، فهو يعبر بالرمز عن الوطن بالشجيرة وعـن نفسه بالعصفورة فيقول [1] :

شجيرة زرعتها
لأحتمي بظلالها
عصفورة هرعت إليها
صارت ترفرف حولها
شجيرتي بشت لها
وأسكنتها حضنها
أغصانها فرحت بها
من حبها رقصت لها
فاستأنست بحفيفها
وغدت تمارس بثها
كل العنادل حولها
صدحت تردد لحنها
فتناغمت أصواتها
نعم الملحن ربها

كما يبين أن الثعابين لم تترك هذه العصفورة لتعيش سعيدة في شجيرتها ، وإنما طاردتها ، فلم تجد وسيلة إلا الدفاع عن أطفالها وترفض الاستسلام ، وكان يشير بالثعابين إلى الصهاينة الـذين استوطنوا هذه الشجيرة . فيقول [2] :

إن أفعى رامت غزوها
تذود عن أطفالها
تأتي لها بجموعها
لا تقبلُ استسلامها
فهي التي قد اعتدت

---

(1) السابق ، 73 .

(2) السابق ، 80 .

لابد من إعدامها
سلاحها منقارها
به تمزق جسمها
صغيرة لكنها
قوية بحقها
تحب مسقط رأسها
وتفتديه بنفسها

ويرمز الشاعر صالح فروانة إلى قدوم اليهود من شتى أصقاع الكون واستيطانهم في فلسطين بالحيتان التي تستطيب لحم الإنسان ، كما يشير إلى تراجـع الأرض والـسكان والتهـام الأرض الفلسطينية ، وقتل اليهود الصهاينة للشعب الفلسطيني فيقول [1] :

يحكي أن لفظتْ أمواج البحر
على شاطئ غزةَ
حوتاً
كان الحوت ضعيفاً منزوع الأسنان
هرع السكان
فرحين بمرأى الحوتْ
لم يشهد أحد في غزة يوماً حيتان
ثم توالت أفواج الحيتان
من كل بلاد التيهِ
كما الطوفان
فانكمش السكان
لأن الحيتان القادمة من التيه
تستمرئ لحم الإنسان

فاستخدم الشاعر الرمز وأشار بالحوت الأول الضعيف إلى وفود اليهود الأولى القادمة إلـى فلسطين ، حيث كان بإمكان العرب أن يقضوا عليهم ، ولكن الضعف والجبن جعل هؤلاء اليهـود يهاجرون إلى فلسطين كالحيتان ، وقد أخذوا يقتلون الإنسان ويستولون على الأرض .

وعند الحديث عن الإنسان الفلسطيني الذي اقتلع من أرضه وهجر من وطنه يستخدم الـشاعر رموزاً كثيرة للتعبير عن رفض استقباله وإقامته عند أشقائه وإخوانه في البـشرية ، فهـو سـفينة

(1) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية 6 .

رفضتها كل الشواطئ ، بل وقطّع بحارتها كل الحبال حتى لا يبقى له أمل في النجاة أو الإقامة - على الأقل – في بلاد هو لا يحبها ولا يتمنى أن يقيم فيها . ويعبر الشاعر رزق البياري فيقول في قصيدته "خريف البحر" (1) .

البحر تهجره الريح
يستكين في أحشائه الزبد ..
السفن أنكرتها الشواطئ
والنوارس في الأفق عاصبة الجبين تنتحب ...
بحارة الشيخُ يقطعون حبال الشراع
النوتي يسجى فوق القرايا (2)
واللاهثون وراء خبزهم ..
يغرقون كسفن الورق ...

ويتابع الشاعر وصف المعاناة في الشتات الذي تحولت فيه الألوان إلى دماء حمراء ، وهذه الدماء ترمز إلى المذابح التي مارسها الأشقاء ضد أبناء الشعب الفلسطيني ، وظلت حياتهم في النهاية محرقة كمحرقتهم في فلسطين على أيدي الصهاينة . ويقول الشاعر(3) :

الشارة الحمراء ..
تُوحد ألوان المدينة ..
الحالمون بذكورة البحر
يساقون إلى المحرقة ..
العازفون لنشيد الريح
تُحرقُ أكفانُهم ..

وفي نظر الشاعر تبقى الحياة مدينة للاهين تغرق بين يديهم ، أما التائهون فلا حظ لديهم في هذه المدينة ، وإنما يساقون إلى الموت بعد أن تدوسهم الأرجل والمراحل . ويقول الشاعر معبراً (4) :

مدينة الإمام ..
تغرقُ في أحضان اللاهين
في غفوةِ القمر ..

---

(1) رزق البياري : ديوان وجهان ، 5 .
(2) القرايا : مفردها قرية . وهي كلمة من تراث البحر تعني المكان الذي يثبت عليه ساري المركب .
(3) رزق البياري : ديوان وجهان ، 6 .
(4) السابق ، 7 .

والتائهون في القداس الدائم

يعبأون في توابيت المرحلة ...

أما الشاعر يونس أبو جراد فيبين أن الوطن سيضيع ويفنى بعد أن يقْضى على باقي شـبابه الزاهر ، وسيصبح ماضيه وحاضره غناء للطيور . وهو يستخدم الزهر للشباب وفقـدان الـوطن بفقدان الشمس فيقول [1] :

حقداً ستشنقه

يد حمقى

كما ، من قبلُ ،

آلافَ الزهور

ويد ستطفئ شعلةً

غمرت قتام الأرضِ

أسراباً وحور

ويد

ستكسر نايه الشادي

على أفنان ماضينا

وحاضرنا ،

بآمالٍ تغنيها الطيور

إنا سنفقد شمسه

ويرمز الشاعر عاطف أبو حمادة إلى ضياع فلسطين بسفر حليمة إلى أرض غير أرضـها ، وأن الأرض الفلسطينية قد تغيرت لغتها وحروفها بحروف أخرى . فيقول فـي قـصيدته "عـودة حليمة" [2] :

عندما سافرت حليمة

من الأرض إلى مجرتها البعيدة

أضاءت نجمتان من سلالات غريبة

في عتمة القلب

واهتزت قلادة اللغة

وربتْ

---

(1) يونس أبو جراد : ديوان أنات القمر ، 36 .

(2) عاطف أبو حمادة : ديوان مراسم حلول الروح ، مطبوعات اتحاد الكتاب الفلـسطينيين ، الطبعـة الأولـى ، 2000 ، ص 20 .

فانبتت في جسد الحروف
حروفاً جديده

وكان الشاعر يشير إلى قدوم اليهود من أراضيهم وأوطانهم إلى فلسطين أرض الشعب الـذي اقتلع من جذوره .

كما يعبر الشاعر عن شدة شوقه وحنينه إلى حليمة "فلسطين" وأنها ما زالت في قلبه لا تفارق خياله ، فارتباطه بحليمة ارتباط الروح بالجسد ، فيقول في نفس القصيدة [1] :

ولم ترحل
حليمة من عيوني
لنبض القلب
تسكنني
وتزرع نورها منارة
في سؤالي

ويتابع الشاعر تعلقه بوطنه ، وأن الوطن يناديه ، ولا يستطيع الشاعر أن يتأخر عـن تلبيـة النداء ، فيسرع إليها ممتطياً فرسه . فيقول [2] :

تناديني حليمة
بصوت من شذا الضوء
بكحل عينيها
فيغسلني النداء
من غبار
من سراب
في كياني قد تمطّى
أمتطي فرس النداء
مسرعاً
نحو الصدى
ألملم ما تناثر من شظايا الروح
أعجن الأشلاء بنور من دمي
أنفخ من مهجتي

---

(1) السابق ، 2. .
(2) السابق ، 29 ، 30 .

وبتلك الرموز استطاع الشاعر عاطف أبو حمادة أن يعبر عن شدة ارتباطه بوطنه ، وأنه لن ينساه ما دام الدم يجري في عروقه .

وفي قصيدة "نخيل" للشاعر ناصر رباح يظهر الشاعر حباً للوطن وأملاً في العـودة إليـه ، ويرمز للوطن بحضن الأب ، وللمأوى بعباءته . فيقول [1] :

يوم اشتاق الطفل الموغل في قلبي

لطلوع الشمس ،

لحضن أبيه ،

وأن تأويه عباءة همس ،

كان الليلك .. .. مات

جئت أواسيه ..

وقلت له : لا بأس ،

النخلة أجمل

ويستمر الشاعر مغنياً للوطن الذي هو شهد الحـب وفراشات زاهية ، وهو لا يطيـق البعـد عنه ، بل ويستذكر أيامه وحياته في ربوعه ، ويرى أن الأيام التي تمر عليه وهو خارجـه أيـام صعبة ، بينما يطالبه الآخرون بالتحمل . فيقول [2] :

غنيت : أيا نخلات الفلاحين ،

ويا نخلات الفلاحين ، ويا ..

يا شهد الحب الأولْ ،

يا زهو فراشاتٍ غازلها ركض الأيلْ

يا عيناها الأرض ،

ويا عيناك الرحلْ

كنْتُ أُسر :

وما أصعب يوم تجوع الروح

فتأكل نفسك

ويقولون : تَحملْ !!

ويعلن الشاعر ناصر رباح أن العالم بأسره صار أصـم ، بعـد أن تـساءل عـن الـصوت الفلسطيني الذي صار كالآلة الموسيقية البكماء ، وأنه صار يغرد خارج سربه ، ويطالبه بعـزف

(1) ناصر رباح : ديوان الركض خلف غزال ميت ، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية ، الطبعة الأولى ، 2003 ، ص 21 ، 22 .

(2) السابق ، 22 .

الألحان السوداء ، لعل أحداً يسمع صوته ويرق لندائه أو يشهد أنه معذب ، ولا ناصـر لـه مـن البشر . يقول الشاعر [1] :

هل كانت حقاً بكماء كمنجتك المرهقة .. ؟!
أم كانوا صماً مستمعيك .. ؟ !
وأنت طوال اليوم
تواصل عزفك منفرداً ..
تواصل الطأطأة .
- ماذا تعزف .. ؟ !
- لحن الوقت .
- اعزف لي لحناً أسود .. ؟
- أعزف لك .
يا عازف الصباح
من تراه يسمعك
ومن ترى يقولها "أعد"
ومن .. يقولها "كفى"
كمنجة معذبة .. كمنجتك

استطاع الشاعر بهذه الرموز أن يعبر عن تنكر هذا العالم لحقوق الشعب الفلسطيني ، وإنكاره وجوده ، وكتم أنفاسه وصوته الذي لم يعد مسموعاً ، وفي النهاية يقولون له بلسان الخجـل "إنـك مظلوم معذب" .

---

(1) السابق ، 43 ، 44 .

الفصل الثالث

الاتجاه الرومانسي

سيطرت الكلاسيكية على الآداب العالمية قروناً طويلة ، وأخضعته لقواعد صـارمة فـي الصياغة والتقليد والمحاكاة ، كما جعل الشعراء الكلاسيكيون العبارات الفصيحة ونقل المعنى نقلاً حسياً نهجاً مسيطراً على الأدب القديم ، واهتموا بالأسلوب والتقليد في الـشكل والبنـاء. وابتعـد الشعراء الكلاسيكيون عن العواطف الجامحة والخيال الواسع ، فقد كان همهم إيصال أفكارهم إلى الجماهير .

وقد جاءت الرومانسية ثورة على الكلاسيكية في شكلها ومضمونها ، وكانت تعبيراً عـن أحزان الإنسان وأفراحه ، وظهرت عناصر الإبداع والتجديد في أغراض الشعر والتغني بجمـال الطبيعة التي رأى فيها الرومانسيون مجالاً واسعاً للتعبير عن آلام الحياة وقسوتها . وكانت لغـتهم ملائمة للعصر الذي يعيشونه . كما ساعد التحرر من الشعر التقليدي المألوف في حريـة التعبيـر عن العواطف والأفكار ، وهذا الخروج الشكلي ليس جديداً على الشعر العربي ؛ لأنه معروف فيه منذ قرون طويلة ، إلا أن الشعراء الرومانسيين عادوا إليه وأحيـوه بعـد أن كـان فـي حيـز الإهمال (1) .

انطلق الشعراء الفلسطينيون يعبرون عن قضايا وهموم شعبهم الذي التفت عليـه شـعوب المعمورة ، ورضيت بما لحقه من عذاب وقهر وتهجير . وثاروا علـى الموضـوعات التقليديـة كالوصف والرثاء والمدح ، واهتموا بالجانب الروحي والنفسي ، وظهر هذا الجانب في أشـعارهم بعاطفة قوية وإحسـاس شديد . يقول الشاعر مصطفى عثمان الأغا في قصيـدته "أشعارنا ولدت هنا" (2) .

بيني وبين الشمس قافلةٌ
من الشهداء
بيني وبين المجد شلالٌ
من الحناء
دمنا على الأسفلت يشهد
إننا قلنا لهم
لا
لن تمروا

يعبر الشاعر عن قوافل الشهداء وعن الدماء التي ملئت الطرقات ، ويظهر بلسان التحدي إحساساً قوياً بأن الصهاينة لن يمروا ولن يتمكنوا من الهناء في أرض فلسطين ، ثم يتابع الـشاعر

(1) مفيد محمد قميحة : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، 69 .
(2) مصطفى عثمان الآغا : النورس ، 23 .

حديثه عن دماء الشهداء على الأسوار ، وأنه لم يعد يخاف من رصاص الغدر ولن يحني هامتـه هذا الهجوم الشرس . فيقول [1] :

دمنا على الأسوار يشهد

أنّ لحن القدس مر

دمنا على شوك السياج قصيدة

لحن يجدد في دروب الشوك

أمجاد العرب

سدد رصاصك نحو رأس صغيرنا

لن ينحني

سدد رصاصك نحو مئذنة الشموخ

فهامتي لن تنحني

سدد جهنمك الجبان إلى المدينة والمخيم

وليست الهجمة الصهيونية على الإنسان الفلسطيني صغيره وكبيره ، وإنما الهجمة علـى الـشجر والطير كما الإنسان ، والشاعر يبشر كل الكون أنه باق وصامد في أرضه ببقاء الزيتون في أرضه سوف يظل يقاوم . ويقول [2] :

سدد جحيمك للحقول

سدد جحيمك للنخيل

لن ينحني .. لا

لن يميلْ

إن هنا ..

أشعارنا ولدت هنا

أشواقنا ، أحلامنا بدأت هنا

ولنا هنا

كل العصافير الجميلة والغناء

ولنا هنا

كل البنفسج

والصنوبر

---

(1) السابق ، 23 .

(2) السابق ، 24 .

والفراشات الشقيةْ
ولنا هنا .. زيتونةٌ
شهدت تواريخ الجرائم
لكنها ظلت تقاوم

استخدم الشاعر في قصيدته شكلاً جديداً من الشعر الحديث يعتمد على التفعيلة ، وتخلص من الشعر العمودي حتى يستطيع أن يعبر عن عاطفته وتجربته الشعرية ، فظهرت عاطفته قوية شديدة الحساسية ، فهو يبين الدماء التي سالت على الأسوار والأشواك ، وهي تمثل أملاً له بالصمود والمقاومة ، فلا يخشى هذا العدو الحاقد ، ثم بنى أحلامه وأشواقه وتعلق بها ، وذكر جمال الطبيعة وعناصر الصوت واللون بما تبعثه العصافير من غناء والفراشات من حركات راقصة ، وأشهد الشاعر الزيتونة على جرائم هذا العدو الغاشم .

وفي قصيدة "بكائية العودة" يتحدث الشاعر عن الغربة وعن أمل العودة إلى الوطن ، فهو عصفور مهاجر انتقل في كل البلاد ، وعاد إلى بلاده من الشتات وهو لا يزال يحمل في ذاكرته ذكرى الأمسيات فيقول [1] :

وتعود تحملنا القصائد
نحو غربتنا الجديدة
الآن نقتل ما تبقى
من عذابات القصيدة
كنت أحلم أن أعود لكي أغني
مثل عصفور مهاجر
أكملَ الترحالَ في كل البلاد
ثم عاد
يرسم الألحان في كل الحناجر
ثم عاد محملاً بالذكريات
عن بلاد في الشتات
عن مئات الأسيات

لكن العودة إلى الوطن قضت على الحلم الجميل ، وصار الشاعر يغتال قصيدته والفراشات التي ترفرف على الجليل ، وهذه القصائد والفراشات روتها دماء الشهداء . يقول الشاعر في نفس

---

(1) السابق ، 25 .

القصيدة [1] :

لكن عودتنا الغريبةْ
بددتْ حلمي الجميل
ورأيتني أغتال فوق قصيدتي
اسمي
ورسماً في الإطار لطيف جدي
والفراشات التي رفت على ورد الجليلْ
هذي القصائد كم تَغَنتْ بالجليلْ
هذي القصائد كم تراحم فوقها
مليون ثائر

وكانت الرحلة إلى الوطن جميلة يخالطها حلم بالحرية في التحليق والغناء ، لكن السماء لم تكن ملك ذلك الذي يحلم بالحرية والغناء ، وإنما كان كل شيء ملك الآخرين الذين يسيطرون على الأرض والسماء . فيقول [2] :

الآن تتركني .. وتتركني الدفاتر ،
الآن أبدأ رحلتي ....
كم كنت أحلم بالوطن
كنت أحلم أن أغني
أن أحلق في سمائي
بين أسراب السنونو
كيف يا صحبي أطير
وسمائي صار ملك الآخرين
كنت أحلم
أن أسقي ورودي بيدي
كيف أسقيها دمائي
صار ملك الآخرين
كنت أحلم.......

---

(1) السابق ، 25 ، 26 .
(2) السابق ، 26 .

ويظل الوطن إنساناً شاخصاً في قلب الشاعر ، فلم يعد يجد غصناً ليغني ، ولم يكن الشاعر عصفوراً وحيداً ، بل غادرت كل الطيور ، ثم يبين أن كل رهان سقط بعد أن ظن أنه سينسى وطنه ، وسيرحل إلى وطن غيره ، ولكنه سيظل متمسكاً به بالرغم من النفي والقيود . فيقول الشاعر في قصيدته "وأظل أحترف الجنون" [1] :

يا أيها الوطن الجميل
ما عاد لي غصن لأشدو فوقه
ما عدت أحترف الهديل
كل الحمائم سافرتْ ..
وبقيتُ وحدي بين أنياب الرحيلْ
يا أيها الوطن الجميلْ
كل الأحبة راهنوا ..
أني سأرحل عن ربوعك
نحو منتجع بديلْ
لكنني
رغم التمزق في انتظار المستحيلْ
وبرغم أسوار المنافي والسجون
سأظل أبحر في عيونك جمرةً
سأظل أحترف الجنون

وفي قصيدته "الخارطة" يطالب الشاعر طفلة بأن ترسم صورة الوطن والقدس في قلبه كالسنابل والبلابل ، وأن تزرع الأعلام في مداخل الشوارع ، ويبشر الشاعر بأن الصهاينة لن يطول احتلالهم ، وسوف يعود إلى الوطن بمقاومة أطفال الحجارة . فيقول [2] :

هيا ارسمي الوطن الجميلْ
هيا ارسمي القدس الحزين
ولترسميه سنابلاً
لترسميه بلابلاً
ولتزرعي اسم الشهيد
علماً على صدر الشوارع

---

(1) السابق ، 33 .
(2) السابق ، 37 .

- آهٍ لن تكفي الشوارع
- فلتكتبيه على السنابلْ

ولتعلمي يا طفلتي ..

لن يهنأ الأوغاد فوق ترابه

ولتكتبي فوق الخريطة ما يلي :

سنعود يا وطني قريباً

والحصى بدأت تقاتل

حتى الحصى بدأت تقاتل

أما الشاعرة كوثر الزين فتظهر الجراح على وجه الوطن حيث تسافر الأحلام ، وأصبحت عصفوراً هجر عشه ، ثم تبحث عن وطن يضمها لكي تعيش عيش السنابل على الماء ، فكل شيء قاتم ولا يوجد إلى العذاب . فتقول [1] :

جرح على وجهيك يا وطني

وأحلام تسافر

وأنا وهذا الناي عصفور مهاجر

أعشاشنا صارت يباباً

وحدي وهذا الناي نبحث عن سماء صادروها

عن سحاب يحتوينا ثم يرشَحنا

فنحيا في السنابلْ

عيد نطارده على قوس قزح

وسطوع هذا الليل يعمينا

وعين النار تلهمنا البكاء

وتتحدث الشاعرة عمن يعيد الحياة والحرية إلى الوطن ، ويحقق أحلام المهاجرين في المنافي إلى الوطن . فتقول في قصيدة (البوم) [2] :

بستان قلب والصحاري حوله تعدو الخطي

مازال في عمر الظهيرة يرفض الموت السدى

من ذا يعيد له الربيع

تاجاً من الأحلام من صحو المرايا

(1) كوثر الزين : ديوان شاهد على العصر الحجري ، 12 .

(2) السابق ، 12، 13 .

أو شعلة الأمل المحنّطِ في دفاترهم
وفي كهف القضايا

وتعبر الشاعرة عن اليأس والخراب الذي يسيطر على الأنفس ، وجعلته الشاعرة كالنوم الذي يغرق هذه الأنفس ، وما علينا إلا الاستسلام والقبول . فتقول في نفس القصيدة "البوم" (1) :

واليوم قبلتنا
يفرّخُ في خلايانا ويسكننا
يعشش في مدامعنا
يكفر عن خطايانا ، يبرئنا
فيغرقنا السبات
للبوم تفتقر الصلاة
للأشعث المنحوس جلاب الرزايا
اركع ، تطهر وألقِ صخر ذنوبنا على مقلتيك
ودعنا للحساب بلا قناع
يا بوم يا منحوس يا بئر الخطايا

وفي قصيدة "شرفتان" تستحضر الشاعرة عناصر الطبيعة الجميلة لتعبر عن الذكريات والحنين للوطن ، فتحل العينين مقلة للشروق ، والأصيل يغني لهؤلاء العابرين ، وترسم صورة جميلة لمنظر الفرح والسعادة عندما يكون اللقاء مع الوطن ، فتقول (2) :

عيناك تتقنان لعبة الفرح
وترسمان مقلة الشروق في دمي
وللأصيل فيهما غناء العابرين
فهاتِ كف قلبك الكبير
لأسند الشموع
ولا تحاول كسر ما لدي من عبير
فحين أرتئي خريطة اللقاء
على تخوم الذكريات والحنين
وموعد الطيور ، كن معي
لأتقن الفرح

(1) السابق ، 13 .
(2) السابق ، 9 .

وتواصل الشاعرة رسم صورة الوطن الجميلة فتجعل له مقلتين كصدر الأم ليبقى عطاؤه مـستمراً مثل الزهر والعسل ، وأما تربته فهي تراب يتمسح بتراب ، وأما المقلتان فهما مرفأ الأمان وساحة الفرح ، وتظل الصورة في نفس الشاعرة ماثلة لا تريد أن يعصف بها أحد حتى يكتمـل فرحهـا بالوطن . فتقول (1) :

أدمنْتُ مقلتيك مثلَ صدرِ أمي المعطر القباب

مغمساً بطعم ماء الزهر والعسل

ومثلما تمسح التراب بالتراب

على مشارف الوداع والغياب

وما تبقى لي سوى أريج ذكرياتْ

ومقلتين : مرفأ الأمان

وواحة الفرح

فلا تذرني للرياح ، كُن معي

لأتقن الفرح

وصورة أخرى جميلة ترسمها الشاعرة كوثر الزين تظهر جمال الطبيعة في الوطن حيـث يغمر السحاب أجواءه ، وأما ظله فوارف ، تجعل هذا الجمال الإنـسان محبـاً للغنـاء الـسهر ، وتضحي الشاعرة بدمها وغناها ليبقى الفرح متواصلاً . فتقول في نفس القصيدة (2) :

أحب فيك غيمك المشحون بالمطر

وظل سنديانة تنام في العراء

وتعشق الشهر

فهات بعض ما تبقى من غناء

وخذ دمي

وحفنة من الحنان في فمي

لنتقن الفرح

وعند الشاعر عبد الله حسين كراز صورة جميـلة للوطن يعبر عنها بأسـلوب وجـداني رقيق ، في هذا التعبير إثارة للمشاعر والأحاسيس ، فهو يخاطب سيدة حمقاء يطلب منها أن تفتش حقائبه وتقرأ وتقلب أوراق تاريخه التي تشير إلى ثباته في هذه الأرض . لكن هذه الصورة قاتمـة

---

(1) السابق ، 10 .

(2) السابق ، 11 .

وحزينة ؛ لأنه يرسم مشهداً حزيناً للطبيعة التي هي أم للشاعر الرومانسي . فيقول في قصيدة "خطاب إلى سيدة غربية" [1] :

أيتها المسكينة الحمقاء
فتشي حقائب أمتعتي دون حياء
تصفحي أسفاري فكل ما فيها رثاء
قلبي أوراق تاريخي
واقرأي فيها ما يلي
برنا مجد هوائنا
بحرنا عطر مياهنا
جونا فضاء مستباح القرصنة ...
أيتها الغريبة ...
الشمس الطريدة غسيلة الموتى
عرشها الأعلى في مهرها الأغلى
الشمس شريدة دثّرتها السحب
نورها الأسمى في تاجها الذهب
الشمس الغريقة زملتها الشهب
يغني لها طفل الحجر...
يا شمس كوني على مرمى البحر
يا شمس اقتربي ... قبلي أصابع أمي
ثم اعتلي عرشنا الأبهى ...

إن الشاعر يظهر في قصيدته السابقة لوعته وأساه على وطنه الجريح الذي أصبح جوه مستباحاً وشمسه طريدة تغرق بين الشهب ، وقد استطاع الشاعر أن يمزج هذه العناصر بنفسه ، وأن يوضح تجربته العاطفية .

ولا يتوقف الشاعر عن إرسال الرسائل إلى نساء العالم ، لعل هذا العالم الذي نام رجاله أن يستيقظ نساؤه ، لعله يجد عندهن تفهماً لحياته التي أصبحت جحيماً في الشتات ، وما زال الشاعر يمزج عناصر الطبيعة بنفسه ، حيث تظهر أنفاسه الحارة إلى وطنه الذي لم ينس أي ركن أو مكان فيه، فيقول في قصيدته "رسالة صمت إلى امرأة مجنونة" [2] :

---

(1) عبد الله حسين كراز ، ديوان البحر .... حوار امرأة ، 5 ، 6 .
(2) السابق ، 11 .

الصمت لا يغادر أدغال كلامي
الصمت أقوى من ضجيج السابحات في فضاء لا يعرفني
الشمس خجلى من سحب يراقصها هوائي
تدثّرها أسراب بيضاء تعاوني
تلهو مثل أفكاري
في سماء الغريبة
لكنها تعاند أسرار الفكر ...
الصمت يكسو شواهد صمتي
يغير ما كان خيالي يداعبه
لكني أعشق بحراً يحلم في جسمي
يرسل مع برق موجاته
أحلام أكبادي التي تنهض مثل الجبل

ويواصل الشاعر خطابه إلى تلك المرأة المجنونة ، ويطالبها بأن تنظر إلى شقائه في المنافي وإلى عيونه التي لا تروق لعيونها الغريبة . ثم يذكر قسوتها التي انفردت بها عن سائر النساء اللاـ واتي عرفن برقة المشاعر والرأفة بالبشر . فيقول في نفس القصيدة (1) :

أيتها المجنونة في رجولتي وأقطاب الهوى
يا طفلة لم يكتمل حوضها العذري
أبصري ملامح وجهي
تلعن كفر الزمن ..
دققي في خلايا عيوني
تزدري ملامحك الغريبة
اقرأي أسفاري التي أنكرت
أسماءك الأولي ..
لست بنادم لأني
لم أبصر ملامح النساء في شفتيك الناعستين ..
لا يضير سجل الغرباء

(1) السابق ، 12 .

ولم تعد هذه المرأة الشريرة تخطى باحترام الشاعر ؛ لأنها تمثل التصدي لحقوقه ونيـل حريتـه ، فهو يجعلها خريفاً بين النساء الأخريات اللواتي هن باقي فصول السنة ، ثم يرسم الشاعر صـورة رقيقة للطبيعة وقد اختلطت عناصرها مع بعضها بعضاً في منظر طبيعي جميل . فيقول [1] :

يا ابنة الأنوثة التي تلعن يوم ميلادك
يا ابنة الأحلام التي تموت في موت صوتك
دعيني أرسم خارطة المليحات العذارى
واستثني من تضاريسها الخضرا
فصل الخريف الذي يغطي جدائلك القبيحة
كل عصفورة وعامها على شجر
تراود الفروع ونحن الشجر
تراوغ الهواء
تداعب السماء
تراقص أسرار عيوني
ثم تهبط آمنة فوق بروج أكتافي
رشيقة الخطو
خفيفة الروح
والمكان بين القبل وفوق الأجنحة ..

ومن القضايا الهامة التي تناولها الشعراء في دواوينهم قضية الفقر والجوع ، فقد تحكمـت مجموعة صغيرة في أقوات الناس ، وبقيت أغلبية جائعة يسيطر عليها الجوع والشقاء ، واتـسعت الهوة بين الفقراء والأغنياء ، ولم يرق للشعراء منظر جماهير غفيرة حرمت من أبـسط حقوقهـا الإنسانية ، كما يذكر هؤلاء الشعراء بأن الفقراء هم الذين يبنون مجد الأغنياء .

وكان الشاعر محمد محمود عبد الرحيم مهدي ممن لفتوا الأنظار إلى الفقر المدقع الذي يغـرق فيه كثير من الناس في شعبه ، حيث صار القمح عزيزاً مختفياً من السوق السوداء ، فـي حيـث يظهر فيه الدجالون ويعدون بخبز وحلوى . يقول الشاعر في قصيدة "أزمان" [2] :

في أزمانٍ صار القمح عزيزاً
اللقمةُ تطوى في أثوابٍ سحريه
والحنظلُ والصبار

(1) السابق ، 12 ، 13 .

(2) محمد محمود عبد الرحيم مهدي : ديوان طرقات على جدار الصمت ، 53 .

يترعرع في أحضان الأشواك البريه

والحنطة في السوق السوداء مخفيه

والعفريت الدجال يراود أماً مزويه

عندي خبز للأطفال الجوعى

عندي حلوى للأيتام الجرحى

يا أم الأطفال الثكلى

يظهر الشاعر في هذه الأسطر الشعرية حزنه الشديد على الجوعى الذين حرموا من رغيف العيش الكريم ، وينظر إلى الأفواه الجائعة التي تبحث عنه وتنتظره بشغف . وكأن الشاعر يـسأل عـن العدالة التي غابت من موازين الأقوياء الذين يتحكمون في مصائر الشعوب المغلوبة .

يتابع الشاعر حديثه في قصيدته "أزمان" ويذكر أن الخبز صار في أيدي السماسرة الـذين غادرت الرحمة قلوبهم وتحجرت عواطفهم ، وبقي الجوع والفقر من نصيب الأطفال في أزمـان سادت فيها شريعة الغاب . فيقول [1] :

في أزمان صار الخبز البلدي عن السمسار

والطفل الباكي لا يعرف أسماً أو عنوان

والعتمة تأكل أطفال الأحفاد وأطفال الجيران

في أزمان حبلى بالرعب ذئاب تضرب أخماساً في أسداس

وإذا مات الطفل جوعاً فإن أمه تموت مرتين ، تموت حسرة وألماً عليه وتموت جوعاً مثله ، فـلا زال لديها أمل في وجود بعض فضلات الطعام التي تأتي بها الأيام من بقايا المحـسنين ، ويبقـى حزنها مسيطراً على وجدانها ، ونفسها تموت قهراً مما تحمله الأخبار عن مستقبل يفقد فيه الحكيم صوابه ، فيقول الشاعر محمد محمود عبد الرحيم مهدي في قصيدة "المستنقع" [2] :

والأم السهرا فوق الشوك

جلست في أبواب الآهاتْ

تستجدي بعضاً من فضلات

شيئاً من باقي الأيام

أصغت في شك للريح العاصف

سمعت منه كل الأخبار

فغرتْ فاها مشدوهه

(1) السابق ، 55 .

(2) السابق ، 71 .

هزتها ريح عاتية

أما الشاعر زكريا محمد فإنه يبين قسوة المحتل الذي يفرض الجـوع والحـصار علـى ضحيته ، فهو لم يتركه يأكل ويعيش كما تعيش الأمم ، ولم يمنعه حتى يموت كمـوت الملايـين جوعاً في أفريقيا ، ويرمز الشاعر بالجدي عن الشعب ، والمعـزاة مـصدر الغـذاء والطعـام ، والشاعر يرفض هذا السلوك الذي يمارس ضد المقهورين والمعذبين ، ويرفض الصراع على لقمة العيش بين البشر أو نكران البشر لنعمة الله عليهم ، فيقول الشاعر في قصيدة "الحرب" (1) :

أبعد الجدي عن المعزاة

أبعده بعيداً

وأربط الضرع لكي لا يرتوي

خله يثغو لكي تسمعه الأحجار

لكي يسمعه الله

وخل ضرعها يقطر للذؤبان والهر

لكي تشتعل الحرب

وتعلو النار

بين الضرع والفم

بين الأم والطفل

وبين الله والإنسان

استطاع الشاعر بلغته السهلة التي تحمل دلالات وإيماءات عظيمة أن يعبر عـن عاطفتـه القوية الرافضة لتحكم الأقوياء في أقوات الضعفاء والبسطاء ، واستطاع أن يمزج فكرته بعاطفتـه ويرسم صورة ناطقة يرفض فيها الصراع بين البشر أو بين البشر والآلهة ، كما كان معروفاً فـي اليونان القديمة .

وفي قصيدة "زهرة الصبار" للشاعرة سلافة حجاوي ، حيث يظهر الشقاء والبـؤس علـى وجه الناس في غزة ، التي يتطلع إنسانها إلى مصاحبة الطبيعة بعناصرها الجميلـة ، وأن يحيـا حياته التي يرسمها في مخيلته ، فلا يجد إلا الحصار والموت يأتيه من كل ناحية كزهرة الـصبار التي حاصرها الملح فماتت ، ولا يبقى لدى الإنسان الفلسطيني إلا وجه الله يلجأ إليه ، فتقول(2) :

في غزة

يشتاق الإنسان

---

(1) زكريا محمد : ديوان الجواد يجتاز أسكدار ، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية ، الطبعة الثانيـة ، 1997 ، ص 8 .

(2) سلافة حجاوي : ديوان سفن الرحيل ، 50 ، 51 .

لأن يعشق نجمة
يشتاق الإنسان
لان يعقد صحبة
مع غيمة
أن يصحب سرب عصافير
في جولة
أن يزرع في أفق وردة
تثخن أرجاء الكون
بالرغبة
لكن الإنسان
في غزة
زهرة صبار
يشتد عليها الملح
تشتد عليها النار
لكن الإنسان
في غزة
زهرة صبار ممتدة
ما بين الرمل ووجه الله !

تصور الشاعرة في الأسطر السابقة أملها في الحرية المطلقة وتستخدم رموزاً جلبتها من الطبيعة ، وقد استخدمت كلمات موحية شحنتها بعاطفتها القوية الصادقة ، وصورت مأساة الإنسان الفلسطيني المحاصر من الشقيق والعدو ، وكشفت عن تطلعات هذا الإنسان في نيل حريته وكرامته كغيره من البشر، واستطاعت أن ترسم لوحة فنية متكاملة تجمع عناصر اللون والحركة أضافت على القصيدة بعداً فكرياً جديداً .

وتشير الشاعرة إلى جريمة أخرى كان الشعب ضحيتها بعد أن كان آمناً في وطنه يعـيش بسعاة وهناء كالوردة المتعلقة بغصنها ، فجاءها من مزقها وألقى بها وقتلها وداس على أشـلائها ، وترمز الشاعرة إلى الشعب الفلسطيني بالزهرة وإلى الإنسان بالأعداء ، وبينت أن الـشجر كلـه صار عدواً للإنسان يطلب منه الثأر ، فتقول في قصيدة "جريمة" [1] :

كانت الوردة جالسة على الغصن وكلها دلال

(1) السابق ، 65 .

وكان لونها يملأ الأفق بالشموس الصغيرة
وعطرها يعبق في الرياح ، لكن عابراً ألقى
بقبضتيه عليها وغاب ، مخلفاً وراءه أشلاءها
التي تبعثرت فوق التراب ، وبعد حين مرت
الأقدام فوقها فاندثرت ولم يدر في بال كل تلكم
الأقدام ، أن وردة قد قتلت وأن كل شجر الورد
ناقم يطلب ثائراً من بني الإنسان !

لقد استطاعت الشاعرة أن تخرج في هذه المقطوعة عن قواعد الشعر التقليدي ، وتحـررت مـن سيطرة القافية الواحدة التي اعتبرها الشعراء الرومانسيون قيداً يعيق حريتهم فـي التعبيـر عـن أفكارهم وخواطرهم ، ويقطع انفعالهم في لحظة الإبداع والخلق ، واستطاعت الشاعرة أن تبـرز عاطفتها المتأججة التي تكره الظلم والقتل ، وعبرت عنها بألفاظ مفعمة بالرقة والنعومة لتبـين أن الورد والقتل لا يلتقيان ، وأن المعركة بينهما لن تتوقف أبداً .

وترسم الشاعرة "رحاب كنعان" في قصيدة "عاصمة الفقراء" صـورة للطبيعـة بمختلـف عناصرها، وتمزجها بنفسها لتعبر عن بؤس وشقاء الفقراء في عواصمهم ، فـالفقراء يـشتركون جميعاً في محنة واحدة ، ولا يتميزون بغيرها ، فتقول [1] :

بكى القمر
ناح الفجر
نهضت الشمس بتثاؤب
تعلن حدادها
على حدائق الياسمين
حين تراقصت الحراب
على أعناق السنابل والحساسين
فماذا نجيب .. يا أمة الحق ؟
لصبح نهض يتمدد
بين شوارع المخيمات
يسأل الجدران
وبقايا الجيران
عن حمائم الرحمن

---

(1) رحاب كنعان : ديوان شلال الفصول الثمانية ، 104 .

حين كانت تتنفس الرماد
تبذر حدائق الأقحوان
والنجوم كالبنيان المرصوص
تغفو على مهل
تناشد روح العدالة
لترى .. كيف انحدرت
شلالات النهر الأحمر

إن امتزاج عقل الشاعرة بعاطفتها جعلها تعبر عن تجربة شعرية جميلة ، واستخدمت لإبراز عاطفتها ألفاظاً رقيقة حتى تستطيع إيصال فكرتها إلى جمهور القراء ، وأن تسمع صوتها إلى من ناموا عن حقوق الآخرين ، وأرسلوا العدالة في طريق باتجاه واحد .

عبر كثير من الشعراء الفلسطينيين عن الواقع الفلسطيني باتجاهات أدبية وفنية مختلفة واستطاعوا أن يبرزوا صور المعاناة والألم المسيطرة على هذا الشعب المنكوب في حياته وأرضه ، لكن قسماً من هؤلاء الشعراء ساروا في طريق مغاير وهربوا من هذا الواقع في الوقت الذي اشتدت فيه الهجمة الصهيونية على الإنسان والأرض . ولم يكن هؤلاء الشعراء الوحيدين الذين فعلوا ذلك الهروب ، فقد تجاهل الشاعر السوري نزار قباني الاستعمار الفرنسي على سوريا ولبنان ، وأخذ يغرق في جمال المرأة ومفاتنها ، وأصدر دواوين شعرية يتحدث فيها عن المرأة وجمالها وتعلق الرجال بها .

ومن الشعراء الفلسطينيين الذين فروا من هذا الواقع الشاعر علي أبو مريحيل الذي أصدر عدداً من الدواوين الشعرية يتحدث فيها عن المرأة وجمالها ، وعن عشقه لكل النساء وعن قراءاته لعيون محبوبته ، كما أصدر ديواناً يحمل عنواناً يدل على شدة تعلقه بالمرأة وعالمها الذي تعيش فيها. ففي ديوانه "وتقول لي" يتحدث الشاعر عن النساء اللواتي صرن كواكب مضيئة لا يريد لها غروباً ، وفي نظره تصبح المرأة حياة كاملة لها بداية ونهاية . فيقول في قصيدة ليس لها عنوان [1] :

كل النساء كواكب
بمدار عينيك التي أشدو لها
لا تظلمي دنيا تحبك
في جنون جامح

(1) علي أبو مريحيل : ديوان وتقول لي ، النادي الأدبي للشعراء الأحرار ، الطبعة الأولي ، 2008 ، ص 11 .

لا تجرحي إحساسها
أتشككين بأحرفي
بتعطفي وتلهفي
يا زهرتي
يا نشوة أدمنتها
أنت التي أحيا بها
أنت البداية والنهاية
والحياة بأسرها

وفي قصيدة أخرى يظهر الشاعر ذله وخضوعه للمرأة ، ويظهر إصراره على الصمود وعدم الانسحاب محاولاً اختطاف بعض القبلات ، ويبين أنه ينتظرها ولو كانت جحيماً . فيقول [1] :

أنا أعبد الدمع الذي
يحبو على درب أضيع بفلهِ
أنا أعشق الحزن الذي
يسمو بضحكه ظلهِ
لن أنسحب
أنا ها هنا
مهزومة
بين استباحة دمعتين
بين اشتهائي
لاختطافك من شفاهي
قبلتين
أو تشتهين
كأنني ما كنت ألهث
مثل طفل معدمِ
وكأنني
ما عشت عمراً داعياً
تلك الشفاه لمبسمي

---

(1) السابق ، 14 ، 15 .

أنا في انتظارك لم أزلْ
فتقدمي
نحو اشتهائي
واشتياقي للجحيم تقدمي

إن الشاعر في القصيدتين السابقتين لم يكتف بوصف لوعته وألمه ، لكنه استطاع أن يمزج غزلـه ببعض عناصر الطبيعة من كواكب وأزهار التي جعلها مشاركة له في عواطفه ، وكل هذه السمات الفنية من خيال مطلق وعاطفة قوية هي من سمات الاتجاه الرومانسي الذي انتـشر فـي الـشعر الفلسطيني ، واستطاع الشاعر أن يتخلص من القافية التقليدية حتى يجد حرية أوسع في التعبير عن أفكاره وترجمة عواطفه .

وفي قصيدة "ثوري" لا يزال الشاعر يتصور المرأة شمساً مشرقة في قلبـه ، فيـصبح عـصفوراً راقصاً أمام جنونها ورحيق عيونها . فيقول [1] :

ثوري
بجنونك ثوري
يا امرأة تجتاح حضوري
يا شمساً تشرق في قلبي
لتقبل أوتار شعوري
ثوري
فجنونك يشعلني
ورحيق عيونك يثملني
ثوري
يا لحناً يجعلني
أتراقص مثل العصفور

في الأسطر السابقة يعبر الشاعر عن حبه للمرأة في شجاعة ، ويظهر هذه الشجاعة كما لو كـان يتحدث عن أي موضوع آخر ، فهو يرى أن عاطفة الحب هي السعادة الإنسانية ، وهي أسمى هذه العواطف ، فهو يلجأ إلى قلبه يستلهم منه المعاني الشعرية الصادقة ، ويتحدث عن حبه بكل حرية دون أن يراعي قيم وتقاليد هذا المجتمع المحافظ الذي يعيش فيه .

(1) علي أبو مريحيل : ديوان عاشق لكل النساء ، النادي الأدبي للشعراء الأحـرار ، الطبعـة الأولـي 2005 ، 45 ، 46 .

كما يعبر الشاعر عن تجاربه الذاتية الخاصة بأفكار مترابطة ومتسلسلة فهو يأتي بالمعطيات وإظهار الأحاسيس ثم يأتي بأثرها في نفسه ونقل أفكاره وعواطفه .

أما الشاعر محمد دويدار فيعبر عن تجاربه الذاتية بالشعر التقليدي المألوف ، ولكنه ينحى نحو المحافظة على القصيدة جسماً واحداً مترابط الأفكار ، ففي قصيدة "أحبك مئة والألف تأتي" يقول [1] :

إسراء يا نجمةً أنوارها سطعتْ	بين القلوب تشع الود ألوانا
سلبتِ عقلي وفكري في هواك رضاً	والرشد يحجب في العشاق أزمانا
رضيتُ بالحب يا سلوى عروبتنا	حتى ولو بعدكِ القتالُ أدمانا
أنت الربيع إذا أزهارنا ذبلت	أنتِ الدواء إذا الهجران أعيانا
أحبها مئةً والألفُ تتبعها	تفانياً وألوفُ العشق طوفانا

ويستحضر الشاعر الحب العذري القديم الذي نشأ بين قيس بن الملوح وليلى ، لعله يتخذه منطلقاً لصدق مشاعره كما هو واضح من ألفاظه القوية وأساليبه المتنوعة بين الخبر مرات كثيرة وبين الإنشاء أحياناً . فيقول [2] :

بنيتُ في مهجةِ الشقراءِ عاصمتي	قيس أنا وملاك الأرض ليلانا
حطمتُ في ولهي كل السدود ولم	أذعن لصعب ولو الإرهاقُ أبلانا
بأضلعي تسكنين اليوم مكرمةً	والدفء حولكِ يا إسراء ألوانا
كذاك السعد كالآفاق مقتمراً	والحب يشمخُ أبراجاً وبنيانا

وفي قصيدة "الغزال والصياد" التي لم يتبع فيها الشاعر الشعر التقليدي وإنما لجأ إلى استعمال الشعر المرسل ، فيبين أنه قد اصطاد غزالة ، ولم تكن تلك الغزالة ضحية وإنما كان هو الضحية ، وهذا الخبر انتشر في صحف الحب القمرية. فيقول [3] :

نشرتْ صحفُ الحب القمريةْ
في الصفحات الأولي
أخباراً زهريةْ
إني اصطدتُ غزالاً بشرية
بعذوبة إحساسي
بحروف شعرية

---

(1) محمد ماهر دويدار : ديوان أسير في ضلوع حسناء ، إصدار خاص ، الطبعة الأولى ، 2007 ، ص 8 .
(2) السابق : 8 ، 9 .
(3) السابق ، 12 .

والخبر الأغرب كان سقوط فؤاد الصياد ضحية
عجب ... عجب ... عجب
قد كنْتُ طليقاً وغدوت اليوم أسيراً
بعيون عسلية

وبالرغم من صلابته وصموده في كل الجبهات إلا أنه هزم أمام الغزال الذي اصـطاده ، وصـار صيداً بعد أن كان صياداً ، فذهبت عنه إرادته ، وأصبح عبداً مملوكاً لضحيته . فيقول [1] :

عشت سنيني في سالفِ عصري صنديداً
ما نالت مني غزلان فرنسا أو أي الغِزلان الغربيةْ
لكن القدر الأقوى كان سقوطي
تحت شباكٍ غزالٍ عربيةْ
شركي تحتَ يدي !! وأنا قد أحكمتُ نصابه
آهٍ كيفَ غدوتُ ضحيةْ
أول مرة
أرى فيها صيداً وهو بكارثةٍ يضحك
تمتَ شباكٍ في الشد قويةْ
وأنا لم أدر بأن اللؤم يخبُأ تحتَ الضحكاتِ النوريةْ
ماذا حل بعزمي !!!
أصبحتُ بدون إرادةْ
مسلوب العقل ولا أصنع شيئاً غير الطاعةْ

أما النتيجة فكانت الأسر بلا سجن أو قيد في عيوب وأحضان امرأة عربية فلسطينية تعلـق بهـا وبجمالها الذي لا ينقطع سطوعه. فيقول [2] :

أيتها الحسناء أسرتِ فؤادي وعرفْتِ بحقٍ
كيف تكونين امرأةً عصرية
ما زال هدؤوك سيدتي في وجهي أحجيةْ
أعجز عن إيجادِ لها حلاً مبتعِداً عن كل الطرق التقليدية
فحنانك لن يرضى أبداً أي قيودٍ قبلية
تمتاز بكل الهمجيةْ

---

(1) السابق ، 14 .
(2) السابق ، 17 .

فحياتك قد بدأت حين تنفست هواء الأعراق الأبدية
حقاً لم أر مثلك يوماً فوق الكرة الأرضية
يكفيني فخراً أني أهواك
فأجمل ما فيك ضياء يسطع
من لفظ العربيةْ
والأجمل من ذلك حقاً أنك يا نبض
السحر فلسطينية

ظهر إبداع الشاعر في قصيدته عندما عرض أفكاره في إطار قصة متكاملة العناصر ، فقد ظهرت شخصيته واضحة ، أما شخصية فلم يظهر سوى اسمها . ودخل الشاعر في ذكر التفاصيل عن ولعه بمن يحب وذكر فخره بمحبوبته أنها لم تكن غريبة ، وإنما كانت من بلده الذي ينتمي إليه ويحبه ، واستخدم الشاعر ألفاظاً موحية ومعبرة ، فهو يعتقد - كغيره من الشعراء الرومانسيين- أن اللغة وسيلة لنقل المشاعر والأحاسيس ، ويجب أن تكون بعيدة عن الصعوبة والتعقيد حتى يستطيع أن ينقل عواطفه وأفكاره بسهولة .

وعند الشاعر موسى أبو كرش نظرة جميلة أخرى إلى المرأة ، فهي تحت عينيه يراقبها ويدون ملاحظاته عن لونها ولون ثيابها ، ويحذر نفسه من هذا الجمال الخارق . فيقول في قصيدة "العاشق" (1) :

رويدك :
ثمة من يترصدك
مثل ظلك
يدون في كراستهِ الحمقاء :
أحوالك العشرينية
تمارينك الصباحية
أحمر شفاهك
لون سويتانك
مشيتك المتماهية مع القوام
تحرر قميصك تحت الحزام
طقسك الغائم على الدوام

---

(1) موسى أبو كرش : ديوان أف ، مركز أوغاريت الثقافي ، رام الله- فلسطين ، (بدون تاريخ) ، ص ، 25 ، 26 .

سيخترق - إن تمكن – دورتك الدموية
قلبك الطيب
حصونك الداخلية
كهوفك
أزقتك
حواريك
كرياتك الحمراء
جيناتك
كروموسوماتك
حذار سيدتي

في هذه القصيدة يذكر الشاعر تفاصيل يوم في حيـاة المرأة التي يعشقها ، فهو يراقبهـا مراقبـة دقيقة ، وكل شيء فيها يسحر عقل الشاعر وقلبه .

وفي قصيدة "امرأة ما مثلاً" يجلس الشاعر كالطفل المشغول بألعابه والوقت يمـر حزينـاً بطيئاً وهو ينتظر امرأة ما تدق بابه وتساعده في حل رموزه التي عجز عن حلها . فيقول (1) :

وحيداً أقضم وقتي
مثلما الأطفال
أبعثر وقتي
ألهو بكراكيبي
أقضم كتبي
مفكرتي
والوقت يمر
يبعثرني ويمر
عبثاً يمر..
كئيباً يمر
بطيئاً يمر ..
بانتظار : امرأة ما .. "مثلاً" ! ! ؟
مجرد امرأة
بلا نسب

---

(1) السابق ، 27 ، 28 .

بلا عنوان

بلا استئذان

امرأة ما "مثلاً"

تهز رتاج بابي المتعب

تحل رموز أقنعتي

في هذه القصيدة اهتم الشاعر بالمجهول الذي لم يتوقف باحثاً عنه ، محاولاً الكشف عن أسرار هذا الكون وخفاياه ، وهذا مذهب الشعراء الرومانسيين الذين يصورون انفعالاتهم وعواطفهم المختلفة ، وهؤلاء الشعراء الرومانسيون يكشفون عذابهم وأحاسيسهم الغامضة ، وسعيهم الدائب لمعرفة سر الوجود وتصوير خلجات نفوسهم ، ويظهر الشاعر- في معظم أحواله- حائراً متردداً يسيطر عليه المتعلق من المصير المجهـول ؛ ولذلك يهرب من الواقع المر الذي يعيشه إلـى عـالم الخيـال والأوهام .

الفصل الرابع

الاتجاه الكلاسيكي

يتميز الأدب الكلاسيكي العربي بسيطرة الوزن والقافية عليه ، فيمـا يعـرف بالـشعـر العمودي ، كما يتصف بقوة العبارة وجمال الأسلوب والاقتباس من القرآن الكريم . أمـا الخيـال المستخدم فيه خيال جزئي لا يتجاوز التشبيه والاستعارة والكناية ، وانشغل كثيـر مـن الـشعراء الكلاسيكيين بشعر المناسبات الدينية والوطنية ، أو الشعر في مناسبات خاصة بالشاعر ومن حوله من أقارب وأصحاب وجيران .

وعرف الشعر الفلسطيني الاتجاه الكلاسيكي كما عرفَ في الشعر العربي ، ونظم الشعراء الفلسطينيون شعراً كلاسيكياً في مناسبات متعددة منذ بداية القرن العشرين ، في بداية ذلك القـرن بدأ يظهر الاتجاه الكلاسيكي ، وأخذ يسير في خطوط الاتجاه في معانيـه وألفاظـه ، وصـوره وأخيلته ، وأغراضه وموضوعاته ، وأوزانه وقوافيه ، وأفكاره وأساليب[1] .

واتبع هذا الاتجاه الأدبي كثير من الشعراء كان من أبرزهم الشيخ إبراهيم الدباغ وإسكندر الخوري البيتجالي ، ثم جاء بعدهما إبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود .

لم يسر الشعراء الفلسطينيون الكلاسيكيون سيراً واحداً ، بل تنـاولوا أغراضـاً شـعرية متعددة، واتخذوا اتجاهات فنية مختلفة ، واستطاعوا أن يعبروا عن تطلعاتهم وتطلعـات شـعبهم . ففي قصيدة "غزة فوق الشمس" يفخر الشاعر عبد العال القدوة بغزة التي كانت تاج المجد وعزه ، ثم يبين الغدر الصهيوني بأطفال غزة الذين حصدتهم قنابل الـصهاينة الـذين ينقـضون العهـود والمواثيق . فيقول [2]:

أفـوق الـشمس اختـرتِ المكانـا	وفـوق الـشمس أوقفـت الزمانـا
وفخـر المجـد أنـكِ كنـتِ دومـاً	لـه تاجـاً وعـزاً لا يهانـا
وفخـر الكـون أنـكِ فـي عـلاه	وعـز الكـون كونُـكِ منـذ كانـا
أتـاك الغـدر فـي هـدأ الليـالي	فـراع بـراءة الأطفـال آنـا
ولـم تلبـث بـأن حـصدت صـغاراً	قنابـلُ ذاك مـن غـدر وخانـا
بنـو صـهيون إن غـدروا بعهـدٍ	فتلـك طبيعـة فـيهم... وشـانا

ثم يبارك الشاعر غزة وأهلها الأحرار الذين لم يحنوا رؤوسهم لأحد من الغزاة ، ويبالغ الـشاعر عندما يختار غزة ويفضلها على جنة الفردوس ، ويقدم لها الأرواح رخيصة لتبقى عزيزة منيعـة على الأعداء ، فيقول [3] :

أبـارك غـزة الأحـرار دومـاً	فـشعبك مـا أنـاخ ولا اسـتكانا

(1) كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، 162 .

(2) عبد العال القدوة : ديوان غزة فوق الشمس ، القدس – غزة 2002 ، ص 11 ، 12 .

فقبــل الــروح غــزة نفتــديها	وبعــد القــدس غزتنــا مكانــا
ربــى الفــردوس أتركهــا لأحيــا	بغــزة خيــر أرض فــي ربانــا
أبــاك [1] غــزة الأحــرار دومــاً	نســوق لعزهــا كــل قوانــا
نســوق لعزهــا الأرواح فخــراً	لتبقــى عزهــا عــزاً مــصانا
وتبقــى غــزة الأبطــال أفــق	عزيــز الــسيف يلتحــف الزمانــا

سيطرت سمات الاتجاه الكلاسيكي على هذه القصيدة ، فظهرت وحدة الـوزن والقافيـة ، وكـان نسيج العبارات متيناً ويتسم بالجزل ، أما موضوعها فكان في الفخر الذي يعـد مـن الأغـراض الشعرية التقليدية ، ولم تكن أبيات القصيدة مترابطة ومتسلسلة ، وأما الخيال فكان جزئيـاً شـمل الاستعارة والكناية والمجاز ، وسار الشاعر في قصيدته سير الشعراء الكلاسيكيين فـي العـصور الأدبية السابقة .

وفي قصيدة "الصبر يا غزة هاشم" يناشد الشاعر أهل غزة أن يتحلوا بالصبر على مجازر الصهاينة الذين هم حثالة البشر ، فهؤلاء الصهاينة لا عهد لهم ولا ذمة ، فقـد بـاعوا أوطـانهم الأصلية ، وجاءوا إلى فلسطين تحت مزاعم دينية وتاريخية ، ويبشر الشاعر أن هؤلاء الدخلاء لن يهزموا عروبتنا ، فيقول [2] :

مهــيلاً يـــا بنـــي الأحـــرار فـــي وطنـــي	فـــصبر فـــي مجـــال الـــصبر محمـــود
إذا جـــاءت مجـــازرهم بمـــا يخـــزي	فهم فـي الأصـل أهـل الخـزي إن نـودوا
حثـــالاتٌ مـــن الأمـــم ... وجاءتنـــا	بـــدعوى الزيـــف "..." والتزويـــر مـــردود
فقـــد خـــانوا بلادهـــم وباعوهـــا	بألمانيـــا بهولنـــدا ... الرعاديـــد
بإيطاليـــا... بأمريكـــا... برومانيـــا	وســـخط الكـــون لاحقهـــم وتنديـــد
طعـــين الأصـــل لـــن يهـــزم عروبتنَـــا	فـــإن لنـــا ومـــا لهـــم جـــدود
ضعـاف الأصـل – لـو تـدري- فمـا كانـت	ولـــن تلـــق... لـــدولتهم... حـــدود
ففـــي غـــدنا ســـنقهرهم وربـــك فـــي	كيـــانٍ ضـــائع للمـــوت ممـــدود
كـــذاك قـــال تـــاريخ الألـــى ســـبقوا	فـــإن طـــريقهم فـــي الأصـــل مـــسدود

(1) وردت في الديوان (أباك) والصحيح (أبارك) .

(2) السابق: 41 ، 42 ، 43 .

لقد اهتم الشاعر بقوة الألفاظ وجمال الصياغة كما درج الشعراء القدامى ، فغابت الوحدة العضوية من قصيدته ، ولم يستطع أن يرسم خياله بالصور الكلية التي تعبر عن التحام الأفكار بالمشاعر والأحاسيس ، وفي هذه التجربة الشعرية العامة استطاع الشاعر أن يطمئن أبناء شعبه بالنصر القادم ؛ لأن الأوائل استطاعوا أن يطردوا الغزاة ويبعدوهم عن ديار المسلمين .

ويفخر الشاعر ماجد الدجاني بالقدس التي لا يغادر حبها أضلاع أبنائها ، وكل ذرة من رمالها لا تساويها كل الدرر، كما يذكر الشاعر تضحيات أهلها لتخليصها من دنس الصهاينة ، فيقول في قصيدة (القدس في القلب) (1) :

ليس فينا ليس منا	**من تجافي القدس فكرة**
هي في الأضلاع خفقات	**وفي اللحان نظره**
وهي للأرض رموز	**في الحنايا مستقرة**
ذرة من رملها الغالي	**تضاهي كل درة**
يفضل الأكوان سور القدس	**عندي ألف مرة**
شيخنا والطفل منا	**تسكن الروح وصدره**
ولأجل القدس كل	**يرخص الروح وعمره**
دمنا يرخص للقدس	**إلى آخر قطرة**
نبذل الروح نضحي	**لتعود القدس حرة**

يواصل الشاعر حديثه عن القدس التي يتغنى بها الشعراء في أشعارهم ، والطيور في فضائها ، ويرفض بقاء القدس والأقصى في الأسر الصهيوني ، ثم يبين أن أهلها لا ينسون ترابها المقدس ، هؤلاء الأهل الذين قطعوا على أنفسهم عهداً أن يعيدوها فيقول في نفس القصيدة السابقة (2) :

لعيون القدس يشدو	**يكتب الشاعر شعره**
ويغني كروان	**بائحا للفجر سره**
كيف والأقصى أسير	**تسكن الروح المسرة**
كيف والقيد برسغ القدس	**لا تغضب جهرة**
والفلسطيني لا ينسى	**مدى الأيام ثأره**
إنها القدس ستبقى	**في جبين الكون دره**

---

(1) ماجد الدجاني : ديوان قمر على شباكنا ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس ، الطبعة الأولى 1999 ، ص 20 ، 21 .

(2) السابق ، 23 .

وعلـــــــى درب نـــــــضالي خطـــــــواتي مـــــــستمرة

لتعـــــود القـــدس للأهـــــل ويـــــوفي الكـــــل نـــــذره

بدأ الشاعر قصيدته بالاقتباس من قول الرئيس الراحل "ياسر عرفات" (ليس فينا وليس منا ولـيس بيننا من يفرط في ذرة من تراب القدس) ، واستخدم رموزاً دينية وأثريـة كالأقـصى وأسـوار القدس ، فلم يأت الشاعر بجديد وإنما استخدم كلمات يستخدمها الراجل العادي في حديثه ، كما كان ضحلاً بسيطاً لا يبتعد عن خيال الناس في حديثهم اليومي ، كما غلبت على القـصيدة الموسـيقى الخارجية التي ظهرت في الوزن والقافية ، فلو طلب من رجل عادي أن يعبر عن حبه للقدس فلن تختلف كلماته عن كلمات الشاعر .

أما الشاعر عبد الهادي القادود فلا يبتعد كثيراً عن الشاعر ماجد الدجاني ، فيبين أن كـل البلاد التي طافها تسجد للقدس وتهتف باسمها ، واستخدم رمزاً دينياً "مسرى النبي" ، ثـم يتغنـى الشاعر بسهولها الخضراء ، وتتوق نفسه إليها ، ويتمنى أن يأتي اليوم الذي تتخاص فيه القدس من الغزاة المحتلين . فيقول في قصيدة "يا قدس" (1) :

يـــا قـــدس إنـــي فـــي المحبـــة هـــائم

ودمـــــاء قلبـــــي للمـــــودة تعـــــصفٌ

كـــــل الأقـــــاطير التـــــي قـــــد طفتهـــــا

ســـــجداً لـــــسيدة المـــــدائن تهتـــــفُ

قـــــد كنـــــت دومـــــاً للجمـــــال منـــــازلاً

وجحافـــــل الأبطـــــال دونـــــك تقـــــصفُ

يـــــا ســـــيد الثـــــوار مهـــــلاً إننـــــا

قدســـــنا مـــــن حبهـــــا مـــــا ينـــــسفُ

مـــسرى "النبـــي" ومـــا ســـواها زائـــلٌ

فرقابنـــــا مـــــن دونهـــــا تتقـــــاذفُ

وســـــهولها الخـــــضر الطـــــوال تميتنـــــي

ويفيقنـــــي مـــــن ميتتـــــي متلهـــــفُ

إن الجمـــــال علـــــى الجميلـــــة لائـــــقٌ

حيـــــث الجمـــــالُ بـــــلا جميـــــلٍ زائـــــفُ

يـــا قـــدس مهـــلاً إن شـــوقي شـــائقٌ

(1) عبد الهادي القادود : ديوان وطن ينزف ، 20 ، 21 .

أمـــا حنونـــا فـــي ثراهـــا يـــشغفُ

أو لـــم تكـــوني فـــي العـــصور منـــارة

وأميـــرة فـــي بيتهـــا تتعفـــفُ ؟

قـــالوا ســـنفتق فـــي ثراهـــا خنـــدقاً

فـــإذا بنـــادق شـــعبنا تتخطـــفُ

فتـــسابقوا للمـــوت فـــي أكنافهـــا

بعيـــونهم زحـــف الأعـــادي أوقفـــوا

الكهـــل والطفـــل الـــصغير تفـــاوتوا

بقلـــوبهم لبـــوا النـــداء وشُـــرفوا

في هذه القصيدة سيطرت وحدة الوزن والقافية والخيال الجزئي ، واهتم الشاعر الألفاظ التقليديـة والجمل المتداولة والنسج المحكم لأسلوب الأبيات . وهذه الملامح تنتمي إلى الاتجاه الكلاسـيكي . وقد غابت عن القصيدة الألفاظ الحية والصور الكلية التي لو تحققت في لوحة فنية ، لظهرت قـوة العاطفة ولامست قلب كل قارئ أو سامع .

ويفخر الشاعر عبد الكريم العسولي بمدينته خان يونس التي تلبي النداء ، والتـي أنبتـت رجالاً صامدين في وجوه أعدائهم ، وسقِيتْ أرضها بدماء أبنائها . فيقول الشاعر في قصيدة "خان يونس" (1) :

يـا خـان يـونس يـا جـواب سـؤال	**عن مـورد العطـشى ومهـد نـضال**
يـا بقعـة شـرفت بـشمس بطولـة	**وسـمت بمجـدٍ تالـد متعـال**
فـي لجـة الظلمـات دومـا أشـرقت	**وتعاظمـت فـي شـوكة الأغـوال**
وبنـت رجـالاً فـي العواصـف جنـة	**شـيم الـصحابة فـي تقـى ونـزال**
شـقوا عبـاب المـوت سـاعة عـسرة	**وسـقوا ثراهـا بالـدم الـسيال**
وسـعوا رياضـاً أزهـرت بمفـاخر	**عبقـت عبيـراً فـي دنـا الترحـال**
وهـدتْ مواكـب للنهـار زواحفـاً	**وتمتعـت بالـساحر المختـال**

ثم يتابع الشاعر وصفه لجمال الطبيعة في خان يونس ، فيفخـر بكرومهـا ونخلهـا وبحرهـا ، وصارت هذه المناظر الخلابة سارة لكل من يراها ، ويهفو قلبه إليها . فيقـول فـي القـصـيدة نفسـها (2) :

---

(1) عبد الكريم العسولي : شقائق النعمان ، 2 .

(2) السابق ، 3 .

بلاد نمت وسط الجراح وأثمرت   وتكاملت في روعة وجمال
تزهو بأثواب الربيع بديعة   في فرحة ترنو ومُيس دلال
أضحت مُسرة ناظر متنزه   يهفو لها قلب العتي القالي
فيها الكروم عرائس قمرية   في بردهن زخارف الأشكال
والنخل فيها شامخ في عزة   والبحر يروي رحلة الأبطال
والرمل عسجد والشواطئ جنة   وشذا النسيم يمدها بخصال
بشقائق النعمان يحلم حقلها   ويموج بالتبر الندى البذال

ولم ينس الشاعر عبد الكريم العسولي جنين وصمودها في وجه الصهاينة ، فيفتخر بصمودها ووقوفها كالمارد وشموخها إلا العلا ، حيث استطاع أبطالها أن يصمدوا في وجه هذه الوحوش التي انتزعت منها الرحمة . فيقول في قصيدة "جنين البطولة والمجزرة" [1] :

جنين يا سنامة كل مجد   ويا سيف المعامع والتصدي
سموت إلى العلا وملكت قدراً   وحزت النصر في هول التحدي
وقفت كمارد في وجه ثور   أذقت فلوله بؤس التعدي
أتوا بمعاول كالسيل زحفاً   وغيظٍ في القلوب ونار حقد
وأمواج الحديد تسير بحراً   تقد ربوعنا أشلاء قد
وملء الأفق أسراب المنايا   تصب صواعقاً بالموت تردى
غزاة كالوحوش بلا قلوب   سعوا بجهالة وجنون وغد
تباروا في إبادة كل حي   تفانوا في الدمار بكل ود

ويعبر الشاعر عن وحشية الجنود الصهاينة فينعتهم بالصليبيين والتتار الذين قتلوا مئات آلاف المسلمين في هجومهم على العالم الإسلامي ، أما المغول الجدد فهم محترفون في قتل الأبرياء ، وأبطال في الإبادة لكل مظاهر الحياة . يقول الشاعر في نفس القصيدة [2] :

صليبيون أوغاد تتار   عطاش للحصاد أشر حصد
جيوش مجازر ودعاة قتل   عقول مذابح ورماة صيد
فكنت جنين سيفاً من إله   وكنت الدرع للسيف المجد
بنوك فوارس بالحق كروا   بكل بسالة وبكل جهد
أباة ينهضون لصنع فجر   ويورون الظلام جحور لحد

(1) السابق ، 81 .

(2) السابق ، 82 .

تخـــالهمو ملائكـــة شـــداداً　　　يجـــزون الرقـــاب بكـــل حـــد

جبـــابرة كأجنـــاد الوليـــد　　　وصـــحب محمـــد وجيـــوش ســـعد

اتسمت الأبيات السابقة بسمات الاتجاه الكلاسيكي الذي يتمثل في استيحاء التاريخ الإسلامي ، فذكر جند خالد بن الوليد ، وصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، وجيوش سعد بن أبي وقاص مع الفرس في العراق وبلاد فارس ، وأكد الشاعر استبدال أهل جنين في الدفاع عنها ، وصمودهم في وجه الصهاينة أهل الشر ، كما تبدو في القصيدة أصالة الألفاظ وروعة صياغتها ، لكن الشاعر لم يحمل كلماته شحنة عاطفية تستطيع أن تسحر عقل ووجدان محبي الأدب ، فـي حـين تجنـب الخيال المجنح ، واعتمد على الخيال الجزئي كالاستعارة في قوله "عطاش للحصاد" أو التشبيه في "كنت الدرع للسيف" .

وقد أخذ بعض الشعراء نصيبهم من الغزل ، فلم يسيطر عليهم وعلى أشعارهم حب الوطن سيطرة تامة ، بل أطلقوا لأنفسهم بعض الوقت للحديث عن الجمال والتعليق بالنساء وتحدث غيـر شاعر عن مشاعره وأحاسيسه نحو بعض الجميلات اللواتي جذبن عقولهم وقلوبهم . فمـن الـذي سيمنعهم من الحديث عن عشقهم وغرامهم ؟ أليسوا بشراً يملكون الحس والوعي .

فيعلق الشاعر مجدي يوسف عن لوعته من نار الحب ، حيث سـحرته أنـوار المحبوبـة ورمته بسهامها ، حتى صار قعيداً خلف قضبان سجن لا يستطيع الخروج منه ، وأنه يوشك علـى الموت بعد أن اختلطت دماؤه بلحمه ، فيقول في قصيدته "لوعتان" (1) :

يـــا ظـــالم بـــي لوعـــة النـــار بيـــا　　　يـــا لائـــم هـــذي دمـــائي هاميـــة

أنـــوارك العظمـــى تلـــوح بنـــاظري　　　وسهامك الـــسمراء غـــارت ســـاجية

ورحـــى الليـــالي والزمـــان عرفتهـــا　　　ودمـــي ولحمـــي يبكيـــان ببابيـــا

وأنـــا قعيـــد خلـــف ســـجن موصـــد　　　يستـــصرخان حطـــام نفـــس واهيـــة

والمـــوج عنـــدي هـــائج مـــتلاطم　　　والموت حـــولي قـــد روانـــي كاســـيا

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان "بعد الموت" (2) :

الحـــب يجـــري فـــي مـــدي　　　مجـــرى العـــروق مـــن الـــدماء

والنـــــار تأكـــــل أعظمـــــي　　　والـــنفس تـــسكر مـــا تـــشاء

مـــــا نـــــام عنـــــي لحظـــــة　　　فـــي جـــوف ليـــل الكبريـــاء

فأنـــا علـــى العهـــد القـــدي　　　م مـــا حييـــت فـــي انتـــشاء

---

(1) مجدي يوسف : ديوان أشباح الأفق ، مكتبة دار المنارة ، غزة ، الطبعة الأولى ، 2001 ، ص 43 .

(2) السابق ، 53 .

أبكي على لحن مضى ... ما زال يلفح في خفاء

والناس حولي ما ترى ... روحاً تنوح على اصطلاء

أحلامها عشق الصفاء ... أنفاسها زهر وماء

لقد وصف الشاعر في كلتا القصيدتين لوعته وألمه من حبه وصفاً مادياً صوره عقله دون أن يدور في وجدانه ، وهذا الغزل الحسي ما هو إلا ترديد يستطيع أن يردده المحب لمحبوبته ، ومثل هذه الألفاظ موجودة ومألوفة في هذه البيئة ، فلا تحمل الألفاظ أو العبارات دلالات أو إيحاءات رمزية ، إنما تصور حباً يجري في نفسه مجرى الدم في العروق ، وأنه ما زال يحافظ على حبه ووده بل إن أنفاسه باردة كالماء والزهر . فقد كان في الأبيات الخمسة الأولى عاصفاً ومضطرباً ، أما في الأبيات السبعة التالية لها فقد سيطر عليه الهدوء والسكينة . وهذا يخالف عقيدة المحب الذي يغيب عن عينيه النوم .

وفي قصيدة "غربة" يحمل الشاعر ألفاظه دلالات تعبيرية جميلة ، وبدأت عاطفته تشتد ، وأخذ يظهر نفسه تحمل هموماً وأحزاناً مثل القبور ، لكنه لم يتخلص من طابع التقليد إذ بدأ قصيدته بالتصريع كما درج الشعراء القدامى ولم يتخل عن استخدام الخيال الجزئي . فيقول [1] :

أيا عمري لك أهدي سلامي ... وهذا العائم المتبول دامِ

وبعدك كل شيء ما شُفيتُ ... وحتى في تهادي الكون سامِ

وبين هدير محياي غريب ... ألوذ إلى قبور من غرامي

وفي الوجد أمواج أُجِدت ... على شطآنها شبت سقامي

وفي أحضانها عثر شراعي ... فمال بنا إلى لج الظلام

فساد الموت يطغى من مقام ... دوي الريح يذكيه حطامي

وعند الانتقال إلى قصيدة"أوهام الماضي" يلجأ الشاعر إلى شحن مفرداته بدلالات رقيقة تحمل معاني شفافة ، إذ ليس من المقبول أن يسير الشاعر على وتيرة واحدة في قصائده ذات الغرض الواحد . يقول الشاعر مجدداً في قافية قصيدته إذ لم تتبع قافية واحدة [2] :

وقفت تستشرف الماضي إليها ... يا نعيماً قد تولى من يديها

هي بالباب تزف وجنتيها ... في حماه الشوق مسفوح عليها

لا تقل إني أصبت الحب طفلي ... يا وجوماً هاتفاً في ناظريها

ضمني العمر استباح مهجتيا ... كلما جانبته ضاق عليا

---

(1) السابق ، 50 .

(2) السابق ، 54 ، 55 .

جئـت مـا تـدرين أفنـان جنـوني الهـوى المـدفون أشـقى مقلتيـا

صـرت بـين النـاس لحنـاً ذهبيـاً يكتفـي بـالنور يغـشى خاطريـا

خلفـوني أحمـل الهـم شـقيا ضـاقت الآذان أن تعلـو إليـا

في الأبيات تسلسل واضح نبع من عاطفة متدفقة ، وجاء الشاعر بصور بلاغيـة تخـدم المعنـى وتتآلف معه ، فقد جعل الشاعر العمر إنساناً يضم إنساناً آخر إلى صدره ثم جعل الهم شيئاً ماديـاً يحمل . إن هذه الصور لا ترتقي إلى مستوى الخيال الكلي الذي يرسم صـورة فنيـة للمـشاعر والأحاسيس ، تجعل القارئ أو السامع مشاركاً للشاعر في أفكاره وعواطفه مشاركة وجدانية كأنـه يعيش معه .

وطاف الشاعر ماجد الدجاني في إطار مماثل للشعراء الآخرين في الفترة نفسها ، فأخـذ يتحدث عن معاناته وألمه لمحبوبته ، فرمشاها تسقيانه الحب والعشق ، وأن الحب أزهار ضـمت أشواكاً قاسية جارحة ، ولم يدر أنه سيقع تحت سيوف عينيها لتنال منه ، ويحـذر الـشاعر مـن الأزهار التي يؤذي شوكها ، فيقول في قصيدة "ورد الخريف" (1) :

مـا كنـت أدرك قبـل أن ألقـاك أنـي سيـسقيني الهـوى رمـشاك

مـا كنـت أدرك رغـم طـول درايتـي كـم فـي الزهـور قـساوة الأشـواك

مـا كنـت أعلـم والحيـاة معالـم ألـم الجـراح بحلاظـك الفتـاك

وبـأن للألحـاظ وقـع أسـنة وبأنها أمـضى مـن الـسيوف تحـاكي

وبـأن مـن يلقـاك يقـضي مـدنفاً وبـرغم كـل تعقـل يهـواك

لا تـأمنن لزهـرة وسـنى وذا درس تعلمـه لنـا عينـاك

ويستمر غزل الشاعر في محبوبته التي يغني الزهر عندما تمشى متمايلة ، وأن صورتها لا تفارقه أينما حلّ ، ولا يزال القلب والضلوع تضطرب وتنزف الدماء ؛ لأن عشقها ليس خرافة كـالغول والعنقاء . فيقول في القصيدة نفسها (2) :

وإذا مـشيت علـى الطريـق تمايلـت طربـاً وغنـى الزهـر إثـر خطـاك

وأراك فـي روضـي وفـي قطـر النـدى وعلـى الـدفاتر والـسطور أراك

ضـلّ المـشيب وللخريـف غوايـة والعـود يـورق مـن رذاذ لمـاك

---

(1) ماجد الدجاني : ديوان قمر على شباكنا ، 96 .

(2) السابق ، 98 .

القلـــب بنـــزف والـــضلوع كليمـــة والـــشعر يـــدمي والحـــروف بـــواك
كـــم عـــشت اعتبـــر الغـــرام خرافـــة كـــالغول والعنقـــاء للإضـــحاك

لا يظهر التجديد عند الشاعر ، فقد سلك طريق الشعراء الكلاسيكيين في التعبير ، فحـافظ على وحدة الوزن والقافية ، واهتم بالتصريع في مطلع القصيدة ، والتزم بالخيـال الجزئـي فـي التصوير ، أما الألفاظ فقد كانت تقليدية قوية الصياغة وبعيدة عن حمل الدلالات والإيحاءات .

ومن الموضوعات الأخرى التي تناولها الشعراء الفلسطينيون الكلاسيكيون الرثـاء ، ولـم يتأخر الشاعر عن رثاء الأحبة والأعزاء ، وتناول عدد كبير منهم رثاء الشهداء الذي سقطوا فـي المعارك مع العدو الصهيوني .

فالشاعر عبد الكريم العسولي يبكي فقيد العلم الدكتور "فاروق الفرا" ، ويطالب الـبلاد أن تسكب دمعها حزناً عليه ، فهو قمر مرة وروضة مرة ثانية ، وهو نهر يروي الصحارى بالمـاء السلسبيل ، كما يبين الشاعر صفاته الدينية والعلمية ، فيقول في قصيدة "رحيل القمر" (1) :

ابكـــي بـــلادي واسـكبي الـــدمع المريـــر رحـــل المعلـــم ذلـــك القمـــر الجليـــل
قمـــر تنقـــل فـــي الـــدياجي باســـماً وسما علـى العليـاء بالجهـد الثقيـل
وسـعى يطـوف كروضـة بـين الـورى متنـسماً بـالعطر والـورد الجميـل
فـــي كـــل أرض للقـــضية جـــدول يـــروي صـــحاريها بمـــاء سلـــسبيل
علـــم بنـــى صـــرح العلـــوم مثـــابراً متـــسلحاً بـــادين والعـــزم النبيـــل

ويبين الشاعر فضل الفقيد في بناء الأجيال ، وزراعة حب الوطن في كل أنحاء فلسطين ، وإيمانه بالمقاومة ورفض التفاوض والحل مع العدو الغاصب ، فيقول (2) :

قـــد كنـــت دومـــاً شـــعلة وضـــاءة تـــستنهض الأجيـــال جـــيلاً بعـــد جيـــل
وحملـــت أوجـــاع الربـــوع مـــداوياً وزرعـــت حـــب الأرض فـــي كـــل الحقـــول
في قلبـك الموجـوع قـد سـكن الأسـى وبكـــت عيونـــك واســـتبد بهـــا العويـــل
لـــلأرض للإنـــسان للطيـــر الـــصدوح للبيـــت للينبـــوع للكـــرم العليـــل
للقـــدس للـــشطآن والحـــرم الحـــزين للـــضفة الحبلـــى لغـــزة والجليـــل
آمنـــت بـــالحجر المقـــدس رايـــة تعلـــو علـــى ذل التفـــاوض والحلـــول

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان شقائق النعمان ، 70..
(2) السابق ، 71 .

ولا يتوقف بكاء الشاعر على الفقيد ، ويطالب عيونه أن تجود في البكاء حسرة وألماً ن ويطالب مدينة خان يونس أن تستمر في بكائها عليه ، وسيظل الشاعر معترفاً كغيره من الناس بفضل الفقيد كمنارة ودليل ، ويدعو له بالجنة في صحبة الصالحين والأخيار ، فيقول في القصيدة نفسها [1] :

جـودي عيـوني بالـدموع تحـسراً   وتوشـحي بـالهم والـشجن الطويـل

ولتندبيـه محبـة يـا بلـدتي   هـو ذاك الابـن المكـرم والخليـل

ولتذكريـه علـى الـدوام بعـزة   ولتفخـري ببنـوة مثـل النخيـل

فاروق إنـا لـن نقـول لـك الـوداع   سـتظل فينـا المنـارة والـدليل

سـتظل يـا دكتـور نـبض محبـة   وتظـل نهـراً لا يجـف ولا يـزول

فإلى الجنـان علـى شـواطئ كـوثر   فـي صـحبة الأخيـار والطيـر الهـديل

في الأبيات السابقة ظهرت بعض سمات الاتجاه الكلاسيكي من وحدة الوزن والقافية وموضوع الرثاء ، كما سيطر الخيال الجزئي ، وبدا تأثر الشاعر بالشعراء القدامى في قوة ألفاظهم وجمال الصياغة ، كما ارتبط بالمأثور اللغوي في البكاء على الفقيد وإعلاء مكانته والاعتراف بفضله في بناء الأجيال وغرس حب الوطن .

أما الشاعر خالد سعيد فإنه يغرق في البكاء على الشيخ توفيق جرار الذي توفي يوم العيد وهو يؤم المصلين. وهو لا يبتعد كثيراً عن سلفه في استخدام الألفاظ والصور التقليدية المنتزعة من التراث القديم ، فيقول في قصيدته "دمعة على قبر" [2] :

جـد بـدمع العيـون بعـد الفقيـد   ودع المحاريـب فـي يـوم عيـدِ

جـاءك المـوت فـي صـلاة وذكـر   فهنيئـاً لـك اختيـار المجيـدِ

كنـت تفتـي لنـا بـرأي رشـيد   كنـت تبـدي لنـا بنـصح سـديدِ

لـك فـي الفـضل سـابقات توالـت   قـد نـصرت الإسـلام منـذ عقـودِ

أسـأل الله أن يعـوض خيـراً   ولـك الأجـر فـي جنـان الخلـودِ

لم يخرج الشاعر عن قيود الشعر التقليدي ، بل سار كما نهج غيره في المطالبة للعينين أن تجودا بالدمع على بكاء الراحلين ، وتعد ألفاظ الشاعر وعباراته من القول الذي يتناوله عامة الناس عندما يودعون أحبتهم إلى الدار الآخرة .

---

(1) السابق ، 72 ، 73.

(2) خالد سعيد : ديوان الأسرى أولاً ، 45 .

ولعل الشاعر صلاح الدين الريماوي أكثر إبداعاً من غيره من بعض الشعراء ، فقد نظم قصيدة في رثاء فقيد الرياضة "ماجد أسعد" ، أحدث فيها تجديداً في الشكل ، لكنه حافظ على المضمون . فيقول في قصيدة "فقيد الرياضة" [1] :

أنت يا ماجد أسعد
زدت أرض الطهر طهراً
وحللت القبر نجماً
ساطعاً ليلاً وظهراً
قد ملأت الأرض بذلاً
وعطاء مستمراً
فغدا في الخلد ورداً
حول دار لك أخرى
يانعاً حلواً شذياً
نافثاً في الجو عطراً

وفي غرض الرثاء لا بد من ذكر الصفات والأعمال الطيبة للفقيد ، فالشاعر يتحدث عن تحمل الفقيد للصعاب وقت الشدائد ، وأنه رجل مؤمن بالله ، وأنه رجل أعمال لا رجل أقوال فيقول [2] :

كنتَ من يطوي الصعاب
عندما الأعباء تترى
في زمان نحن فيه
لم نعد نملك أمرا
كنتَ من يؤمن دوماً
أن بعد العسر يسرا
من يفر من بلاءٍ
يائساً يجرع خمرا
ودواء الصبر أجدى
لو بدا صعباً ومرا
إن ذكراك خلود
لأمانيك فبشرى

---

(1) صلاح الدين الريماوي : ديوان من محاسن الطبيعة ، 56 .
(2) السابق : 57 ، 58 .

ستری أن الأماني
لم تعد قولاً وحبرا
بل صروحاً وعطاء
مثلما رمتَ ونصرا
وسنهدي منك كأساً
لائقاً في كل ذكرى
يتبارى الأهل فيها من فلسطين فشكرا
رحم الله وفياً
أودع الأجيال فكرا

مال الشاعر صلاح الدين الريماوي في قصيدته إلى التقليد والمحـاكاة ، والاقتباس مـن القـرآن الكريم ، ونقل معانيه في رثائه نقلاً حياً بعيداً عن الإبهام والغموض ، فهو يهدف إيصال حزنه إلى الجماهير مكتفياً بذكر الصور المحسوسة والمألوفة عند كثير من النـاس ، لـذلك جـاء عرضـه سطحياً ، ولم يترك لفكره أن يسبح في الفضاء ليخلق عالماً جديداً من الإبداع والابتكار ، فالصور المستخدمة لا تدعو إلى إثارة المشاعر والانفعال حتى يجد الشاعر مشاركة وتجاوباً معه في حزنه على الفقيد .

ومن الرثاء الفريد ما فعله الشاعر عبد الكريم العسولي حيث رثى عصفوراً قـضى فـي قفص على يد طفل صغير تسلل إلى عشه وقام بخنقه ، لعل الشاعر يرمز إلى الحريـة المفقـودة فاستخدم العصفور رمزاً للشعب الفلسطيني الأسير ، ورمز بالطفل إلى القاتل الصهيوني الذي جرد الإنسان الفلسطيني من أرضه ، ويحاول أن يجرده من أحلامه ، يقول الشاعر في قـصيدة "رثـاء عصفور" (1) :

قد حـزت عـصفوراً كأنـسام الـسحر	**يزهو كزهـر حاويـاً أبهـى الـصور**
الله أهـــداه الجمـــال جميلـــه	**وكـساه ثوبـاً قـد تحلـى بالـدرر**
القـــد عـــسجد والعقيـــق بـــصدره	**والـــذيل يـــاقوت تنـــاظم وانتثـــر**
والـــرأس كللـــه بـــديع زمـــرد	**خلـــق تكامـــل بـــاهراً كـــل نظـــر**
يـــشدو بأنغـــام وصـــوت ســـاحر	**تهفـو لـه كـل القلـوب وتنـسحر**
وأهـــيم منتـــشياً بعـــذب غنائـــه	**والقلـــب يـــرقص ناســـياً ســـود الفكـــــــــــــــــــــــــــــــــر**
كـــم حطتُـــه برعـــايتي ومحبتـــي	**أســكنْتُه قفــصاً جمــيلاً لــم أجــر**

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان دموع وشموع ، 141 .

أسـقيتُه عـذب الميـاه مـودة   أطعمته مـا لـذ مـن طيـب الثمـر

ويتابع الشاعر وصف حياة العصفور في قفصه ، وقد فقد حريته ، وكان الشاعر يريـد أن يفـك أسره ، ويجعله يعيش حياته في وطنه الذي يختاره ، فيقول (1) :

فـإذا بقلبـي يـصطلي متألمـاً   لحيـاة قيـد عاشـها طـول العمـر
فـوددتُ أن أهديـه حلمـاً ضـائعاً   وأفـك قيـده كـي يطيـر وينتـشر
لكنهـا الأيـام مـن أخلاقهـا   تكسو جميـل العـيش أشـواك القـدر
وتبـدد الأحـلام حـين لذيـذها   وتـذيقنا كـأس المـرارة والغـدر
فـي غفلـة منـا تـسلل طفلُنـا   عـصر الكنـار بقبـضة لـم ينتظـر
مات الحبيـب الحلـو وسـط قيـوده   رجـف الفـؤاد عليـه وانفطـر النظـر
نزفت دمـوعي مـن عيـوني حـرة   وجـداً علـى خـلٍ وفـي ثـم انـدثر

ثم يبين الشاعر أنه كفن صديقه الحبيب في ورقة من دفتره ، وعاد كمن فقد أحبتـه بعـد حـرب ضروس ، ويفاخر الشاعر أن الطير أنبل وأقدس من حثالات البشر ، فالطير لم تضر الإنسان في حياته أبداً ، بل كانت في خدمته دوماً ، والشاعر ينتقد شر البشر الذين لا يقدرون حياة غيرهم ، فسيطر عليهم الحقد والكراهية ، وأطلقوا لأيديهم العنان في قتل الآخرين بلا ذنب ارتكبوه ، يقـول الشاعر(2) :

كفنْتُـه بوريقـة مـن دفتـري   وصـنعتُ لحـداً للـصغير كمـا القبـر
ورجعـتُ بعـد وداعِـه كمحـاربٍ   فقـد الأحبـةَ والـصحاب ومـا انتـصر
وجلـستُ وحـدي أسـتعيد خـواطري   وألـوذ بالـصمت الكئيـب وأصـطبر
يـا أُمـمي لا تـستغيبوا قـصتي   فـالطير أنبـل مـن حثـالات البـشر
الطيـر يـصدح بالجمـال فينتـشي   قلـب الحـزين وبالـسعادة يزدهـر
إن الطيـور كمـا الزهـور رقيقـةٌ   فاحـذر أخـي مـن أن تبـيح دم الزهـر

في هذه القصيدة وفق الشاعر في اختيار ألفاظه التي حملت شحنات دافقة مـن الـدلالات وقـوة العاطفة ، وعرض الشاعر أفكاره في شكل قصة متلاحمة العناصر ، ولم يتخل الشاعر عن التقليد

---

(1) السابق ، 142، 143 .
(2) السابق ، 143 ، 144 .

فاستخدم وحدة الوزن والقافية ، واهتم بجمال الصياغة وقوة الأسلوب وجمال الصور البلاغية الجزئية .

ومن سمات الاتجاه الكلاسيكي في الرثاء ، ما قام به كثير من الشعراء في رثاء الشهداء والإشادة بتضحياتهم ، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر من ذكر شهيد أو أكثر ، ولعل هذا الاتجاه ما يميز الشعر الفلسطيني عن غيره من الشعر العربي الحديث .

ومن الشعراء الذين رثوا قادة الشعب الفلسطيني الشاعر علاء أحمد الكريري الذي رثى الرئيس الراحل ياسر عرفات في قصيدة عنوانها "أبا عمار .. وداعاً" (1) :

فَقِد العزيز فأجهشت عينايا	**وتلعثمت لفراقه شفتايا**
مات المفدى في فرنسا ليته	**في القدس فارق كي تصله يدايا**
بكتِ السماء عليه حتى أغرقت	**أرض القداسة ، ما خطت قدمايا**
وبكت لفقدك ياسراً كم أمةٍ	**فقدت ندى كفيك خير عطايا**
نبكي فراقك قائداً ومعلماً	**وتحرقت كم أمة ورعايا**
يا ياسراً جادت عليك هوامع	**بكت الفراق عليك يا أبتايا**
قد عشت حراً في حياتك ما انحنت	**للغدر رأسك أو رضيت بلايا**

اتبع الشاعر في رثائه الاتجاه الكلاسيكي ، فاهتم بالألفاظ والأسلوب ، واستخدم ألفاظاً يستخدمها عامة الناس عندما يودعون عزيزاً ، وكان الشاعر قد بدأ قصيدته بالتصريع الذي درج عليه الشعراء منذ العصر الجاهلي .

وأظهر الشاعر عبد الكريم العسولي حزنه وبكاءه على سقوط الرئيس الرمز ، وشاركته المآذن والصخرة المشرفة والكنائس ، هذا الزعيم الذي رحل دون أن يحقق حلمه في حرية شعبه الذي جرى دمه جداول لا تنضب . يقول الشاعر في قصيدة "سقوط الكوفية" (2) :

السور يبكي والمآذن تسكب	**والصخرة الثكلى تنوح وتندب**
وكنائس القدس العتيقة هزها	**نبأُ الرحيل وبالأسى تتخضب**
رحل الذي عشق الجبالَ وطيبها	**وأزقةً تهفو إليه وتطرب**
حلم ترعرع كالربيع بقلبه	**وسقاه حباً والهوى يتغلب**
حلم نما وامتد يعلو شامخاً	**بدم روته جداولٌ لا تنضب**

---

(1) علاء أحمد الكريري : ديوان درر السعداء في واحة الشعراء ، ص 38 .

(2) عبد الكريم العسولي : أعاصير الزنابق ، 64 .

وأشار الشاعر إلى سقوط الكوفية السوداء رمز الشعب الفلسطيني ، وأشاد بصفات الراحل وصموده وتحديه للصعاب والأزمات ، فيقول في القصيدة نفسها (1) :

كوفيةٌ حملتْ متاعب أمةٍ ... وسمت إلى العلياء شمساً تكتب
ورعتْ قلوباً في الظلام تبعثرت ... وتلملمتْ لابن الكرامة تشرب
جبلٌ تحدى الريح يوم عواصف ... وبنى رجالاً كالصواعق تغضب
صادوك في الظلمات خوفَ زلازلٍ ... وسقوك سماً في الدما يتسرب
فإذا رياحك باللظى تتضرم ... وإذا برعدك لعنةٌ تتصبب

ويطالب الشاعر القدس وربوعها بأن تستغرق في بكائها ؛ لأن الرئيس رحل دون أن يصلي في المسجد الأقصى الذي تاق قلبه إليه ، ويعلن الشاعر أن الفقيد سيبقى علماً يرفرف فوق المساجد والكنائس التي عشقها والتي لن تستريح حتى تضمه في صدرها (2) :

فابكي ربوع القدس وجداً وامطري ... شمس الحبيب عن المآذن تغرب
ولتذكري يا قدس دوماً مقلةً ... تاقتْ إليك وبالنوى تتعذب
عبقُ الشهيدِ يشدنا لبطولةٍ ... فيها الأسود كواسراً لا تغلب
والريح تزأر للحبيبة زحفها ... والبدر فوق جبينها لا يحجب
علم سيخفق في العلا متطاولاً ... فوق المساجد والكنائس يلعب
لن تستريح ولن تقر عيونُها ... حتى يضمك صدرها المتطيب

وإذا كان الرئيس قد رحل ، فإنه ترك خلفه شعباً لا يكف عن ذكر فضائله ، وعن ملاحقة العدو الصهيوني ، وستظل الكوفية رمزاً يذكره الشعب الفلسطيني ويبكيه (3) :

فاهنأ قرير العين وارقد سالماً ... إن الكتائب للدجى تتعقب
شعب أبي لا تجفُّ عيونُه ... يهوى النجوم وبالردى يستعذب
من يمقتِ الظلماتِ يصنع فجره ... ويظل يرعى عوده ويطبب
ويذود عنه على الدوام غمامةً ... يسقيه من دمه الزكي ويسكب
ستظل تذكر بالجوى كوفيةً ... صنعت أسوداً للفدا تتعصب

---

(1) السابق ، 65 .

(2) السابق ، 66 .

(3) السابق ، 67 .

في الأبيات السابقة استطاع الشاعر أن يذكر الكثير من المعاني التي تضمنت تفصيلاً حول سقوط الرئيس مسموماً بأيدي الغدر والخيانة ، فذكر الشاعر حزنه وحزن شعبه على رحيـل زعيمـه ، وأظهر مشاركة المسلمين والمسيحيين معاً في هذا الحزن العميق ، لكن الشاعر لم يعتمد الخيـال المبدع في قصيدته بالرغم من العاطفة الشديدة ، فمن الملاحظ التسجيل الحسي والعقلي بأسـلوب تقريري لأفكاره التي غاب عنها الترابط والتلاحم ، فما زالت عناصر تجربته الشعرية بحاجة إلى الانصهار والاندماج .

أما الشاعرة رحاب كنعان فقد خالفت الشعراء السابقين في رثائها للرئيس الرمز في شكل القصيدة ، فاتبعت القصيدة التي تعتمد على التفعيلة ، ولكنها اتفقت معهم فـي المـضمون ، فلـم تلامس ألفاظها وصورها قلب القارئ ؛ لأنها تحدثت عن الرئيس كما يتحدث عن صفاته وإنجازاته عامة الناس . فهو فارس همام بذل عمره لمسح الهزائم التي لحقت الأمة العربية ، تقول الـشاعرة في قصيدة "الفارس الهمام" [1] :

من رحم الموت
نهض كالفارس الهمام
ومن عمق الجرح
قسم وعهد والتزام
بالصمود والتواصل
حتى تأفل جحافل التتار
ويعم السلام
وهب عمره بالوفاء
لوئد الانهزام
حمله بساط المنفى
أرضعه من دمع القهر
جعل من قلبه قنبلة .. تولد ثورة
ليتحقق حلم تعاهدناه

---

(1) رحاب كنعان : ديوان شلال الفصول الثمانية ، 23 .

كما بينت الشاعرة حجم المؤامرات والحصار على الرئيس إلا أنه استطاع أن يصمد ويقـاوم وأن يثبت في وجه العواصف ، فاستحق أن يكون أسطورة تاريخية ، ثم تبين أن الكوفيـة الفلـسطينية ستبقى رمز الوطن . [1] :

حاصرته أنياب الشيطان
تحدى طقوس الظلام
لا هزته الزواحف..
.. ولا العواصف....
قلب وجه التاريخ واللئام
طبع على جبين الأمة العبر
هتف بالروح بالدم
نفديك يا حلمنا المرام
ركب صهوة الأمواج
ورغم جمود الصهيل
بلور صورة النضال
وتبلور بأصعب الأرقام
أرضعنا الكبرياء
تجذر بأعماقنا
اقتلع سم الأخطبوط من وريد هويتنا
ثبت دستور الاستقلال
وكان أسطورة
في تمزيق دفتر الترحال
فسلام لك
يا كوفية الوطن
يا رمز الثوار
يا .. أبا عمار

(1) السابق : 23 ، 24 .

لم تأت الشاعرة بجديد في قصيدتها ، إن أي شخص يستطيع أن يتحدث عـن أعمـال وصـفات الرئيس ، وأن يشيد بدوره في خدمة الوطن ، لكنها استطاعت أن تترجم أفكارها في قصيدة اتخذت شكلاً جديداً يخالف الشعر التقليدي المألوف .

ورثى الشاعر محمد البع الشهيد الشيخ أحمد ياسين الذي كان مـن عظمـاء الـشعب الفلـسطيني والشعوب الإسلامية ، فلم يرحم الصهاينة عجزه وقلة حيلته ، فقاموا بقتله ، ولم يفلحوا فـي قتـل فكره وإسلامه ، ويشيد الشاعر به ، فقد فاق كل الملوك والزعماء ؛ لأنه استطاع أن يحرك أمـة بأسرها ، يقول الشاعر في قصيدته "فارس الكرسي" (1) :

يـــا فـــارس الكرســـي يـــا علـــم	**دانـــت لـــك التيجـــان والهمـــم**
فيمـــا فعلـــت وكـــدت تفعـــل فـــي	**درب الجهـــاد وعـــزك القلـــم**
فيمـــا روى الخطبـــاء والـــشعراء	**وكـــل مـــا كتبـــت لـــك الأمـــم**
وقـــف الزمـــان لفعلـــه عجبـــاً	**شـــيخ قعيـــد كلـــه شـــمم**
يـــا ليـــت شـــعري لا يـــدان لـــه	**تعلـــو ، ولا تمـــشي لـــه قـــدم**
يـــا ويـــح حكـــام اليهـــود بمـــا	**فعلـــت أيـــاديهم ومـــا عزمـــوا**
مـــن قـــتلهم شـــيخ انتفاضـــتنا	**حقـــاً لأنفـــسهم لقـــد ظلمـــوا**
فهـــم حثالـــة كـــل عالمنـــا	**يـــا ويلهـــم لـــن ينفـــع النـــدم**

وتستمر إشادة الشاعر بالشهيد الذي أقسم على النصر أو الشهادة ، ثم أظهر بكاء القدس وصخرتها عليه ، واستشهد بكلامه أن الأرض لا يردها الدمع والمفاوضات ؛ وإنما تردها السواعد والدماء ، فيقول (2) :

يـــا فـــارس الفرســـان قلـــت لنـــا	**العهـــد للمـــولى هـــو القـــسم**
إمـــا لنـــصر نـــستريح بـــه	**وإمـــا الـــشهادة للعـــلا كـــرم**
فالـــصخرة العظمـــى لقـــد نزفـــت	**والقـــدس تبكـــي الأهـــل والحـــرم**
قومـــوا نطهـــر أرضـــنا زمـــراً	**مـــا عـــاد يجـــدي الـــدمع والكلـــم**

(1) محمد رمضان البع : ديوان أناشيد المقاومة ، 8 .

(2) السابق ، 9 .

تناول الشاعر في أبياته السابقة أفكاراً تقليدية لموضوع تقليدي ، وبدأ قصيدته بالتصريع على عادة الشعراء القدامى ، أما الألفاظ والعبارات فقد خلت من الدلالات والإيحاءات ؛ واعتمد الشاعر على الخطاب المباشر ، كما التزم بوحدة الوزن والقافية والحفاظ على شكل الموسيقى الخارجية .

كما بكى الشاعر عبد الكريم العسولي بنفس الطريقة والأسلوب الشهيد الشيخ أحمد ياسين ، وكان بكاؤه بألفاظ أخرى مغايرة لسابقه ، أما المعاني فتكاد تكون واحدة ، فيقول الشاعر في قصيدة "رثاء / الشهيد الشيخ أحمد ياسين" [1] :

جودي بحور الحب حزناً واهدري ... وابكي الإمام على الدوام وكبري
وتوشحي يا قدس غيماتِ الأسى ... وتجرعي مر النوى واستكثري
وارثي حمام الكون أنبلَ مهجةٍ ... واهدلْ بأمجاد الشهيد الأزهر
ضجت له الأوطان واستعر الملا ... والكون وحده شموخُ مسافر
شرقاً وغرباً في القلوب رواجفٌ ... والحب أنغام برعد حناجر
شيخ نما كالصبح في عصف الدجى ... وسعى نجوماً في الطريق الحائر

ووصف الشاعر الشهيد بصفات لا يتمتع بها أي قائد آخر كالعجز وكثرة الأعداء ، وحمل هم القضية الفلسطينية ، وتعليم الآخرين كيف تكون الشهادة في سبيل الله ، فيقول [2] :

لم يثنه عجز وقسوةُ علةٍ ... وسياطُ بؤس أو صروف تكدر
حمل القضية واشترى أهوالها ... ومضى جواداً في وغى متسعر
وبنى صروح شهادة فوق الذرا ... متسلحاً بعقيدة المستنصر
أسد تكللَ بالفلاح لواؤها ... وتطاولت هاماتها بالبواتر

وتستمر الإشادة بالشهيد الذي سطر صفحات بيضاء في جهاد الأعداء الغاصبين ، وبعث جيلاً يسير على خطى الصحابة ، كما يظهر الشاعر أساه وتحسره على رحيل الشهيد ، لكن ما يخفف الألم والأسى أن الشهيد يغرق في جنة الفردوس متمتعاً بنعيمها الخالد ، فيقول [3] :

يا صانعاً شمس الجهاد جليلة ... ومجدداً سيف النبي القاهر
أشجيتنا يوم الفراق بحرقة ... وتركتنا في لوعة وتحسر
ورحلت يا روض الفداء مكرماً ... وسموت في نور وعرس باهر

---

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان شقائق النعمان ، 7 .
(2) السابق ، 8 .
(3) السابق ، 11 .

تكاد تكون الألفاظ المستخدمة في الرثاء متشابهة في الاتجاه الكلاسيكي ، فالشعراء يشتركون في ذكر الصفات من بناء الأجيال وشحن الأمة ، وحثها على القتال لدحر الاحتلال ، كما تشابهت طريقة تعبيرهم .

والشاعرة رحاب كنعان تلتقي مع الشعراء السابقين في معظم مظاهر الاتجاه الكلاسيكي ، لكنها اختلفت عنهم في شكل القصيدة ، إذ لم تتبع الشكل التقليدي المألوف ، وإنما سارت على نظام شعر التفعيلة ، وتعبر الشاعرة عن حزنها على الشهيد أحمد ياسين ، وتشيد بصفاته وأفعاله ، وتكشف دوره في التضحية والجهاد ، فتقول في قصيدتها "العجول الهائجة" [1] :

لا تقلق يا قلعة المجد
فقلبك العامر بالصلوات
لم يزل معنا
يغذي نبتنا
يحلق في أفقنا
تحرسه عشائر الكواكب
كيف لا ..
وأنت غرس
أنبت الجهاد .. والاستشهاد
حفرت بدمك الثائر
كلمات تضيء كل ميلاد

ثم تناشد الشاعرة الأنفس الفلسطينية والإسلامية أن تستقر وتهدأ ، والأشجار المثقلة بالهموم أن تتحمل ، وبعثت الشاعرة سلاماً إلى الشهيد الذي كان قعيداً ، لكنه استطاع أن يحرك أمة ، وبينت أنه سيظل نوراً مشعاً في كل مكان ، وشوكة في حلوق أعدائه متحدياً غطرستهم [2] :

يا أوجاع الأرض اهدئي
يا أشجارنا المثقلة بالحنون تحملي
فموت الجذور إحياء
ومجزرة الفصول هزيمة

---

(1) رحاب كنعان : ديوان شلال الفصول الثمانية ، 25 .
(2) السابق ، 25 ، 26 .

سلاماً يا من امتطيت صهوة الخلود مقعداً
ستبقى نبراساً .. لسنابل
ستخرج من فم المهد
تحلق فوق الشواهد
تنشر أريج الصبح
لكل منفى ..
ينزف حنيناً للأرض
وتدوس العجول الهائجة
تتحدى أعاصير الإبادة
تعلق الندى
في ساحات الشتاء

في القصائد السابقة التي تمثل الاتجاه الكلاسيكي تعامل الشعراء معاملة سطحية في معظم موضوعاتهم وأفكارهم ، وكانت معظم قصائدهم تفتقر إلى الوحدة الموضوعية وإلى الألفاظ والعبارات الموحية والمعبرة عن العاطفة المتفجرة ، واكتفى الشعراء بالتحليل الظاهر ونقل المعاني نقلاً حسياً دون التعمق في جوهرها ، فعالجوا المظهر وتركوا الجوهر . ولم يخرجوا في هذا الاتجاه عن الأغراض الشعرية القديمة التي عرفت في كل العصور الأدبية السابقة كالغزل والفخر والرثاء ، والانشغال بالمناسبات الدينية والوطنية .

الباب الثالث

الفصل الأول : الظواهر اللغوية

الفصل الثاني : الظواهر الفنّية

الفصل الأول

الظواهر اللغوية

لكل فنان أدواته الخاصة التي يعبر بها عن فنه ، وكلما اجتهد وتفنن في اختيار هـذه الأدوات خرج فنه سامياً يشهد له بالإبداع والجودة . والشاعر – كواحد – من هؤلاء الفنانين يقوم أدبه على أربعة أركان عرفت عند الأدباء قديماً بعناصر الأدب الأربعة وهي : العاطفة والخيال والمعنى أو الفكرة ، ثم اللغة أو العبارة أو الأسلوب [1] وتبقى اللغة وعاء الفكر ، فهي التي تـشكله وتعطيـه جنسه الأدبي بين الأجناس الأدبية المختلفة ، ويستطيع الشاعر مـن خلالهـا ترجمـة أفكـاره وعواطفه ، ولا يمكنه أن يوصل ما يريد بلغة الإشارة . كذلك يحاول الشاعر جاهدا أن ينتقي مـن الألفاظ التي لا حصر لها ما يراه مناسباً وموضحاً لما يدور في عقله وقلبه ، ويشكلها كما يريد أو كما تقتضي نزعته أو اتجاهه . قد جعل عبد الملك مرتاض تشكيل اللغة كالماء فـي اسـتخدامه . فيقول : "فمنهم من يبرده ليشربه ، ومنهم من يتخذه لغسل الملابس ، ومنهم من يضيف إليه الـثلج وبعض القطرات لتلذيذ مذاقه" . [2]

ويظهر إبداع الشاعر في استخدامه للغته الأدبية ، فقد يدفع الاستخدام الجيد وجودة الأسـلوب أثناء القراءة إلى إصدار حكم على المقروء ، والإقرار بالجودة والجمال كأن الكلمات والعبـارات المستخدمة وجدت لأول مرة مع أنها متداولة ، لكن البراعة ودقة الفن دفعت إلى الشعور بالجمال والإعجاب ، وفي المقابل هناك ألفاظ لا تغادر قاموس اللغة ؛ لأن مستخدمها لم يخرج بهـا إلـى إطار الجمال ، فتبقى في معجمها اللغوي ولا تغادره إلا إذا أضفت عليـه روح الاسـتخدام دقـة ونعومة . ويقول عبد الملك مرتاض [3] : "وإننا لنقرأ لفظاً في بيت من الشعر ، أو في مقالة أدبية جميلة ، أو في رواية أنيقة النسيج ، عالية الأسلوب { دعاء الكروان لطه حسين مثلاً } ؛ فيخيـل إلينا أننا نقرأ مثل ذلك اللفظ ، أو مثل تلك الألفاظ ، لأول مرة ؛ وكأن ذلـك الأديـب هـو أبـو عذرهـا ، وهو أول من استعملها واخترعها ؛ مع أننا كنا نعرف ذلك اللفظ من قبـل . ولكـن لا سواء معرفتك لفظاً قابعاً في المعجم ، واستعمالك ذلك اللفظ الذي كان قابعاً في المعجم فتحوله إلى عروس مجلوة وإلى شهد عسل مشتار ، وإلى وردة تعبق بالشذى ، وإلى كـائن يطفـح بالحيـاة والضفوان" .

ويمكن القول إن اللفظ المعبر والوحي المستخدم في العمـل الأدبي يكتب الخلود لذلك العمل ، فكم من عمل أدبي ظل خالداً في التاريخ لجودة ألفاظه ومعانيه وحسن صياغته وروعة أسلوبه .

---

(1) نبيل أبو علي : شاعرات عصر الإسلام الأول ، دار الحرم للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2006 ، ص 164 .

(2) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1998 ، ص 108 .

(3) السابق ، 108 – 109 .

أولاً : اللّفظ والأسلوب

لقد فاضت دواوين الشعراء الفلسطينيين بالألفاظ والعبارات التي اتخذت عمقا أكبر ودقة أكثر في التعبير عن معاناة الشعب ووصف همومه وغرقه في الآلام بعد ضياع الوطن ، وتشتت وتهجير الأهل . وأخذت الألفاظ تمتلك إيحاءات تعبيرية هائلة ، واستطاع الشعراء الفلسطينيون أن يطوروا لغتهم الشعرية بما يتناسب مع الحالة الفلسطينية والأحداث المتلاحقة في تاريخ قضيتهم .

وفي الوقوف عند الشاعرة رحاب كنعان في بكائها على طفلها تظهر الألفاظ المعبرة عن شدة الحزن والألم . فتقول في قصيدة "رسالة إلى ولدي الشهيد ماهر" (1) :

سأنتظرك .. يا ولدي
عند زيتونة باركها الله
تفيأ بظلها الرسل
لننتظر بزوغ الفجر
وستبقى يا شهد روحي
أغنية للفجر
تعيش بين الضلوع
حتى فناء العمر

استخدمت الشاعرة ألفاظاً موحية ومعبرة عن حالتها النفسية الحزينة ، وكانت هذه الألفاظ بعيدة عن الغموض والإبهام ، ومن هذه الألفاظ (يا ولدي ، زيتونة – بزوغ – يا شهد – فناء) ، ولم تعتمد الشاعرة على التكرار إلا في لفظتين هما (سأنتظرك ، لننتظر) ؛ لتبين مدى شدة شوقها إلى ولدها الشهيد ، واستخدمت حرف السين المقرون بالفعل المضارع في (سأنتظرك – ستبقى) لتظهر أن موعد اللقاء لن يطول . كما استطاعت الشاعرة أن توظف التراث الديني في (زيتونة باركها الله – تفيأ بظلها الرسل) .

إن الألفاظ التي استخدمتها الشاعرة جاءت معبرة بوضوح عن شدة انفعالها لفراق ولدها ، وهي ألفاظ تجعل القلب ينفطر حزناً والعين تسكب دمعاً . ولعل لجوء الشاعرة إلى الشعر الحر أعطاها حرية واسعة للتعبير عن أفكارها ، فيمكن أن يقيدها الشعر العمودي عن هذه الحرية لما به من ضوابط وأوزان ، كما اعتمدت الشاعرة على الأسلوب الخبري ؛ لتظهر صدق عاطفتها نحو ولدها ، ولتظل تعيش متأملة لقاءه في ظل زيتونة على أرض فلسطين .

---

(1) رحاب كنعان : ديوان شلال الفصول الثمانية ، 39 .

وفي قصيدة "رسالة من الجنة" يرسـل الشهيد رسـالة إلى أمـه مـن جنـة الفـردوس . فتقول[1]:

فيا جنة الفردوس .. قلبي ينشدك
فاسمعيني .. مع الترتيل والله أكبر
كفكفي دمعك .. بآيات السور
حتى يحين حكم القدر
وتجملي بالصبر .. ولا تحزني
لأني وكل الشهداء
مع الصديقين والأنبياء
فسلام لك
وسلام علي
من قاب لرؤياك ..
طالما انتظر

في الأسطر السابقة بدأت الشاعرة حديثها بالنداء لتبين شدة شوقها إلـى الجنـة حيـث يرقـد ولدهـا ، وفي السطر الثاني استخدمت أسلوب الأمر (فاسمعيني) وكأنها تسعى لوجود تواصل مع الشهيد في جنته ، ثم تطالب في السطر الثالث بنفس الأسلوب أن تمسح الـدموع عـن عينيهـا ؛ ليحاول أن يطمئنها الشهيد أنه في راحة ، لعل أمه تجد نفس الراحة في دنياهـا ؛ لأن الطمأنينـة جاءت في الأسطر اللاحقة حيث يرقد الشهيد مع الأنبياء والصديقين ، وكانت الشاعرة موفقة فـي مزج الأسلوب الإنشائي بالخبري الذي ينتج قوة العاطفة ويتلاءم مع الجو بنفسي للشاعرة .

ولم تنفصل الشاعرة عن ثقافتها الدينية فاستخدمت (سلام لك – وسلام عليك) متـأثرة بقولـه تعالى [2] وأما إن كان من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين .

وهذا التأثر يدل دلالة واضحة على الشاعرة وجدت راحة نفسية في هذه الرسالة التي تلقتهـا من ولدها في الجنة ، بالرغم من الحزن والألم الذي يملأ قلبها لفراقه .

وأجادت الشاعرة استخدام الروابط بحروف العطف ، فاستخدمت حرف الفاء الذي يفيد الترتيب والتعقيب مثل (فاسمعيني ، فسلام) ؛ لتبين أن الشاعرة استجابت لنداء ولدها .

(1) السابق ، 41 .
(2) سورة الواقعة : آية 90 – 91 .

إن الألفاظ التي عبرت به الشاعرة عن عاطفتها جاءت متناسقة مع جوها النفسي ، وابتعدت عن التنافر اللفظي والتكرار ، فهي ليست في حاجة إلى توكيد المعنى ؛ لأن عاطفة الأمومة أقوى من كل عاطفة ، واتسمت باللين والرقة .

ويمكن ملاحظة دقة التعبير وجمال الاستخدام للألفاظ عند الشاعر عبد الكريم العسولي في قصيدة "أماه" يرثى بها حال الشعب الفلسطيني ويندد بالصمت العربي . فيقول [1] :

أماه
الليل يزحف بالسواد
والعار يهطل بالمطر
والناس في وحل تغور
والغيم يبتلع القمر
أماه قد نعق الغراب
على جثامين الشجر
والطير ذاب بعشه
والأرض أدمتها الحفر
أماه مات أحبتي
والعين أنهكها العويل
وأخوة الكلمات ما عادت
تبل لنا الغليل
لم يبق إلا نجمة في مقلتي
تقتادني نحو السبيل
لم يبق إلا جمرة في مهجتي
في نارها الأمل الجليل

استطاع الشاعر أن يمزج بين الألفاظ الحسية مثل (الليل – العار – المطر – الغيم – الغراب – الشجر – الطير) والألفاظ المعنوية مثل (الغليل – الأمل) ، ورسم الشاعر بهذه الألفاظ صورة فنية متكاملة ، وأعطى صورة حزينة لحال الشعب الفلسطيني على مدى عقود طويلة ، فليله أصبح قاتماً ، وقمره حجبته السحب فلا أمل بالخلاص ، أما الغراب جعل الأشجار المجتثة بيتا ، والطيور قد ماتت في أعشاشها ، وما عادت الأرض تصلح لحياة إنسانية ، وبين حال الإخوة

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان شقائق النعمان ، 116 – 117 .

العرب الذين برعوا في صياغة الألفاظ المنددة والمستنكرة ، ولم تبق إلا نفسه التي تحمل الأمل وتسعى إلى الخلاص من المحتل الغاصب .

لقد خرجت ألفاظ الشاعر من معجمها اللغوي وحملت دلالات وإيحاءات عظيمة فاضت بالحركة والحيوية ، واستطاعت هذه الألفاظ أن تعبر عن عاطفة الشاعر الحزينة . وظهرت براعة الشاعر في استخدام الأفعال المضارعة (يزحف – يهطل – يبتلع – يبق – تقتاد) التي تدل على استمرار المأساة وعمق الجراح في جسم الشعب .

واعتمد الشاعر في قصيدته على الأسلوب الخبري الذي وجد فيه ما يوضح أفكاره ويبرز عاطفته ، وكان استخدام النداء في مطلع القصيدة (أماه) لجذب الانتباه وبيان صعوبة الحال وجمود قلب العالم الذي لا تحركه المعاناة الإنسانية . كما اعتمد الشاعر في تكرار أسلوب القصر (لم يبق إلا ...) ليبين أن الشعب ما زال صامدا وآملا ينتظر الفرج وزوال الأحزان والهموم التي فرضها المحتل الصهيوني وصمت العالم .

ويؤخذ على الشاعر استخدامه للفعل (تقتاد) حيث استخدم حروفاً من مخارج متقاربة يصعب النطق بها ، ولكنها لم تكن قبيحة ، بل وضحت قوة الأمل في القلب نحو نهاية المعاناة .

إن الشاعر كان موفقاً في اختيار ألفاظه وأساليبه التي ابتعدت عن التعقيد والتنافر ، واستطاع أن يناسب هذه الألفاظ والتراكيب لعاطفته المتأججة .

وفي قصيدة "الشهيد الطفل / شكري العسولي" تظهر عاطفة الشاعر واضحة في حزنه على الطفل الشهيد . فيقول [1] :

شكري فقدتك يا بني
قد كنت لي كنزا ثمين
قد كنت لي خير البني
قد كنت لي نعم المعين
ورأيتُ فيك طفولتي
وملامحي طول السنين
أرنو إليك فأنتشي
وأهيم مثل العاشقين
ولقد رأيتك تعتلي
وتطول مثل الياسمين
فيصير حلمي أخضرا

(1) السابق ، 126 .

والدنا فرح سمين

لم يكن الشاعر في حاجة لتكرار (قد كنت لي) ثلاث مرات ليؤكد حزنه على الطفل الشهيد ؛ لأن الشهيد كنز ثمين وهو نعم الولد ، ومنه تستمد القوة والحياة . لكن هذا التكرار لم يضعف الألفاظ ولم يقلل من مكانتها الدلالية على حزن الشاعر . كما ابتعدت الألفاظ والتراكيب عن التعقيد والغرابة ، وجاءت الحروف من مخارج ليس فيها اضطراب أو صعوبة في النطق ، فالرثاء ينبغي أن يختار من الأسلوب أرقه ، ليتناسب مع العاطفة التي بني عليها الرثاء ذات رنين ووقع في النفس ناتج عن انسجام الحروف وتناغم الأصوات . (1)

ويؤخذ على الشاعر قوله : "وأهيم مثل العاشقين" ، فمن المعروف أن العاشق يفقد صوابه ويهيم على وجهه عندما يرى محبوبته ، لكن الشاعر ليس في حالة رؤية ، وإنما في تصور وخيال للشهيد بعد رحيله ، فكيف يهيم هيام العاشقين وهو يراه يعلو ويرتفع مثل الياسمين ، وبعد تأثره بعد هذه الرؤية يصبح حلمه أخضر والدنيا يملؤها الفرح . فتصبح الصورة مضطربة ما بين الحزن الشديد والفرح الشديد الذي يتحدث عنه الشاعر في آن واحد . كما يؤخذ على الشاعر تركه صرف الاسم المنصرف (ثمين) وصرف الاسم الممنوع من الصرف (أخضرا) ، وليس من سبب سوى الضرورة الشعرية .

وخلاصة القول إن الألفاظ والأساليب جاءت سهلة وواضحة ، واستطاعت أن تعبر عن حالة الشاعر النفسية . ولم يعتمد الشاعر على كثرة الألفاظ في الأسطر السابقة ، وإنما اعتمد على دلالتها في توضيح الفكرة وإبراز العاطفة .

وقد تكون الألفاظ سهلة وواضحة ، إلا أن المعاني تكون ضعيفة ، كما يبدو في قصيدة "نفحة للشهيد يحيى عياش" للشاعر خالد سعيد (2) :

ما كنت أؤثر أن ترثيك أشعاري	يا مسعف الحرم المذبوح بالثار
الشعر يشرف إذ يرثيك يا بطلاً	يرنو إليك كبدر في الدجى سار
سريت من ضفة القسام متنقلا	إلى القطاع قطاع النور والنار
قبستَ من "أحمد الياسين" شعلته	فجرت خيبر حصن المكر والعار
ضحيت بالنفس والدنيا وزينتها	تحمي المساجد والأعراض في الدار
يظل يحيي شعار الطفل يكتبه	على الدار على أوراق أشجاري

في الأبيات السابقة استخدم الشاعر ألفاظاً جزلة وسهلة بعيدة عن التعقيد والتنافر اللفظي ، وكانت قوية في أسلوبها ، وهذا يدل على تمكن الشاعر من لغته ، أما الغرض الشعري فيبدو أنه

(1) نبيل أبو علي : شاعرات عصر الإسلام الأول ، 179 .

(2) خالد سعيد : ديوان الأسرى أولا ، 54 .

مدح لا رثاء ؛ لأن الشاعر ذكر صفات الشهيد وهو ينتقل من الضفة إلى القطاع مجاهداً ، ويذكر أنه حمل راية الشيخ أحمد ياسين ، ولم ينس الشاعر أعمال الشهيد في تفجير حصون الصهاينة . فلم يبد أثر الحزن واضحاً في الأبيات بقدر ما كانت الألفاظ تعبر عن صفات الشهيد وهو حي يقاوم . فأسلوب الشعر يختلف حسب اختلاف الانفعال وطبيعته ، وإذا كان الطمع من الأسباب القوية التي تحث الشعراء على قول الشعر ، فهل يختلف أسلوب المدح عن أسلوب الرثاء أم أنهما كما قال قدامة بن جعفر "ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ على أنه لهالك مثل : كان ، وتولى ، وقضى نحبه ، وما أشبه ذلك ، أم أن اختلاف التجربة الشعرية في الرثاء ، عنها في المدح ، تنعكس على لغة الشاعر فيكون في المدح أجود ، كما قال أبو يعقوب الخريمي الذي سئل عن سر جودة مدائحه عن مراثيه – مع أن الممدوح والمرثي واحد – فقال "كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد" (1) .

لقد استخدم الشاعر بعض الأفعال الماضية المتصلة بناء المخاطب مثل "سريت – قبست – ضحيت" ؛ لبيان قربه من الشهيد وإظهار محبته له ، واستخدام الأفعال المضارعة مثل "ترتي – يشرف – يرنو – تحمي – يظل – يكتب" لدلالة الاستمرار والتجدد في بقاء هذا الشهيد خالداً في قلوب أبناء شعبه . وكذلك جلب الشاعر بعض الألفاظ لإتمام الوزن والحفاظ على القافية كقوله : "إلى القطاع قطاع النور والنار" حيث لم يضف إلى المعنى شيئاً جديداً من قوله : "قطاع النور والنار" ، ومثله عطف العار عل المكر ؛ لأن العطف جاء كسابقه للحفاظ على الوزن والقافية .

مما سبق عرضه يتضح أن الشعراء استخدموا لغة سهلة وواضحة كانت بعيدة كل البعد عن الغموض والإبهام ، ولم يحتج القارئ إلى قاموس لغة لاكتشاف معاني الكلمات ، لكن لغتهم لم تكن واحدة في التعبير عن أفكارهم وعواطفهم ، فمنهم من استطاع أن يبدع في استخدام الألفاظ المناسبة والمعبرة ، ومنهم من قصرت كلماته عن وصف أحاسيسه ومشاعره ، وبصورة عامة - عند معظمهم - وكانت المراعاة اللغوية والحفاظ على قواعد اللغة .

ثانيا : تكرار الألفاظ والتراكيب

ليست ظاهرة التكرار في الألفاظ والأساليب والتراكيب جديدة في الشعر العربي ، بل وجدت منذ أقدم العصور الأدبية . فكان الشعراء يؤكدون ألفاظهم ومعانيهم ويسعون إلى تقويتها ليكتشفوا عن مكتنزات عواطفهم وأفكارهم . وقد يكون التكرار مجرداً من أي قيمة فنية ، فيأتي به الشاعر لإتمام وزن أو للحفاظ على قافية ، أو تكون قريحته عجزت عن الإبداع فلجأ إلى التكرار لتعويض قصور حال دون إظهار الهدف المرجو من النص .

---

(1) نبيل أبو علي : شاعرات عصر الإسلام الأول ، 182 – 183 .

وقد استخدم الشاعر جهاد إبراهيم درويش ظرف المكان "بين" مكرراً أربع مرات في قـصيدة "عرس وانطلاقة" (1) :

هل غدا الشوق لهيباً وارتعاشا
يلثم الأرض شموخا
ينثر العطر فراشا
تصدح الآذان جذلى بالبكور
بين قدس والخليل ...
بين يافا والجليل ...
بين أحضان المخيم
أو منافي اللاجئين
بين بيسان وعكا
غزة .. النقب ... جنين
زغرد الناي حبورا

يظهر شوق الشاعر وتلهفه إلى الأرض السليبة في ركن من فلسطين ، وفي جبالها وسـهولها ويجرها وما بين هذه الأماكن من قداسة وطهارة يرتفع فيها الآذان والهتاف الإسلامي الذي يـدل على إسلاميتها ، وأن القلوب أينما كانت تنظر إليها وتتوق إلى العودة . وكان اسـتخدام الظـرف "بين" لدلالة شمول المكان ، والوجود الفلسطيني القديم في هذه الأرض موفقاً وعبر عـن مكانـة فلسطين في القلوب .

وفي قصيدة "أين روح الأرض والأرض ملاك" يكرر الشاعر أسـلوب الاسـتثناء أربـع مرات . فيقول (2) :

من رأى أمي ...
أمتي ..
تجرع الذل كؤوساً يوم هانت عزتي
تقصف الحسرة بيتاً ضم دهراً عثرتي
غير أن الحلم أقوى ..
غير أن الحلم أقوى
غير أن الحلم أبقى

---

(1) جهاد إبراهيم درويش : ديوان أقمار الخيمة ، 75 – 76 .
(2) السابق ، 96 .

غير أن الحلم أبقى
فهي تأبى ثم تأبى
ترفض الظلم وتأبى ذلتي

ويبين الشاعر أن الحلم والحق أقوى وأبقى من كل شيء ، فأراد أن يؤكد بـالتكرار رفـضه للظلم ، وأن الأمة لا تقبل الذل ، وأن الحسرة لا تدوم ، والتكرار الذي استخدمه يؤكد قوة عاطفته التي تحلم بالعودة إلى أرض الوطن المغتصب .

واعتمد الشاعر شهاب محمد التكرار عدة مرات في قصيدة "الصوت والصدى" فيقول [(1)] :

الليل وحده كفن ..
والصمت والحصار والثمن
والنار والجحيم ،
والحياة ترتهن
يا أيها الوطن ..
ويسألونك الجواب
ما الأمر ما الخطاب ..
ما الظنون ،
ما الفتن !؟
ما سرها المحن !؟
ما سرها المحن !؟
ما الأمر ، ما الجواب ، وما الكتاب
يا تُرى ،
ما بالنا إذن
ما بالنا إذن

لا يبدو أن التكرار لبعض الأسطر الشعرية قد أضاف شيئاً جديداً إلى المعنى ، ويمكن قـراءة الأسطر بلا تكرار الأسطر دون تغيّر المعنى ، ولا يوجد من سبب للتكرار سوى القـصور فـي الهدف على توضيح الفكرة .

وعند نفس الشاعر"شهاب محمد" تكرار واضح في كثير من قصائده ، كما يبدو واضـحاً فـي قصيدة "أسئلة" [(2)] :

---

(1) شهاب محمد : ديوان رجع الجوى ، 39 – 41 .
(2) السابق : 8 – 9 .

في كفيك أرى العالم
وأرى صورة يومي
أحمل أجنحتي
دهراً يحملني ..
أو يشغلني ..
في الأوزان ..
وفي الأحزان ..
وأنا أرقبه ،
في الليلة يأتي خطراً
في الظلمة يفقد نظراً
قدراً ..
قدراً ..
قدراً ..

كرر الشاعر كلمة "قدراً" ثلاث مرات دون إضافة معنى أو تقوية للعاطفة أو توضيح للفكرة .

وفي قصيدة "الأوراق السرية لحذيفة بن اليمان" يتحدث الشاعر "يونس أبو جراد" عن السيف الذي غرس في خاصرة الخليفة "عثمان بن عفان" - رضي الله عنه - ومازال جرحه ينزف ، في حين يواجه "علي بن أبي طالب" الصعوبات الجمة التي تواجهه ويربط الشاعر هذه العقبات بما يواجهه الشعب الفلسطيني ، فاعتمد التكرار مرات كثيرة منها قوله [(1)] :

وعلي
يا أنة روحي
يسعى فجراً
يمشي كملاك بأمان
شمس علي
ترقي
ترقي
في لحظاتٍ
شبت في لحيته نار
فلقت جبهته الأحقاد

---

(1) يونس أبو جراد : ديوان أنات القمر ، 67 – 69 .

شمس علي
صرعي
صرعي
ذئب يا (عبد الرحمن)
ذئب يا (عبد الرحمن)
في لحظاتٍ
ناحت أوجاع مآذننا :
يا الله !
يسقى عذراً
من غور الحقد الاثنان
عفواً يا رب الأكوان
عفواً يا رب الأكوان

جاء التكرار جميلاً ليؤكد الشاعر أن الغدر الذي تعرض له الخليفتان الراشدان هو نفس القـدر الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني على أيدي الصهاينة وخلفائهم من العرب والغرب . وليؤكد أن الذئاب البشرية موجودة في كل العصور ، ولا يمكن لهذه الذئاب أن تتخلى عن حقدها وغـدرها . ويلتمس الشاعر العفو والمغفرة من رب العالمين .

وعند الشاعر محمد رمضان البع تكرار جميل في قصيدة "وداعاً" إذ يكرر في صـدر سـبعة أبيات "كم كنت" وفي عجز نفس الأبيات "كم كان" (1) :

بـ ــالأمس يـ ــا أسـ ــد الإسـ ــلام بايعنـ ــاك
واليـ ــوم يـ ــا قائـ ــد الميـ ــدان ودعنـ ــاك
كـــم كنـــت تعـــشق أهـــل الخيـــر فـــي وطنـــي
كـــم كـــان يعـــشقك الإخـــوان فـــي محيـــاك
كـــم كنـــت ترنـــو إلـــى مـــستقبل حـــسن
كـــم كـــان يـــشتاق أقـــصانا إلـــى رؤيـــاك
كـــم كنـــت تـــسعى إلـــى التحريـــر فـــي ثقـــة
كـــم كـــان يخـــشى جنـــود الغـــزو مـــن دعـــواك
كـــم كنـــت تـــسمو علـــى الآلام مبتـــسماً
كـــم كـــان شـــعبك فـــي كـــل القـــرى يهـــواك

(1) محمد رمضان البع : ديوان أناشيد المقاومة ، 16 .

كـــم كنـــت شمـــساً أضـــاءت كـــل حاضـــرنا
كــم كــان يرضــى إلــه الكــون عــن مــسعاك

كـــم كنـــت تـــشدو بأشـــعار تبـــشرنا
كـــم كـــان يحلـــو لنـــا يـــا حـــب أن نلقـــاك

كـــم كنـــت تغـــرس فينـــا حـــب موطننـــا
كـــم كـــان همـــك مرضـــاة الـــذي ســـواك

يـــا فارســـاً وشـــهيداً أنـــت قـــدوتنا
يـــا قائـــداً نـــم قريـــر العـــين فـــي مثـــواك

أظهر الشاعر في قصيدته ذات الأبيات التسع حزنه الشديد على الشهيد الذي تـرك بـصمات واضحة في حياة شعبه ، واستطاع الشاعر بالتكرار أن يعمق هذا الحزن ، وأن يعدد مناقب الشهيد الذي ما زال حبه في القلب .

وعند الانتقال إلى الشاعر "عثمان أبو غربية" يتضح جمال التكرار الدال على حـب الـوطن السليب ، فيستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام المكرر في قوله "هل غادرت "

فيقول الشاعر في قصيدة " عدنا " (1) :

لا شيء غير الأرض إن تعبت جراح العمر وانتشر
الزبد
هل غادرت يافا الجسد
هل غادرت حيفا الأبد
هل غادرت قلبي صفد

استطاع الشاعر بالتكرار أن ينقل الإحساس من توتر الحيرة والشك إلى حالة أكثر تقدماً فـي تطوير الصراع النفسي ، كي يبلغ مداه ويعكس حالة التوبيخ والاستنكار التـي تتـصل بموقـف الشاعر من اتفاق أوسلو ونتائجه التي ذهبت بيافا وحيفا وصفد إلى غير رجعة (2) .

تدل النماذج السابقة التي استخدم فيها الشعراء التكرار في قصائدهم على حاجتهم الشديدة إلـى التعبير عما يجول في خواطرهم ، ومال أغلبهم إلى التكرار لغرض توضيح الفكـرة والعاطفـة ، وإن جاء عند البعض إتماماً لوزن أو قصوراً في التعبير عما يجول في النفس .

---

(1) عثمان أبو غربية : ديوان عدنا ، 10 .

(2) نبيل أبو علي : عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، 82 – 83 .

استخدام الألفاظ العبرية والأجنبية

استخدم كثير من أبناء الشعب الفلسطيني بعض الألفاظ العبرية نتيجة لتأثرهم بالعمل داخل الأراضي المحتلة عام 1948م أو الثقافة الصهيونية ، أو نتيجة للتعامل التجاري مع التجار الصهاينة ، وكان هذا التأثر واضحاً في حديث الفلسطينيين مع بعضهم ، إذ كثر استخدام كلمة "محسوم" [1] على سبيل المثال في حديثهم . وكانت بعض الكلمات العبرية دخلت بعض القصائد ؛ لأن العديد من الشعراء الفلسطينيين قضى سنوات طويلة في سجون الاحتلال الصهيوني .

ومن الشعراء الذين استخدموا ألفاظاً عبرية في قصائدهم الشاعر "رفيق أحمد علي" في قصيدته "العمدة" [2] :

وهناك ... هناك
بين الجنة والنار
(شومير) (3) يتحكم في الأرزاق
يمنع أو يمنح
(سيجر) (4) يقفل (لوسيجر) (5) يفتح
يا عمدتنا يا عمدة !!

واستخدم الشاعر نفسه لفظ "اللاو" وهو اسم لصاروخ إسرائيلي ، وعبارة دانات الإم سكستين . فيقول في قصيدة "يا عربياً... يا مسلم" [6] :

كفاكم خلقاً للأعذار!
مؤتمر القمة يعقد في قاهرة المعتز
ماذا ؟ لجنة فحص !
شجب واستنكار
دعم مالي
أجر يدفع للجان التحقيق
وأنا في اللج غريق !
وأنا بالحجر أناوئ صاروخ اللاو

---

(1) كلمة "محسوم" عبرية تعني بالعربية "حاجز" .
(2) رفيق أحمد علي : ديوان خيوط الفجر ، 72 .
(3) (شومير) : كلمة عبرية تعني بالعربية "حارس" .
(4) (سيجر) : كلمة عبرية تعني بالعربية "إغلاق" .
(4) (لوسيجر) : تعني بالعربية "نهاية الطوق الأمني" .
(6) رفيق أحمد علي : ديوان خيوط الفجر ، 57 .

ودانات الإم سكستين
ها طفلي يقتل ... ها بيتي يهدم

ومن الشعراء الذين استخدموا ألفاظاً عبرية الشاعر "توفيق الحاج" الذي يبين وحشية الجنود الصهاينة في طلبهم لقتل العرب وقتل كل الأولاد . فيقول في قصيدة "صور .... من الوجه الآخر للقمر" [(1)] :

أقتل .....
أقتل "ال .. عر .. بيم" (2) ... هيا
أحس برعشة ...
عرق تصبب ...
هذي الأصابع ... لا تطاوع
الرصاصة ....
نحو لؤلؤة البراءة... لا تطاوع
أقتل
أقتل "كول ... هايلاديم" (3)

وكان الشاعر "المتوكل طه" من الذين استخدموا أسماء السجون في شعرهم ، فذكر اسم سجن "كتسيعوت" [(4)] ، اسم سجن آخر "نفي ترتسيا" [(5)] ، وهي سجون خصصت لسجن الفلسطينيين ، فيقول في قصيدة "ونحن سواء" [(6)] :

أأسال ، والقيد يبدأ من رسغ كفي ،
في "كتسيعوت" ِ
ويمتد حتى يعانق كفيك
في عتمات سجون النساء ؟؟
ويقول في نفس القصيدة (7) :

---

(1) توفيق الحاج : ديوان تداعيات الخارجي الأخير ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى ، 2003 ، ص 47 .
(2) "العربيم" تعني بالعربية العرب .
(3) "كول هايلاديم" تعني بالعربية كل الأولاد .
(4) كتسيعوت : اسم سجن صحراوي في صحراء النقب خصص لسجن الفلسطينيين .
(5) نفي ترتسيا : اسم سجن آخر .
(6) المتوكل طه : ديوان أو كما قال ، 86 .
(7) السابق : 87 .

نكبر بالموت ،
نولد في كل حربٍ وسجنٍ
ونطلق أطفالنا في براري النداء .
والسجن من عهد جان سليمان ،
حتى النبي الذي راودته زليخةُ ،
حتى "نفى ترتسيا" أوجدوه ،
لحرق البساتين في الصدر ،

وكان الشاعر يستخدم أسماء هذه السجون ؛ لأنه قضى سنوات من عمره في هـذه الـسجون الصهيونية ، واستخدم الشاعر بعض الألفاظ التي يستخدمها المعتقلون الفلسطينيون داخل المعتقلات التي تحتجزون فيها . فيذكر كلمة "المجاشات" التي تعني أواني الطعام وكلمة "مشاتيح" وهي ألواح خشبية يستخدمها الأسرى الفلسطينيون للنوم . فيقول [1] :

وقليل من الطعام في "المجاشات"
ولا ماء هناك
و"مشاتيح" ترامت لغسيل الموت كانت ..

واستخدم الشاعر "خالد سعيد" اسم مستوطنة "قريات أربـع" [2] فـي قـصـيدة "المنـشـور الحـاقد" [3] :

أم النبيــين فــي القــدس التــي شــهدت	مسراه كالبـدر فـي الليـل البهـيم سـرى
عين الحـسود وعـين الحقـد مـا فتئـت	لا تقبـلُ النـور تهـوى العـار والعـورا
"قريــات أربــع" رأس الحقــد غـــاظهم	شـبلُ الخليـل لعظـم الكفـر قـد كـسرا
شُـذاذ آفـاق هـذا العـصر قـد حـشدوا	في القدس كـي يزرعوهـا غرقـدا قـذرا

واستخدم عدد من الشعراء ألفاظاً غربية في أشعارهم ، كالشاعر رزق البياري الذي اسـتخدم كلمة "الأباتشي" [4] في قصيدته "آخر كلام " [5] :

تخنقني رائحة الموت
المرسوم بالجثث ..

---

(1) المتوكل طه : ديوان رغوة للسؤال ، دار الكاتب ، القدس ، الطبعة الأولى ، (1992) ، ص 74 .
(2) "كريات أربع" : اسم مستوطنة صهيونية بالقرب من مدينة الخليل .
(3) خالد سعيد : ديوان الأسرى أول ، 7 .
(4) "الأباتشي" اسم لطائرة مروحية تصنع في الولايات المتحدة ويستخدمها الصهاينة لقتل الفلسطينيين .
(5) رزق البياري : ديوان وجهان ، 63 .

طائرات "الأباتشي"..

تلُون المشهد الدامي ..

وفي قصيدة "وحيداً تتألق" استخدم الشاعر نفسه اسم "الكوبرا" (1) ، ليبين مدى حقد الـصهاينة في قتل الفلسطينيين بمختلف الأسلحة (2) :

لم تزل تتحدى ..

حقد الطيارين ..

وتمد قامتُك ..

فوق قذائف "الكوبرا"...

وقد استخدم الشاعر رزق البياري في قصيدة "صرخات" ثلاثة ألفاظ غربية . وهي " البرابول" و"الإنترنت" و"السمرهولدي" (3) :

وتر آخر للنسيان ..

يخربشُ مرايا الأشياء ...

فتيات الإعلانات

تستهلك عبر محطات "البرابول"..

وتُعريك أمواج

"الإنترنت"

في "السمرهولدي" ...

وفي قصيدة " أوراق متناثرة" استخدم الشاعر "رزق البيـاري" لفـظ "الكـوكا كـولا" . فيقـول (4) :

سيانَ ..

أن يعبأ دمك المستباح

في زجاجات "الكوكا كولا"

لا فرق أن يباع عقالك

في سوق النخاسة ..

---

(1) "الكوبرا" اسم لطائرة مروحية تصنع في الولايات المتحدة ، ويستخدمها الجيش الصهيوني .

(2) رزق البياري : ديوان وجهان ، 48 .

(3) السابق : 33 .

(4) السابق ، 82 .

هذه بعض النماذج التي استخدم فيها الشعراء الفلسطينيون ألفاظ عبرية وأجنبية ، وليس المجال مفتوحاً لإيراد معظم النماذج التي تأثر أصحابها بالثقافة والحياة العبرية .

التناص (الاقتباس)

يلجأ الشعراء أحياناً إلى توضيح أفكارهم أو تأكيدها إلى استخدام التناص ، فيقتبس من القرآن الكريم أو السنة المطهرة ، وقد يضمن نصه بعض الأبيات الشعرية ، أو يلجأ إلى التاريخ فيقتبس منه . وظهر مفهوم التناص بصورته الأولية في كتابات الروسي (ميخائيل باختين) الذي يعد أول من تنبه إلى هذا المصطلح ، وحدده بأنه "الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص ، في استعادتها أو محاكاتها لنصوص – أو لأجزاء من نصوص – سابقة عليها ، بدل من الفهم التقليدي الذي يتعامل مع كل نص في صورة متسقة على أنه صنيع مبتكر ، مصدره فيه وغايته واقعة فيه كذلك" (1) ، وهذا يدل على وجود علاقة جدلية بين نص قديم وآخر جديد ، تتشابك خيوطهما لتكون نصاً يحمل دلالات جديدة (2) .

وكانت الناقدة "جوليا كرستيفا" أول من حدد معنى التناص عندما اعتبرته نتاجاً لنصوص سابقة ، يعقد معها النص الجديد علاقة تبادل حواري ، لكنها محملة بدلالات معاصرة ، والتناص عندها "لوحة فسيفسائية من الاقتباسات ، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى" (3) أو هو "تقاطع داخل نص مأخوذ من نصوص أخرى" .

ويشتمل ميدان التناص على كل ما انتخبته الحضارة الإنسانية من علوم وفنون وآداب ، ثم جاء بعد ذلك كثير من النقاد الذين أضافوا إلى المصطلح أفكاراً جديدة ، وهكذا تضافرت جهود النقاد حول التناص حتى استقر في النهاية باعتباره مصطلحاً نقدياً ، فحددوا منطلقاته وفصلوا القول في أنواعه . ويكتسب التناص شعريته بما يثيره حول النص من قراءات نقدية متعددة ، وبانفتاحه على فيض من الدلالات التي تسبح في فضائه ، وأيضاً بتعانق العديد من التجارب الإنسانية التي تدخل في نسيجه اللغوي والفكري (4) . وسيكتفي الباحث بذكر التناص الديني كدليل على وجود التناص في الشعر الفلسطيني .

---

(1) محمد صلاح زكي أبو حميدة : دراسات في النقد الأدبي الحديث ، الطبعة الأولى ، 2006 ، ص 35 .

(2) إبراهيم نمر موسى : آفاق الرؤيا الشعرية ، دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر ، وزارة الثقافة الفلسطينية ، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص 83 .

(3) السابق ، 83 .

(4) محمد صلاح زكي أبو حميدة : دراسات في النقد الأدبي الحديث ، 35 .

التناص الديني

يعتمد فيه الشاعر على الاقتباس من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ، مما يجعل النصوص الشعرية ذات سلطة تأثيرية قوية ، تزخر بجوانب إنسانية وقيم أخلاقية . ومن ذلك قول الشاعرة"كوثر الزين" في قصيدة "شهادة سارة" [(1)] :

أمي تلعق رائحتي في الصدار

تشم دمي وتبكي دماً

فهون عليك فإني بخير

وإني لأحيا ولا تشعرون

إذ يظهر جلياً تأثر الشاعرة بقوله تعالى : ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا يشعرون [(2)] .

وبذلك تصدر الشاعرة قسوة ووحشية الصهاينة في قتل الأطفال ، فقد قتلت الطفلة "سارة" وهي ابنه العام ونصف العام برصاص المستوطنين ، وهي مريضة حين اخترق والدها حصارهم ليأخذها إلى الطبيب .

وكان الشاعر على الخليلي قد ضمن قصيدته "ضيقي مراحي وقيدي سمائي" من القرآن الكريم . فقال [(3)] :

حلالاً في لعبة العريس والعروس

وحلالاً في لعبة النحلة والدبور

وحلالاً في الناس أجمعين

ولا يمنعون الماعون

وهو حفاة عراة

وهم ملوك وأنبياء

وهم تلاميذ مدارس مهدمة

---

(1) كوثر الزين : ديوان شاهد على العصر الحجري ، 34 ، 35 .

(2) سورة البقرة ، 154 .

(3) علي الخليلي : ديوان هات لي عين الرضا هات لي عين السخط ، مطبوعات وزارة الثقافة ، الطبعة الأولى ، 1996 ، ص 10 .

إن الشاعر قد اقتبس في قصيدته من قول الله تعالى ويمنعون الماعون [1] والشاعر حين اقتبس من القرآن ، إنما قصد ليبين الفقر الذي يغرق فيه عامة الشعوب العربية ، بينما تنعم قلة بالثروة والرخاء في حياتها .

أما الشاعر "صالح فروانة" يضمن قصيدته "خاطرة" بمعانٍ اقتبسها من القرآن الكريم . فيقول[2] :

أحاول أن أكتب .. فأخاف
وأخافُ .. فأحاولُ أن أكتب
ولا أقدر إلا أن أكتب
ولا أستطيع إلا أن أخافْ
كالطاعم من شجر جهنم
كلما أكل جاع
كلما جاع أكل
فلا الجوع يتوقف
ولا الخوف

ويبدو الاقتباس واضحاً من سورة "الغاشية" في قوله تعالى ليس لهم طعام إلا من ضريع ، لا يسمن ولا يغني من جوع [3] .

---

(1) سورة الماعون ، 7 .
(2) صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية ، 5 .
(3) سورة الغاشية ، 6 – 7 .

الفصل الثاني

الظواهر الفنية

العمل الأدبي تعبير وترجمة عن تجربة شعرية في صورة معبرة وموحية ، ولا تعد التجربة الشعرية عملاً أدبياً ما دامت مضمرة في النفس ، وإنما إحساس وانفعال يدور في أعماق الأديب ، فيتأثر به ويزداد انفعاله ثم يعبر عنه بأي جنس من الأجناس الأدبية ، ولا يهدف العمل الأدبي إلى كشف الحقائق العلمية أو القضايا الفلسفية أو الفكرية ، فهذه مهمة العلماء والفلاسفة . وهناك فرق بين العالم والأديب ، فالعالم يلحظ الأشياء ويستكنه حقائقها ، ويستوضح ظواهرها وعلاقتها بالأشياء الأخرى ، والظروف المحيطة بها ثم يقنن لذلك ، ويستخرج قاعدة عامة صالحة للتطبيق . أما ملاحظة الأديب للأشياء فتكون من حيث صلتها بمشاعره وعلاقتها بعواطفه ، فإذا درس العالم خواص النبات وظروفه الطبيعية والبينية التي تجعله ينمو أو يسرع إليه الذبول ، فإنما يظل يتتبع تلك الحقائق ويسعى وراءها للوصول إلى نتيجة ثابتة ، أما الأديب فطريقته مختلفة عن ذلك تماماً إذ إن ملاحظته للنبات إنما تكون من حيث جمال الأزهار وألوانها وعبقها وأثر كل ذلك على ذوقه وحسه وشفيف عواطفه [1] .

ولا يمكن فصل عناصر الأدب الأربعة (اللغة ، العاطفة ، الخيال ، المعنى) عن بعضها ، بل يصهرها الأديب معاً ويكون نصاً أدبياً يخضع لمعايير خاصة يحددها النقاد ؛ ليحكموا على العمل الأدبي بالجودة أو الرداءة .

وتعد العاطفة من أهم عناصر العمل الأدبي وأقواها ، فهي التي تمنح الأدب الخلود وتلحقه بالتراث الإنساني الخالد وتبعده عن النطاق العلمي المتغير [2] . وبها ينمو الخيال وتتلاحق الصور ، وتثرى الحقائق ، وحب العاطفة تكون اللغة بعناصرها قوية مثيرة أو رقيقة جميلة [3] .

وحتى يتحقق الصدق الفني عند الأديب لا بد أن يعايش الأديب الموقف معايشة حقيقية أو وجدانية ، كما ينبغي أن يظهر الانفعال الصادق والمعاناة الصادقة ، وأن يكون التعبير صادقاً ، إنه الصدق الفني الذي ينبع من منطق العمل الأدبي أو من موضوعيته بكل أبعادها وتفصيلاتها [4] .

وأما معيار الصدق في العاطفة إنما يكون في الإيمان بالتجربة عليها بنفس منشرحة ، وينضج هذا الإيمان حواس الأديب ، ويظهر ذلك عند التعبير ، فتخرج من بين أنامله ومشاعره دافئة هادرة بالحس ونبض اليقين ، فتأثر في وجدان القارئ والسامع على السواء [5] .

---

(1) سعد ظلام : مناهج البحث الأدبي ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1996 ، ص 126 ، 127 .

(2) السابق ، 126 .

(3) نبيل أبو علي : شاعرات عصر الإسلام الأول ، 205 – 206 .

(4) السابق ، 206 .

(5) سعد ظلام : مناهج البحث الأدبي ، 129 – 130 .

ويمكن القول : إن العبرة في الصدق الفني تتحقق بمدى انفعال الأديب الوجداني بالموقف الذي تعرض له ، ومدى امتزاج هذا الموقف بشعوره وإحساسه ، وما يحمله عمله الأدبي من قـيم شعورية وحقائق وجدانية ، مما يجعله قادرا على التأثير .

وتبقى الأفكار أو المعاني هي الأساس الأول للعواطف ، إذ لا عواطف بلا أفكار ، وهـي ذات قيمة عظيمة في كل عمل أدبي ، فليـس من السهل حصـر المقـاييس النقديـة للفكـرة أو المعنى (1) .

وقد اختلف الأدباء حول المعاني المطروقة المتداولة وبين الطريقة المبتكـرة ، وأرجعـوا ذلك إلى استعداد الأديب ، فمن الأدباء من في طبعه الإبداع والخلق ، ولديه القدرة عليهما ، فيأتي بالجديد الذي تتشوق له روح الأدب ، وتحتفي به ضفافه الغناء ، وتطرب له مزاهره وأزهاره .

ومنهم من ليس في طبعه الخلق ولم يرزق حظاً من القدرة على ذلك ، فظـل لـدى المعـاني المطروقة يرددها ويتداولها كالعملة المتداولة . لا يتصرف فيها بوجه من الوجوه ، ولا يتفنن فـي استعمالاتها بطريقة من الطرق (2) .

وإذا كان النقاد السابقون الأوائل قد اختلفوا في تحديد مقاييس نقدية خاصة للمعنى ، فـإن النقاد في نقدهم الحديث استطاعوا أن يضعوا عدة مقاييس للمعنى ، فمنهم من جـارى القـدماء ، ومنهم من تمرد عليهم ، وتجد من النوعين من اشترط كثرة الحقائق التي تحملهـا الفكـرة ، وأن تكون هذه الحقائق صحيحة مطابقة للواقع ، وهي على درجة من البيان والوضوح (3) .

ومن الصواب إيراد رأي قدامة بن جعفر فيما يتصل بالمعنى إذ يقول جابر عصفور (4) .

"إن أهم ما يطلبه قدامة من المعنى أن يكون مواجهاً للغرض المقصود غير عادل عن الأمـر المطلوب ؛ وذلك أمر يرجع إلى كيفية أداء المعنى أو صورته . قد يصعب حصر أقسام المعنى ، أو تعداد الأوجه المتعددة للمعاني ، لأنها تفوق الحصر ، ولكن التقسيم القديم إلى أغراض يمكن أن يساعد في حصر الأقسام وتعداد الأوجه ، فتختزل المعاني الشعرية فـي سـتة أغـراض هـي : المديـح ، والهجاء ، والرثاء ، والنسيب ، والوصف ، والتشبيه ، هذه الأغراض تـدور – فـي النهاية – حول موضوعين أساسيين لا ينفصلان ، هما الإنسان والطبيعة . أي أن أغراض الشعر إما أن تصف عناصر الطبيعة وتقتنص مظاهرها بأداة التشبيه ، أو تصور الإنـسان فـي أفعالـه المتباينة أو حالاته المتعددة ، ممدوحاً أو مهجوراً أو مرثياً" .

---

(1) نبيل أبو علي : شاعرات عصر الإسلام الأول ، 207 .

(2) سعد ظلام : مناهج البحث الأدبي ، 186 .

(3) نبيل أبو علي : شاعرات عصر الإسلام الأول ، 209 .

(4) جابر عصفور : مفهوم الشعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الخامسة 1995 ، ص 107 .

وإجمالاً يمكن القول : [1] "إن المعنى الواحد لا تعبر عنه إلا بعبارة واحدة ، أما أصل المعنى فيمكن إيراده بعدة طرق ، ولكل طريقة دلالتها الخاصة ، ومن هنا يجدر ألا نعترف مبدئياً إلا بمقياس واحد وهو وضوح الأفكار ، أما طريق المجاز بأنواعه ، فكل نوع معياره وهذه المعايير يهتم بها الخيال" .

أما الخيال فيلجأ إليه كل فنان ليجسد إحساسه الداخلي ، ويصوره تصويراً واضحاً ، كما أنه يهب الفن رشاقة لما يأتي به من صور خيالية جزئية أو كلية ، فهذه الصور توضيح الفكرة وتبرز العاطفة . إن الصورة أمر جوهري في كل عمل شعري خلاق ، فهي التي تقوم بعبء التصعيد للمعنى ، كما أنها تعبر بمهارة عن تمازج الرؤى والأفكار والأحاسيس ، كما وأنها اللغة الطبيعية لتلك المشاعر التي تتحسس مخرجاً يسمح لها أن تعبر عن ذواتها في لغة تصويرية [2] .

وكان الميل إلى الخيال فطرياً عند الإنسان ، فهو لا يستطيع أن ينقل ما يراه ويتأثر به إلا إذا قام بتصويره ، وكان من الصعب وضع معايير للخيال في العصور القديمة ، لكن النقاد في العصر الحديث وضعوا له بعض المعايير كما جاءت عند الديوانيين ، فهم ينبهون على أن الصورة إذا كان لا بد فيها من الخيال فينبغي أن يلبس نوع الصدق وألا يتجافى مع الحقيقة ، فالخيال يجب أن يطير بجناحين من الحقيقة ، وأن كل كلام ليس مصدره صحة الإدراك وصدق النظر في استشفاف العلاقات لا يكون إلا هراء لا محل له في الأدب ، ومتى كانت حمى الحواس وهذيان العواطف وضعف الروح تعيش في عالم الشعر ، وليس الوضوح وقوة الإدراك وحسن البيان ما ينفي العمق لأن العمق ليس معناه الغموض . [3]

ولذلك تبقى الصورة حيزية مهما يكن الشيء الذي تعبر عنه ، كما إن القصيدة سلسلة زمنية من الكلمات ، مهما يكن الشيء الذي تعبر عنه ، فالصورة يرسمها الشاعر لينظر إليها ، والقصيدة تنظم لتقرأ ، وبالتأثير الذي تتركه يمكن الحكم عليها .

هذه هي عناصر الأدب الأربعة (اللغة ، والعاطفة ، والمعنى ، والخيال) ، فليس من مجال الدراسة أن يدخل الباحث في تفاصيل عناصر الأدب ، وإنما سيستعين بهذه العناصر في دراسته لبعض الظواهر الفنية في اتجاهات الشعر الفلسطيني بعد أوسلو .

ففي قصيدة "قالوا وقلنا" للشاعر عبد الكريم العسولي رفض لأوسلو ونتائجه وضيق بالوعود الزائفة . فيقول [4] :

---

(1) نبيل أبو علي : شاعرات عصر الإسلام الأول ، 210 .

(2) رجاء عيد : تذوق النص الأدبي ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة – قطر ، الطبعة الأولى ، (1994) ، ص 14 .

(3) نبيل أبو علي : شاعرات عصر الإسلام الأول ، 211 .

(4) عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر ، 18 .

قالوا لنا :

أوسلو مناجم من ذهب

وجنان واعدة

وكرمات **عنب**

أوسلو المخلص والمسيح المرتقب

فلم التشنج والغضب ؟

أوسلو قناديل بدرب الحائرين

وفطائر الحلوى لكل الجائعين

وجداول الشهيد السخية

للعطاشى البائسين

فلم الصراخ بلا سبب ؟

ويتابع الشاعر في رفضه وضيقه بأوسلو . ويقول (1) :

قالوا وقالوا

كل ما قالوه أطياف سراب

لا الدمع فارقنا

ولا جمر العذاب

كل الحمائم هاجرت

واستوطنت بوم الخراب

وإذا سألناهم خبر

كان الجواب بلا جواب

كل ما قالوه أضغاث حلم

كذبة كبرى سمعناها نغم

لم نقل كيف

ولم نسأل بكم

والتهمناها كقطعان الغنم

فلم التمسك بالعهود وبالذمم ؟!

تبدو عاطفة الرفض والضيق مسيطرة على الشاعر ، فهو ينقـل الوعـود التـي قطعـت لمهندسي أوسلو الفلسطينيين بتحول حياتهم إلى نور بعد ظلام ، ورخاء بعد حرمان ، وكأن المسيح

---

(1) السابق ، 21 ، 22 .

المنتظر سيأتي ويخاص الشعب الفلسطيني من محنته الطويلة ، وهذه العاطفة صادقة وقوية التقط الشاعر معانيها من قاموس الحياة اليومية ومن رحم المعاناة ، فالشاعر واحد من أبناء الشعب الفلسطيني يلمس واقعه يومياً ، ويتحسس جراحه المستمرة ، فلا يثق بالوعود التي أعطيت للفلسطينيين . واستطاع الشاعر أن يوضح أفكاره بالصور التي تتناسب مع عاطفته وأفكاره في النص ، فاستخدم التشبيه (أوسلو مناجم من ذهب ، وجنان واعدة ، أوسلو قناديل) ، والكناية الدالة على كثرة الخيرات والنعم (وجداول الشهد السخية ، واستوطنت بوم الخراب) ، والاستعارة (كل الحمائم هاجرت) .

لقد منح الخيال الشاعر قدراً كبيراً عن أفكاره في رفضه لأوسلو ، بل والسخرية منه . أما الوحدة العضوية فقد حافظ الشاعر عليها ، إذا جاءت أفكاره مترابطة ومتسلسلة لا يمكن الفصل بينهما ، وبدأها الشاعر بما أشاعوا عن أوسلو ، ثم بدأ يعدد النعم والفضل والخيرات التي سيأتي بها ، وأظهر في قصيدته بطلان كل الوعود الزائفة ، فلم يتحقق شيء مما قالوه ، وإنما ازداد القتل والدمار ، وانتشر الفقر والجوع . وكان الشاعر موفقاً في استخدام الحروف الدالة على المستقبل القريب في (سنجوب كل الأرض ، وسيصير للاجئ قبر وكفن ، وستبني الدول الغربية) ؛ لأن الواعد يريد أن يصدقه الموعود سريعاً ، وكان موفقاً في استخدام حروف العطف كالواو والفاء ، فبعد أن كان يعدد فضائل وخيرات أوسلو ، يأتي بعدها بحرف العطف الفاء الذي يفيد الترتيب والتعقيب ، كأنه يريد أن يبين من يرفض أوسلو ليس على حق في رفضه .

ولا يقل روعة عن القصيدة السابقة ما قاله الشاعر عثمان أبو غربية في قصيدة "احمل ندائك واكتمل" حيث تبدو قوة الانفعال وصدق التعبير في رفضه لاتفاق أوسلو . فيقول [(1)] :

إن المسار يعيد طرح الأسئلة
برزت حقائق عصرنا
وجد الغريق نجاته في القارب الشتوي أو في
المرحلة
وجد التفاؤل والقنوط
وجد الوفاق وفجوة الأوزون
وجد المدائن قنبلة
وجد الصعود إلى الهبوط
أين المصائر تنتهي
أين الحقيق تبتدي

---

(1) عثمان أبو غربية : ديوان عدنا ، 93 ، 94 .

إن الحقيقة مذهلة

يظهر الشاعر في الأسطر السابقة حقائق لا خلاف فيها حول اتفاق أوسلو الذي جعل الـشعب كالغريق في قارب تتلاطم الأمواج حوله ، فالمصير مجهول ، والتفاؤل بالعودة مفقود ، ومـصائر الشعب لا تعرف لها بداية أو نهاية ، واستطاع الشاعر أن يكشف هذه الحقيقة المرة ، فلـم يحقـق أوسلو شيئا من الأمل .

ورسم الشاعر بخياله صورة كلية واضحة جسد فيها الألم والشفاء ، حيث صور الـشعب كالغريق الذي يبحث عن نجاة فلا يجد إلا قارباً شتوياً يعيده ثانية إلى الغرق . لقد زاد الخيال وقوة العاطفة وصدقها الأفكار والمعاني جمالاً وروعة ؛ لأن الشاعر استطاع أن يوفـق بـين عاطفتـه وفكرته وخياله وأسلوبه ، ومزج بين أساليبه الخبرية والإنشائية ؛ فخرجت عاطفته قوية متدفقـة . والعاطفة في قصيدة "احمل نداءك واكتمل" مسكونة بأحاسيس وانفعالات مختلفة ، أحاسيس الحيرة والقلق ، على المصير المجهول ، وأحاسيس الخوف من العودة المحبطة والحقيقة المجهولة .

ولا يكاد الشاعر مصطفى عثمان الأغا يختلف عن الشاعر عثمان أبو غربية في رفـضه لاتفاق أوسلو ، فلا يمكن القول إن الشاعرين اتفقا على التعبير عن أفكار واحدة ، لكن الإحـساس بالخوف والقلق على المصير جعل التصور لديهما واحداً . يقول الشاعر مصطفى عثمان الأغا في قصيدة "هل اخبرتك السنبلة ؟" (1) :

هل كنت تعلم ما تخبئه الرياح المقبلة ؟
هذا الضياع نعيشه هل كنت تعرف أوله ؟
هل كنت تعلم سيدي
أن القتيل سينحني حتى يصافح قاتله ؟
والبعض يأتي لاهثاً
والبعض مكرهاً
والبعض يأتي زاحفاً
والبعض يأتي هرولة
هل أخبرتك السنبلة ؟
أن الذين سيخرجون من الجحور ليمتطوا ظهر الخيول
الصاهلة
هم شاهدون على اكتمال المهزلة
وهم الذين تبعثروا

---

(1) مصطفى عثمان الأغا : ديوان النورس ، 7 .

لما علا صوت الصهيل إلى العلا واحمر حد المقصلة

هل أخبرتك السنبلة ؟

إن الشاعرين جمع بينهما ضياع الوطن وتمكن الصهاينة فيه ، وكلاهما يستشعر المصير المجهول والضياع الذي لا يعرف أوله ، وينظران إلى هذه المهزلة التي اكتملت فصولها الزائفة ، فهناك المفرطون في الوطن والحقوق الذين يلهثون وراء الحلول ، فتارة يزحفون نحو عدوهم وأخرى يهرولون . فالمعاني عند الشاعرين واحدة ، وكلاهما جمع في أساليبه ما بين الخبر والإنشاء ، أم العاطفة فكان الخوف والقلق حاضراً فيها ، هذا الخوف الذي يصور صدق الإحساس وعمق الأسى . ورسم الشاعران صورة كلية ناطقة ومعبرة عن هذه العاطفة المتأججة ، وكذلك أفسح الخيال للشاعرين مجالاً واسعاً للتعبير عن الأفكار ، حيث اعتمد الشاعر عثمان أبو غربية على الاستعارة كثيرة في (برزت حقائق ، وجد التفاؤل والقنوط ، المصائر تنتهي ، المصائر تبتدئ) ، وكان التجسيم والتشخيص موجوداً في هذه الصورة الجزئية ، وسار الشاعر مصطفى عثمان الأغا على نفس الهدف من الصور الجزئية في التجسيم والتشخيص ، وجاء بصور جزئية كالاستعارة في (الضياع ، هل أخبرتك السنبلة) ، إن هذه العناصر الأربعة المتداخلة في بعضها (العاطفة ، والأفكار ، والخيال ، والألفاظ) ، يدل جميعها على طريقة متشابهة في التعبير عن مأساة الوطن وعمق الجراح النازفة في جسد أبنائه .

ومن الجدير ذكره أنموذج آخر لرفض اتفاق أوسلو ، ولكن هذا الأنموذج ليست له روعة القصائد السابقة . يقول الشاعر مروان برزق في قصيدة "تداعيات على البحر" (1) :

في يد أجناد يوشع

مفاتيح ومغاليق الطرق التي تؤدي للبحر

في البدء كانت نتساريم المستوطنة

ينطلق منها القتلة وقطاع الطرق

للهدم والتجريف والقناصة قتلة الأطفال

على مرأى شاربي نخب الاتفاق

تقتلع كروم وحدائق الجنوب المطوق

الذي كتب عليه التجويع

في قلعة برقوق والشبورة المخيم

وليضحي قتل الأشجار

شرعة يقرها هذا الاتفاق الموؤد

(1) مروان برزق : ديوان رحيل مفاجئ ، 47 ، 48 .

وكأن الذين شيعوا بين الترائب
طقس احتفالي
لحصاد سنابل الحقل
يباركه المذياع والتلفاز وصحف الأشقاء
وكأنهم قرابين لبوح وعشق هذا الوطن المصلوب
أيها البحر
يا شاهد عيان لمراسم النزوح
كم صعدنا للقوارب
التي عليها شارات الأسرى
وشعارات الترحاب والتهليل

لقد ابتعدت الأسطر السابقة في القصيدة عن قوة العاطفة ؛ لأن الشاعر أخذ يسرد أعمال الصهاينة من جنود ومستوطنين بأهل قطاع غزة ، وذكر ما يقومون به يومياً من قتل وتعسف بحق الأرض والإنسان ، وأشار إلى سكوت مهندسي اتفاق أوسلو ، وابتعد الشاعر عن المجاز واستخدم الحقائق ، فليس المطلوب منه سرد أعمال اليهود ، وإنما ما تثيره وتجلبه هذه الأعمال الشنيعة من آثار على نفس الإنسان الفلسطيني ، وكان أسلوبه أقرب إلى النثر إلى الشعر ، والمتأمل في القصيدة السابقة لا تثور مشاعره أو تتحرك قليلاً ؛ لأن الأفكار لا تكشف عن مكنون نفسي يشد المشاعر ويثير الأعصاب . فالإشارة إلى فتح الطرق وإغلاقها وانطلاق القتلة وقيامهم بالتجريف والهدم مناظر يراها الإنسان الفلسطيني في حياته يومياً ، فلا تأتي هذه الأعمال الوحشية بجديد ولا يلقي لها الفلسطيني بالا ؛ لأنها أصبحت ظاهرة مألوفة يراها أينما يمم وجهه . أما خيال الشاعر فقد كان فقيراً ضيقاً لا يعطي في النهاية صورة كلية حية تستطيع أن تعبر عن مشاعر جياشة ، والخيال لم يحقق ما كان يرجى منه ، حيث يعرف الخيال بأنه مصنع الصورة الشعرية إلا أن ذلك لم يتحقق بصورة كاملة [1] . وحال الأفكار لا يفتقد كثيراً عن حال الخيال والعاطفة وجاءت غير مترابطة ، ولم يحافظ الشاعر على التسلسل الفكري الذي ينقل القارئ أو السامع من فكرة إلى أخرى دون الشعور بالانتقال ، فالشاعر تحدث عن الممارسات اليومية للصهاينة ، ثم ذكر أنصار أوسلو الذين يرون هذه الأعمال دون أن يحركوا ساكناً ، وانتقل بعد ذلك لتفصيل هذه الممارسات في مختلف مناطق جنوب قطاع غزة ، وذكر ما تنقله الفضائيات ووكالات الأنباء ، ويخاطب الشاعر البحر ويجعله شاهداً على العودة إلى الوطن بينما يرفع العائدون الأعلام وإشارات النصر .

---

(1) نبيل أبو علي : شاعرات عصر الإسلام الأول 218 .

ليس من المقبول أن ينقل الشاعر أفكاره وعواطفه خالية من التأثر والتأثير ، فهو لا يقـدم تقريرا مفصلا عن رياضة أو اقتصاد أو غيره ، ولربما لو فعل ذلك لاسـتخدم ألفاظـاً وأفكـاراً وعواطف مثيرة . فالنص السابق تصوير حي لممارسات الصهاينة اليومية ، فـلا يبـدو لأفكـار الشاعر أثر في تحريك النفس ، ولم يكن للخيال دوره المعروف في إثارة الانفعال .

وعند الانتقال إلى غرض الحنين إلى الوطن ، يبدو تفاوت الشعراء واضحاً في تعبيـرهم عن عواطفهم وأفكارهم . ففي قصيدة "بحر يافا" للشاعر عبد الكريم العسولي تظهر العاطفة قويـة واضحة . فيقول (1) :

بحر يافا
أيها البحر الجميل
كنت لي يوماً
شراعاً وسفين
كنت لي نغماً
يهدهد حيرتي
يحنو علي
يذيقني سحر السكون
كنت لي زيتاً
يضيء مشاعلي
كنت لي فكراً
يداعب خاطري
ويزيدني علماً رصين

كان الشاعر بارعاً في حديثه إلى بحر يافا ، إذ جعله حاضراً عندما خاطبه بالتاء المفتوحة في "كنتَ" ، فمن المعروف أن الشاعر بعيد عن بلدته يافا ، ولكنه بمخاطبته لبحرها جعلـه أمامـه ، وأخذ يروي علاقته القوية مع يافا وبحرها ، وأنه استر منهما كل شيء في حياته .

ويتابع الشاعر حديثه عن بحر يافا (2) :

بحر يافا
أيها البحر الجميلْ
لن يتوه الطير

(1) عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر ، 26 .

(2) السابق ، 32 ، 33 .

عن عشٍ بناه
أو يحيد النهر
عن مجرى احتواه
لن يضل الفجر يوماً
عن سماه
أو يكف الموج
عن شطٍّ هواه
يا صديقي
لن يموت الحب في قلبي
ولن يخبو رجاه
كل شيء سوفَ يرجع
مثلما كان
ولن يرضى سواه
سوف نرجع ذاتَ يومٍ
سوف نرجع يا صديقي
هكذا حكم الإله

تقف وراء هذه الأسطر الشعرية عاطفة قوية متفجرة ، ربط الشاعر نفسه بوطنه الذي لم يعد قادراً على نسيانه مهما طال النفي والإبعاد . وهذا الإحساس جعل الشاعر يستمد حياته من ذكرياته في وطنه ، فذكر الشاعر في قصيدته كل ملامح الحياة الكريمة ، بل وجعل الوطن صديقاً يذكره في كل مرة بجزء منه. وظهر ذلك واضحاً في قوله (كنتَ لي كل الدنا كل الأماني والأغاني والحنين) . وهذه العاطفة الشديدة القوية جعلته يرفض أي وطن بديل عنه كما قال : (ولن يرضى سواه) ، ولم ينقطع أمل العودة عنده فخاطبه (سوف نرجع ذات يوم ، سوف نرجع يا صديقي) .

وقد جاءت أفكار القصيدة متسلسلة ومتلاحمة ، بدأ الشاعر يتغني بجمال بحر يافا وأثر هذا الجمال على نفسه ، ثم الخطاب إليه بمساواته بكل الدنا ، وفي الوطن تتحقق الأمنيات وذكر ما تعرض له الوطن ، وكيف أصبحت الحياة في المنافي والشتات ، ولم ينس الشاعر محاولات الصهاينة لفرض النسيان على شعب فلسطين بإقامة الحواجز والمنع من الانتقال والزيارة للوطن .

وتحدث الشاعر في نهاية قصيدته عن أمله بالعودة إلى عشه في يافا كما تعود الطيور ، وأن الحب للوطن يزداد يوماً بعد يوم ، والشاعر عندما ينتقل من فكرة إلى أخرى إنما يبرهن على أنه سار في طريق الوحدة العضوية التي ربطت بين أسطره في القصيدة ، لتخرج قصيدته متكاملة في تجربتها الشعرية .

أما الخيال في القصيدة فقد أكسبها ذلك التأثر والتأثير ، ورسم الشاعر لوحـة فنـية متكاملة ، لو أعطيت هذه المعاني لفنان لرسمها في صورة تكاد تنطق بالحنين إلى الـوطن والمعانـاة فـي المنافي . كما عبر الشاعر بالخيال الجزئي عن عاطفته وأفكاره كما ظهر التشبيه واضحاً في قوله (كنت لي نغماً ، كنت لي زيتاً، كنت لي خبزاً وأحلاماً) ، والاستعارة في قوله (انطلاق مشاعري ، أيها البحر الجميل ، يا صديقي) .

إن المتأمل في سطور القصيدة يرى تجربة شعرية حقيقية ، ويرى نقـلاً مـؤثراً ، اسـتطاع الشاعر أن يمزج عناصر الأدب الأربعة التي تعارف عليها النقاد وهـي (العاطفـة ، والخيـال ، والمعنى ، واللغة) في هذه التجربة الشعرية .

ومن القصائد الجميلة قصيدة "شوق" للشاعر عبد الهادي القادود . إذ يقول [1] :

مع صبح يافا قد صحوت ولم يزلْ
وجع الفراق يعيدني
صوب البيوت الخاويات
ونحو مفتاحي الذي نفض الصدأْ
وحدائقُ الليمون تدعوني لأفرغَ
عشقي المجنون تحت ظلالها
وأُعيد للماضي المهشم نفحةً
من روحي الظمأى لتطفئ ما توقد
في فراشِ الشوق من عشقٍ عليلِ
والأماني تغُمر السهل الذي أهدى لعودةِ
أهله
قُبلاً على وجه الزمان
وأعيد في حيفا الدلال لجدتي
وطفولةَ الجد الذي ما هان

تظهر في الأسطر الشعرية عاطفة حزينة عبرت عنها ألفاظ الحنين إلى يافا وبيوتها الخاويـة الحزينة على فراق أهلها ، وحدائق الليمون التي فقدت نضرتها ، ولكن الشاعر يطمئن نفسه إلـى أن الأماني ما زالت تغمر القلب وتطبع القبل على وجه يافا وحيفا ، إنها العاطفة الدالة على الحب والارتباط بالوطن ، فلا حضور للنسيان ؛ لأن كل شيء يقع عليه نظر الشاعر يذكره بوطنه ويثير أوجاعه على فراقه وبعده عنه . أما الأفكار فإنها تنبع من الألم والمعاناة في الشتات بعد التهجير ،

(1) عبد الهادي القادود : ديوان وطن ينزف ، 114 .

وكلها تعبر عن واقع حسي ، وكان ترابطها يدل على براعة الشاعر في التعبير عنها وكشفها إلى القراء ومحبي الشعر . فمع كل صبح يثور الألم والوجع ، وكانت البيوت الخاوية تـشكو غيـاب الأهل بعد رحيلهم وهم يحتفظون بمفاتيح التي لم تصدأ ، فصدأ المفاتيح يدل على نسيان الـوطن ، لكن الشاعر نفض عنهم الصدأ لتبقى البيوت حية في قلوب أهلها. وانتقل الـشاعر للحـديث عـن الأماني والحلم الذي لم ينقطع يوماً ، فلا زالت القبلات مطبوعة على كل شبر في الوطن .

وكان للخيال دوره في رسم هذه العاطفة وتوضيح الأفكار . ولعل أهم ما يميز كثير من الشعر الحديث اللوحات الفنية التي يرسمها الشعراء ، فتظهر العاطفة جلية ومعبرة ، وقد أجـاد الـشاعر رسمها لتنطق وتشهد على صدق العاطفة والأفكار . واستعان الشاعر بالخيال الجزئي الذي لا مفر منه لإظهار تجربة الشاعر الشعرية ، فكانت الكناية في قوله : (وجع الفراق يعيدني ونحو مفتاحي الذي نفض الصدأ) ، والاستعارة في قوله : (وحدائق الليمون تدعوني ، والأماني تغمر الـسهل) ، فالجمع بين الخيال الكلي والجزئي يعد من حسنات الشاعر .

وليست حرارة العاطفة واحدة عند الشعراء ، فالقصيدة التالية تشبه في أفكارهـا القـصيدتين السابقتين . يقول الشاعر شهاب محمد في قصيدة "مساءلة في الطريق إلى حيفا" (1) :

نسيت اسمي : نسيت الكل حولي
نسيت بأنني فيها النزيل
رأيت الكرمل الأبهى جمالاً
وحيفا بين أذرعه تميل
رأيت البحر والأمواج فيه
فهل يؤتى الرهان المستحيل
وهل تتراجع الأهوال يوماً
وهل يترجل الزمن الدخيل
ترى ماذا جرى حتى انتهينا
تحاصرنا الدروب فلا سبيل
ويصدنا الشقاء بكل أرض
وينهب خيرنا الرهط الذليل
أنا فيها أتيت رسول حب
وإني في محبتها قتيل
هي الدنيا وما ألفيت دنيا

---

(1) شهاب محمد : ديوان رجع الجوي ، 86 ، 87 .

بها حيفا ويافا والجليل

تكشف أبيات القصيدة عن معاناة حقيقية يملؤها الحنين إلى الوطن ، فيـ ذكر الـشاعر حيفـا وكرملها ويافا ، ويتمنى الشاعر عودة إلى تلك الديار بعد رحيل الصهاينة الذين نهبوا خيراتهـا . ويبدو تعلق الشاعر بأرضه واضحاً في قوله : (وإنني في محبتها قتيل ، وهي الدنيا وما ألفـيت دنيا ، وبها حيفا ويافا والجليل) . ولم يراع الشاعر التسلسل والتلاحم بين أفكار قصيدته إذ تحـدث عن نسيانه لاسمه ونسيان تمسكه بأرضه حينما كان نازلاً فيها ، أخذ يصف البحر والأمواج فـي كل من حيفا ويافا ، وتحدث بعد ذلك عن اغتصاب الصهاينة لهذه الأرض وحرمان أهلها الأصليين من خيراتها ، ثم ذكر أنه قتيل أرضه التي ليس لها مثيل في الكون . وساعد الخيال الشاعر فـي توضيح فكرته ورسم عاطفته ، فاعتمد على الصور البلاغية الجزئية كالاستعارة في قوله : (وحيفا بين أذرعه تميل ، ويحصدنا الشقاء بكل أرض) ، والكناية في قوله : (وينهـب خيرنـا الـرهط الذليـل ، وإني في محبتها قتيل) .

إن التجارب الشعرية تأتي متفاوتة بين الشعراء بتفاوت تأثرهم فيما يدور حولهم وبقدر المعاناة أو بقدر أي نوع من العواطف الأخرى الكثيرة والمتعددة ، ولا يستوي شـاعران فـي تأثرهمـا بموضوع واحد ، فكل واحد يحاول أن يعبر بطريقة التي يراها مناسبة . لكن التعبير يخرج مختلفاً بينهم قد يكون متقارباً ولكنه لا يكون واحداً .

كما ظهرت في الشعر الفلسطيني بعض الألوان الشعرية كالتي يظهر فيها الغضب والحقد على الصهاينة لما مارسوه ضد الأبرياء من حصار وتجويع . ومن هذه النماذج ما قال الـشاعر رزق البياري في قصيدة "في زمن القسوة والحرمان" (1) :

في زمن القسوة والحرمان
تُعاد كل الأحزان بذاكرتي
تطغي مزبدةً كدفوق السيل
تزمجر كالأهوال
تمضي صاعقةً كصروفِ الأيام
تغرق ببطءٍ
في وحل الأبدان
فحياتي في زمن الحرمان
تظل للقيد كالقهر
يلهبه السجانْ ...

---

(1) رزق البياري : ديوان مساءات ، 27 ، 28 .

بلا عنوان ...

يظهر غضب الشاعر وحقده على الصهاينة واضحاً في الأسطر السابقة ، فهو يتحـدث عـن زمن لم يحدده ليبين أن القسوة والحرمان موجودان في كل زمن ، كما يظهر أحزانه مندفعة اندفاع السيل تزمجر وتصعق ، لكن إرادته في الحياة أقوى من القيد وسوط السجان ، وأكثر الشاعر من استخدام الأطفال المضارعة ليدل على أن الغضب الذي سببه الحرمان ما زال مستمراً . فالعاطفة كما تبدو في الأسطر قوية وصادقة ؛ لأن عنصر الصدق الفني متوفر في النص ، فلا يمكـن أن توجد السعادة والهناء في ظل الحرمان والقسوة . واستعان الشاعر بالخيال الجزئي في رسم عاطفته وفكرته وأكثر من التشبيه كما في قوله : (تطفي مزبدة ،تزمجر كالأهوال ، تمـضي كـصروف الأيام) ، ومن الاستعارة في قوله : (تطفي مزبدة ، تزمجر ، تفرق ببطءٍ) ، فهذه الصور تعبر عن تجربة شعرية فنية عبر فيها الشاعر عن معاناة إنساني حقيقية .

وإجمالاً يمكن القول: إن التناغم بين الأفكار والعاطفة والخيال مكن الشاعر من رسم لوحة فنية متكاملة لحياة إنسانية معذبة ، يخضع فيها كل شيء لإرادة الصهاينة الحاقدين على الشعب الضحية الذي تحولت حياته إلى جحيم لا يطاق .

ومع نموذج أخر للشاعر يونس أبو جراد الذي يعبر عن البسمة والأمل في زمن مـا زالـت تنزف فيه الجراح ، وبالرغم من مرارة العيش ، فيقول في قصيدة "طائر" (1) :

يحيا فتياً باسماً والدم يقطر

من سنا قلبٍ مشع كالشموس

ماضٍ يعاند جرحه ويضمد النزفَ

الذي يقتاتُ من وهج النفوس

ويظل يبحث في ثنايا النزف عن

سر دعاه إلى التقهقر والجلوس

ويخوض أغمار إلى الحياة بدمعةٍ

وببسمةٍ ويجود في الحرب الضروس

ومرارةُ العيشِ البئيسِ يلوكها

منذ الصبا تسقيه قاسية الكؤوس

ما ظل في الكون الرحيب مصيبةُ

إلا وعاثت في قرارات النفوس

---

(1) يونس أبو جراد : ديوان أنات القمر ، 109 .

سيطرت الألفاظ الموحية والمعبرة عن المرارة والحرمان على أفكـار الـشاعر وعاطفتـه ، واستطاع أن يصل إلى المعنى المطلوب ، وقد تجنب الشاعر الألفاظ الصعبة والمعقدة ؛ لأنه يريد أن ينقل معاناته وحرمانه إلى جميع القراء والسامعين ، فهؤلاء لبسوا فئة مثقفة معينـة ، وكانـت أفكاره مترابطة حيث بدأها بالحديث عن البسمة التي تأتي بالألم والجراح ما زالت نازفة من قلـب يملؤه الضياء ، وأكثر من استخدام الأفعال المضارعة (يحيا ، يقطر، يعاند ، يعتمـد ، يبحـث ، يخوض ، يلوك) . ليدل على استمرار وتجدد المعاناة التي ليست لها نهاية . كما يبين الشاعر قسوة الحياة التي يقابلها طائره بالبسمة ويقدم فداء لهدفه في التحرير والخـلاص ، ولا يأبـه بكـؤوس الحنظل التي تجرعها منذ الصبا ، واستطاع أن يتخطى كل الصعاب التي استقرت فـي نفـسه . وامتاز خياله بالروعة وهو يصور هذه المأساة الإنسانية فجاء بالكناية (والدم يقطر من سنا قلـب مشع) للدلالة على عدم توقف هذا الدم ولو لفترة قليلة في الحياة ، و(يخوض أغمار الحياة بدمعـة فهي دلالة على استبعاد اليأس الذي لا يمكن أن يتسرب إلى القلب . وجاء الشاعر بالاستعارة فـي قوله : (ماضٍ يعاند ومرارة العيش البئيس يلوكها) وهي توحي بالإصرار والعناد لنيـل الكرامـة والحرية .

استطاع الشاعر بهذه الألفاظ المعبرة والخيال الرائع أن يجمع بـين أفكـاره بخـيط فكـري وشعوري واحد ، وأن يرسم صورة كلية جميلة لمعاناته ومعاناة شعبه .

وقد أجادت الشاعرة رحاب كنعان في تصوير الحرمان والقسوة . فتقول في قصيدة "سياط الفراق" (1) :

شعرت بنسيمات الفرح
تطرق جدار قلبي الممزق
حلقت بين أرجاء الأفق
كعصفورة تزقزق فرحة
كطفل يحترق شوقاً
لحضن دافئ بعد الصقيع
يعد الساعات والدقائق .. بل الثواني
وهو يطرز ثوب الحنين
بعدما أدمته أشواك الحرمان
وقطعت أوصال أيامه الأزمان

(1) رحاب كنعان : ديوان شلال الفصول الثمانية ، 89 .

استطاعت الشاعرة أن تعبر عن معانيها بالتصوير والوصف الجميـل ، فبعـد شـعورها بالفرح بينت أثره على نفسها فأصبحت عصفورة مغردة وطفلاً يذوب شوقاً إلى حضن أمه بعد ألم ومعاناة ، لكن الأمل لم ينقطع بالرغم من الحرمان وقسوة الأيام . إن أفكارها جـاءت متلاحمـة ومتسلسلة جمعها خيط فكري واحد هو الشعور بالحرمان مـن الأهـل والـوطن . أمـا خيالهـا وتصويرها فعبرت عنه بالتشبيه في قولها (كعصفورة تزقزق فرحة ، وكطفل يحتـرق شـوقاً) ، وهذا التشبيه له دلالته الرمزية الدالة على السعادة والحرية ، وكان للاستعارة دورها فـي رسـم الفكرة والعاطفة كما ظهر في قولها : (تطرق جدار قلبي ، وأدمته أشواك الحرمـان ، وقطعـت أوصال أيامه الأزمان) ، إذ اعتمدت الشاعرة على التجسيم في تحويل المشاعر والأحاسيس ، وهي أمور معنوية ، ورمزت بالكناية عن السعادة الغامرة في قولها : (حلقـت بـين أرجـاء الأفـق ، ولحضن دافئ بعد الصقيع ، وهو يطرز ثوب الحنين) . وأسهمت هذه الصور الجزئية في رسـم الصورة الكلية الجميلة المعبرة عن شدة الشوق والأمل . وجاءت ألفاظها ملائمة لعاطفتها وفكرتها تعبر بصدق عن مشاعرها القوية نحو الوطن ، واستطاعت أن تجمع بين الأفعال الماضـية مثـل (شعرت ، وأدمته ، وقطعت) لدلالة هذه الأفعال على توكيد الإحساس الـصادق . أمـا الأفعـال المضارعة (تطرق ، وتزقزق ، ويحترق ، ويطرز) فجاءت لبيان استمرار وتجدد الأمل وغيـاب اليأس مهما طال الزمن .

هذه بعض الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء والشاعرات الفلسطينيون في شـعرهم باتجاهاتها المختلفة ، ولا يمكن الادعاء بأنه يمكن الإلمام بالاتجاهات الأدبية والفنية والأغـراض الشعرية المختلفة كافة ، فهذا العمل (الإلمام) لا يستطيع أن يقوم به فرد أو جماعة ؛ لأن العقول لا تتوقف عن الإبداع والخلق ، فهل من الممكن متابعة ذلك ؟ ، إنه أمر يكاد يكون مستحيلاً ، ويمكن القول : إن الشعراء الفلسطينيين عبروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم كما يمليه عليهم الواقع ، ولكـن باتجاهات متفاوتة ، وبعواطف تختلف باختلاف درجة تأثرهم بالوقائع والأحداث .

خاتمة

النتائج والتوصيات

لقد تتبع هذا البحث ما حفل به الشعر الفلسطيني بعد أوسلو من بعض الاتجاهـات الأدبيـة والفنية ، بعد قراءة خاصة لكثير من الدواوين الشعر الفلسطيني ، وكانت القصائد كلها تعبيراً عن تجارب شعرية متفاوتة مر بها الشعراء الفلسطينيون ، وهذا البحث يضم مقدمة وتمهيـداً وثلاثـة أبواب وخاتمة . وبعد رحلة القراءة والفراغ من كتابة هذا البحث ، توصل الباحث إلـى النتـائج والتوصيات التالية :

أولاً : النتائج

1- إظهار نضال كل فئات الشعب الفلسطيني في مقاومة العدو الصهيوني ، حيث شارك الطفل الصغير إلى جانب الرجل والمرأة لدحر الاحتلال وإبعاده عن الوطن .
2- بيان دور المرأة الفلسطينية في المجتمع الذي تعيش فيه ، فلم تعـد ربـة بيـت أو مشاركة لزوجها في البيت والكرم وفي ميادين الحياة العامة فقط ، بل إنهـا حملـت البندقية وقاومت ونفذت عمليات استشهادية في دور لا يقل عن دور الرجـل .
3- مشاركة المرأة الأجنبية للمرأة الفلسطينية في كفاحها ضد المحتل الغاشم ، وسـقوط بعضهن وهن يدافعن عن الحق الفلسطيني .
4- خلود القدس في قلوب الشعراء الفلسطينيين ، فلا يكاد يخلو ديوان شـعري مـن الحديث عنها ، والرغبة في تحريرها من قبضة الصهاينة .
5- تحفظ عدد كبير من الشعراء على اتفاق أوسلو، فالقليل قد أيد ، وكثير قد عارض ، وقسم ثالث وقف حائراً أمام ضبابية الحدث .
6- إظهار محنة الشعب الفلسطيني على الحواجز العسكرية ، وبيان صورة الـصهيوني في كامل حقده وتلذذه في قتل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ .
7- سيطرة البعد الإنساني على الشاعر الفلسطيني ، فلم ينس غيره من الشعوب الأخرى التي مرت بتجارب شبيهة بتجربته ، و إظهار التعاطف مع تلك الشعوب المغلوبة .
8- إظهار الحرمان الذي عاشه الفلسطينيون وما زالوا يعايشونه في الوطن والـشتات ، والرغبة العنيدة في العودة إلى الأهل والديار .
9- ظهور الحيرة والقلق على الشعراء الفلسطينيين أمام صمت إخوانهم العرب والعجز عن إيجاد تفسير لذلك الصمت المخيف .

10- سيطرة ثقافة المقاومة على الشعر الفلسطيني طوال القرن الماضـي ، وظهـور ثقافة السلام الفجائية التي أثرت على النص الأدبي في إظهار منهجيته .

11- إن الشعر الفلسطيني امتداد للشعر العربي ورافد من روافده، وإن اختلفت بعـض اتجاهاته الأدبية ، إلا أنه وافقته في اتجاهاته الفنية .

12- حضور صور النماذج من الشخصيات الفلسطينية المساومة المهزومة في الـشعر الفلسطيني ، حين ربح عدد من ثوار الأمس في تحويل معاناة الآخرين وتـضحياتهم إلى مصالح نفعية خاصة .

13- ظهور بعض الألفاظ العبرية في بعض الدواوين الشعرية من أجل إبراز الطـابع العنصري لتلك اللغة المرتبطة بإجراءات العقاب الجماعي الذي يحاصـر الإنـسان العربي في فلسطين الذي يطال كل مناحي الحياة .

14- لقد أسهمت الكارثة المتمثلة في الاحتلال الصهيوني لباقي الأراضي الفلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية بعد حرب يوليو 1967م في فرض الشخصية الصهيونية على الواقع العربي ، حيث كان لها حضور واضـح فـي بعـض نمـاذج الـشعر الفلسطيني في الوقت الذي يحاول الشعراء الفلـسطينيون تأكيـد الهويـة العربيـة الفلسطينية التي تتعرض إلى المصادرة والاقتلاع .

15- تعدد أنماط التعبير الشعري لدى الشعراء الفلسطينيين ، وهذا ينبع من ثقافة وإرادة الشاعر، مما أتاح لهم حرية واسعة في اختيار موضوعاتهم وأغراضهم الشعرية .

16- تعدد الأنماط التعبيرية في اللغة التي كانت مثقلة بالرموز ، والشفافية ، والسطحية ، والخطابية ، والرومانسية .

17- عبر الشعراء عن أفكارهم بالألفاظ السهلة والواضحة ، ونجحـوا فـي اسـتثارة العواطف والأحاسيس ، وتجنبوا التعقيد والغموض ، وابتعدوا عن المبالغة .

ثانياً : التوصيات

لكي يستمر البحث العلمي ويزداد الإقبال عليه ، يوصي الباحث أهل العلم والقائمين عليه بما يلي :

1- تشجيع طلاب العلم على دراسة التراث الفلسطيني ، فهو لا يقل روعة وإبداعاً عن الشعر في الدول العربية ؛ لأن معظم الطلاب - وخاصة الذين تخرجـوا فـي الجامعـات - لا يعرفون عن الأدب الفلسطيني ما يعرفونه عن الأدب العربي .

2- تقديم منح دراسية لطلاب الدراسات العليا ؛ لأن الكثير منهم يريدون أن يواصلوا دراساتهم ، ولكن ظروفهم الاقتصادية لا تسمح بتحقيق أمانيهم ورغباتهم .

3- إنشاء أندية أدبية لتوعية جمهور القراء ، وبعث روح الاعتزاز بالتراث الأدبي الفلسطيني .

4- إنتاج برامج ثقافية وأدبية في الفضائيات ، واستضافة الشعراء لتقديم إبداعاتهم ، فالسماع منهم يختلف عن القراءة لهم .

5- مضاعفة الأمسيات الأدبية وعقدها في المدارس والجامعات ، وعقد لقاءات مع الطلاب في دور العلم ؛ لأن ذلك يخلق مواهب وقدرات مدفونة في نفوس الطلاب .

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم .

2- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري : المستعصي من أمثـال العـرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، 1977 .

3- ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الثالث عشر ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الثالثـة (1994) .

4- إحسان عباس : اتجـاهات الشعر العربي المعاصـر ، دار الشروق للنـشر والطبـع ، الطبعة الثالثة ، 2001 .

5- جابر عصفور : مفهوم الشعر ، الهيئة المصرية العامة للكتـاب ، الطبعـة الخامـسة ، 1995 .

6- رجاء عيد : تذوق النص الأدبي ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحـة – قطـر ، الطبعـة الأولى ، 1994 .

7- زياد الصغير : تطور القضية الفلسطينية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنـان ، (بـدون تاريخ) .

8- سعد ظلام : مناهج البحث الأدبي ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، الطبعة الثانية، 1996 .

9- طاهر الجزائري : أشهر الأمثال ، دار الفكر ، دمشق - سـوريا ، الطبعـة الأولـى ، 1995 .

10- فتحي يكن : القضية الفلسطينيـة من منظور إسلامي ، مؤسسة الرسـالة ، بيـروت – لبنان ، (بدون تاريخ) .

11- عاطف إبراهيم عدوان : دراسات في القضية الفلسطينيـة ، الطبعة الرابعـة ، (بـدون تاريخ) .

12- عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) : ديوان أبي سلمى ، دار العودة ، الاتحاد العام للكتّـاب الفلسطينيين ، بيروت 1989 .

13- عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1998 .

14- كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصـر ، مكتبـة الأنجلـو المصرية ، القاهرة ، 1973 .

15- مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1994 .

16- محمد صلاح زكي أبو حميدة : دراسات في النقد الأدبي الحديث ، الطبعة الأولـى ، 2006 .
17- محمد عناني : المصطلحات الأدبية الحديثة ، الطبعـة الثانيـة ، الـشركة المـصرية العالمية للنشر – لونجمان ، الجيزة – مصر ، 1997 .
18- مفيد محمد قميحة : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ، 1981 .
19- المكتبة الجامعية : فلسطين تاريخها وقضيتها ، نابلس ، (بدون تاريخ) .
20- نبيل أبو علي : اتجاهات القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسـلو ، الطبـعة الأولى ، وزارة الثقافة الفلسطينية ، 2005 .
21- نبيل خالد أبو علي : عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، إصدار اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، الطبعة الأولى ، 1999 .
22- نبيل خالد أبو علي : نزار قباني شاعر المرأة والسياسة ، مكتبة مـدبولي ، الطبعـة الأولى، 1999 .
23- نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، منشورات نزار قباني ، بيـروت – لبنـان ، الجزء السادس ، الطبعة الأولى ، 1993 .

الدواوين الشعرية

24- إبراهيم قراعين : ديوان وتعود أمواج البحار إلى البحـار ، مطبوعـات دار العـودة المقدسية ، الطبعة الأولى ، 1998 .
25- أحمد إسحق الريفي : ديوان مواجهات ، مكتبة آفاق ، الطبعة الأولى ، 2004 .
26- أحمد دحبور : ديوان هنا هناك ، دار الشروق للنشر والتوزيـع ، عمـان – الأردن ، الطبعة الأولى ، 1997 .
27- بسام المناصرة : ديوان شظايا الحلم ، غزة – فلسطين ، الطبعة الأولى، 2006 .
28- توفيق الحاج : ديوان تـداعيات الخـارجي الأخيـر ، منـشورات اتحـاد الكتّـاب الفلسـطينيين ، الطبعة الأولى ، 2003 .
29- جمال قعوار : ديوان مواسم الذكرى ، مركز الجليل التجاري ، الناصرة ، 1996.
30- جمال سلسع : عش الروح ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القـدس ، الطبعـة الأولى ، 1998 .

31- جهاد إبراهيم درويش : ديوان أقمار الخيمة ، المركز القومي للدراسات والتوثيق ، غزة، الطبعة الأولى ، 2004 .
32- جهاد إبراهيم درويش : ديوان وجه آخر للفرح ، دار المقداد للطباعة ، غزة معسكر الشاطئ ، (بدون تاريخ) .
33- خالد سعيد : ديوان الأسرى أولاً ، (بدون تاريخ) .
34- خضر محمد جحجوح : صهيل الروح ، مركز العلم والثقافة ، النصيرات ، الطبعة الأولى ، 1997.
35- راشد حسين : الأعمال الشعرية : مركز إحياء التراث العربي ، الطيبة ، الطبعة الأولى، 1990 .
36- رامي خضر سعد : تراتيل ، الرابطة الأدبية ، مركز العلم والثقافة ، غزة ، الطبعة الأولى ، 2002 .
37- رحاب كنعان : ديوان شلالات الفصول الثمانية ، مطبعة الرسالة ، غزة – فلسطين ، الطبعة الأولى ، 2007 .
38- رزق البياري : ديوان وجهان ، بالتعاون مع اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى، 2005 .
39- رزق البياري : ديوان مساءات ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس – غزة ، الطبعة الأولى ، 1999 .
40- رفيق أحمد علي : ديوان خيوط الفجر ، الطبعة الأولى ، 2005 .
41- رفيق أحمد علي : ديوان النقش على الهواء ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس – غزة، الطبعة الأولى ، 1999.
42- روز مصلح شوملي : ديوان للنهر مجرى غير ذاته ، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية ، رام الله ، 1998 ، الطبعة الأولى .
43- زكريا محمد : ديوان الجوار يجتاز أسكدار ، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية ، الطبعة الثانية ، 1997 .
44- سلافة حجاوي : ديوان سفن الرحيل ، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية ، الطبعة الأولى ، 1998 .
45- سليم النفار : ديوان بياض الأسئلة . منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، رام الله – فلسطين ، 2001 .
46- سليمان دغش : ديوان عاصفة على رماد الذاكرة ، منشورات دار القسطل ، القدس ، الطبعة الأولى ، 1995 .

47- شهاب محمد : ديوان رجع الجوى ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس – رام الله ، 2005 .

48- صالح فروانة : ديوان مفردات فلسطينية (انتفاضة الأقصى) ، (الجزء الأول) ، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى ، 2004 .

49- صلاح الدين الريماوي : ديوان من محاسن الطبيعة ، المركز الفلسطيني الثقافي اليوناني، رام الله ، الطبعة الرابعة ، 2001 .

50- سليم النفار : ديوان بياض الأسئلة . منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، رام الله – فلسطين ، 2001 .

51- فاتنة محمد الغرة : ديوان مازال بحر بيننا ، الطبعة الأولى ، 2000 .

52- عاطف أبو حمادة : ديوان مراسم حول الروح ، مطبوعات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى 2000 .

53- عبد الحكيم أبو جاموس : ديوان فراشة في سماء راعفة ، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة ، رام الله – فلسطين ، الطبعة الأولى ،2001 .

54- عبد العال القدوة : ديوان غزة فوق الشمس ، القدس – غزة 2002 .

55- عبد الكريم السبعاوي : ديوان متي ترك القطا ، دار النورس للنشر – غزة – فلسطين ، الطبعة الثانية ، 1997 .

56- عبد الكريم العسولي : ديوان أعاصير الزنابق ، خانيونس ، 2007 .

57- عبد الكريم العسولي : ديوان دموع وشموع ، مكتبة النور ، خانيونس ، الطبعة الأولى ، (د – ت) .

58- عبد الكريم العسولي : ديوان شقائق النعمان ، خان يونس ، 2004 .

59- عبد الكريم العسولي : ديوان النار والحجر ، مكتبة النور ، خانيونس ، 2001 .

60- عبد الله حسين كراز : ديوان البحر ... حوار امرأة ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، الطبعة الأولى ، 2005 .

61- عبد الهادي القادود : وطن ينزف ، مركز الرحمن الثقافي ، مكتبة بلدية النصيرات ، الطبعة الأولى ، 2004 .

62- عثمان أبو غربية : ديوان عدنا ، منشورات دائر الإعلام في هيئة التوجه السياسي ، رام الله ، (بدون تاريخ) .

63- علاء أحمد الكريري : ديوان درر السعداء في واحة الشعراء ، الديوان الأول ، 2004.

64- علي الخليلي : ديوان هات لي عين الرضا هات لي عين السخط ، مطبوعـات وزارة الثقافة ، الطبعة الأولى ، 1996 .
65- علي أبو مريحيل : ديوان وتقول لي ، النادي الأدبي للـشعراء الأحـرار ، الطبعـة الأولي، 2008 .
66- علي أبو مريحيل : ديوان عاشق لكل النساء ، النادي الأدبـي للـشعراء الأحـرار ، الطبعة الأولي 2005 .
67- فاتنة محمد الغرة : ديوان مازال بحر بيننا ، الطبعة الأولى ، 2000 .
68- فيحاء قاسم عبد الهادي : وردة الروح ، منشورات مركز أوغاريت الثقـافي للنـشر والترجمة ، رام الله – فلسطين ، الطبعة الأولى 2005 .
69- فخري صرداوي : ديوان عيبال والطوفان ، منشورات اتحاد الكتـاب الفلـسطينيين ، القدس ، الطبعة الأولى ، 1997 .
70- كوثر الزين : ديوان شاهد على العصر الحجري ، المؤسـسة الفلـسطينية للإرشـاد القومي، رام الله – فلسطين ، الطبعة الأولى ، 2003 .
71- ماجد أبو غوش : ديوان بانتظار المطر ، دار أزمنـة للنـشر والتوزيـع ، رام الله ، الطبعة الثانية ، 2004 .
72- ماجد الدجاني : ديوان قمر على شباكنا ، منشورات اتحـاد الكتـاب الفلـسطينيين – القدس، الطبعة الأولى ،1999 .
73- المتوكل طه : ديوان أو كما قال ، المؤسسة العربية للدراسات والنـشر ، بيـروت ، الطبعة الأولى ، 1999 .
74- مجدي يوسف : ديوان أشباح الأفق ، مكتبة دار المنارة ، غـزة ، الطبعـة الأولـى 2001.
75- محمد حمزة غنايم : ديوان الغرائبي ، مطبوعات وزارة الثقافة الفلـسطينية ، الطبعـة الأولى ، 1997 .
76- محمد ماهر دويدار : ديوان أسير في ضلوع حسناء ، إصـدار خـاص ، الطبـعة الأولى ، 2007 .
77- محمد رمضان البع : ديوان أناشيد المقاومة ، دون تاريخ .
78- محمد محمود عبد الرحيم مهدي : ديوان طرقات على جدار الصمت ، بالتعاون مـع اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، غزة ، الطبعة الأولى ، 2005 .
79- مروان برزق : ديوان رحيل مفاجئ ، الطبعة الأولـى ، منـشورات اتحـاد الكتـاب الفلسطينيين ، 2003 .

80- مصطفى عثمان الآغا : ديوان النورس ، منشورات اتحاد الكتاب الفلـسطينيين ، رام الله ، الطبعة الأولى ، 2004 .
81- موسى أبو كرش : ديوان أف ، مركز أوغاريت الثقافي ، رام الله- فلسطين ، (بدون تاريخ) .
82- ناصر رباح : ديوان الركض خلف غزال ميت ، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية ، الطبعة الأولى ، 2003 .
83- يونس أبو جراد : ديوان أنات القمر ، مكتبة آفاق ، 2005 .

المواقع الألكترونية :

84- Http :/ WWW.fm.m.com/2005/Dec/2005/story 26.htm .